

https://maktbah.net
L.Frank Baum
Dorothy & the Wizard in OZ
4
ل. فرانك باوم
دورثي والساحر في أوز
مكتبة الطفل
أهم ملحمة خيالية في تاريخ أمريكا وزعت أكثر من ٣ مليون نسخة
تحولت لعشرات الأفلام والمسرحيات
ترجمة
طه عبد المنعم
المحروسة
4



دورثي والساحر في أوز

ل. فرانك باوم

رسوم: چون أر. نيل

ترجمة: طه عبد المنعم

عنوان الكتاب: دورثي والساحر في أوز Dorothy and the Wizard in Oz
المؤلف: ل. فرانك باوم L. Frank Baum
رسوم: چون أر. نيل John R. Neil
ترجمة: طه عبد المنعم
تحرير ومراجعة لغوية: محمد حمدي أبوالسعود
إخراج داخلي: رشا عبدالله



قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف: -002 02 28432157

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٧٥٥٨/ ٢٠١٩
الترقيم الدولى: 978-977-313-792-2

دورثي والساحر في أوز

ل. فرانك باوم

رسوم: جون أر. نيل

ترجمة: طه عبد المنعم

الطبعة الأولى 2019





بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

باوم، ليمان فرانك، 1856 - 1919

دورثي والساحر في أوز/ ل. فرانك باوم؛ رسوم چون أر. نيل؛ ترجمة طه عبد المنعم.-

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2019.

201 ص؛ 14.5×21.5سم

تدمك 2-792-313-977-978

1 - القصص الإنجليزية

أ- نيل، چون أر.، 1877-1943 (رسام)

ب - عبد المنعم، طه (مترجم)

ج - العنوان

823

رقم الإيداع 27558/ 2019

إهداء المترجم

يونس ابن هدى عبد المنعم ومحمد حميدة



إهداء المؤلف

هارييت ألفينا باوم نيل[1]

1) Harriet Alvena Baum Neal, the author's ldest sister.



المحتويات

1 الزلزال 17

2 مدينة الزجاج 23

3 وصول الساحر 35

4 مملكة النباتات 47

5 دورثى تقطف الأميرة 57

6 المنجابوس خطرون 65

7 إلى داخل الهوَّة السوداء والخروج منها ثانية 73

8 وادى الأصوات 79

9 قتال الدببة غير المرئية 87

10 الرجل مضفَّر الشعر من الجبل الهرمي 99

11 مقابلة الجارجوليس الخشبية 107

12 الهروب المدهش 115

13 عرين الدارجونتس 127

14 الأميرة أوزما تستخدم الحزام السحري 135

15 لم شمل الأصدقاء القدامى 147

16 جيم حصان الجر 157

17 الخنازير التسع الصغيرة 167

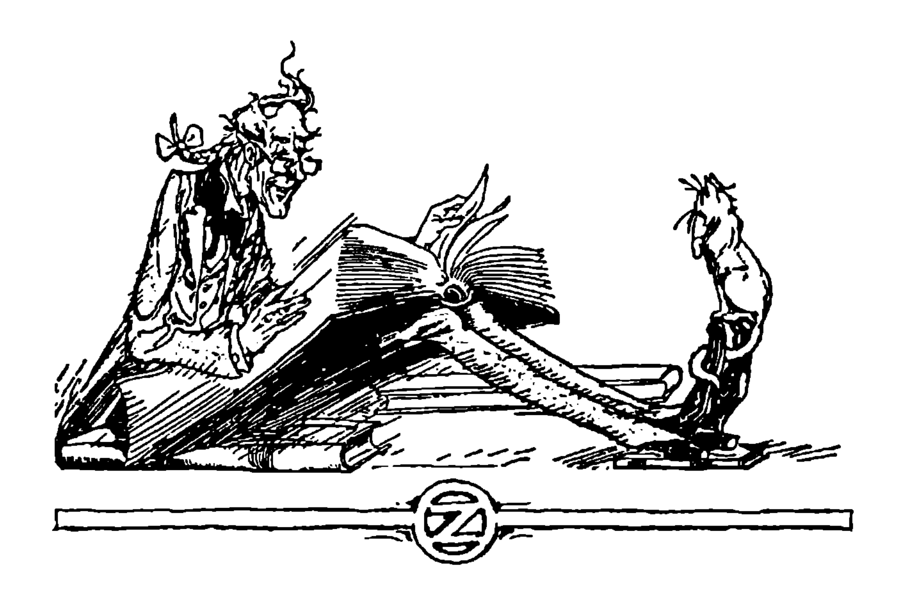
18 محاكمة إريكا 175

19 الساحر يؤدى خدعة أخرى 183

20 ذيب يعود إلى المراعى 193

الخاتمة 197





إلى قرّائي

لا فائـدة، الأطفـال لـم يسـمحوا لى بالتوقُّـف عـن حكايـات أرض أوز. أعـرف قصصًـا أخـرى وأتمـنى حكيهـا، لكـن أحبـائى الطغـاة لا يسـمحون لى، فهـم يهتفـون: "أوز.. أوز! نريـد المزيـد مـن حكايـات أوز يـا أسـتاذ بـاوم"، فمـاذا أفعـل غـير طاعـة أوامرهـم؟

هــذا الكتــاب هــو كتــابى أنــا والأطفــال معًــا، فقــد أمــدُّونى بمئـات الاقتراحـات، وبـكل أمانـة حاولـت دمـج اقتراحاتهـم بمـا يتناسـب مـع سـير القصـة.

بعـد النجـاح السـاحق لكتـاب "أوزمـا أمـيرة أوز"، أصبـح مـن الواضـح أن دورثى عنـصر أسـاسى فى حكايـات أوز. فالصغـار كلهـم يحبونهـا، وأحدهـم قـال: "لـن تكـون قصـة أوز حقيقيـة مـن دونهـا". لـذا هـا هـى هنـا مـرة ثانيـة، جميلـة ومهذبـة وبريئـة كمـا هـى دومًـا، كمـا أتمـنى، بطلـة مغامـرة عجيبـة أخـرى.

هنـاك طلبـات عديـدة مـن المتلقِّـين الصغـار لـ"المزيـد عـن السـاحر"، فيبـدو أن صديقنـا القديـم الظريـف أصبـح لـه جمهـور منـذ الكتـاب الأول،

رغم حقيقة أنه عَرَّف نفسه بكل صراحة بأنه "محتال". فقد سمع الأطفال كيف طار في السماء بالبالون، وهم الآن ينتظرون نزوله إلى الأرض ثانية، لذا سأحكي "ماذا حدث للساحر بعد ذلك" في الصفحات القليلة المقبلة، نفس الساحر المحتال الذي عرفتموه قبلا.

هناك أمرٌ واحد طلبه الأطفال ووجدته مستحيلاً في هذا الكتاب: فقد طلبوا مني تقديم دودو، كلب دورثي الصغير الأسود، الذي أصبح له أصدقاء كثيرون بين القرَّاء. فعندما تبدأ قراءة القصة ستجد أن دودو في كانساس، ودورثي في كاليفورنيا، وستخوض مغامراتها من دونه. في هذا الكتاب ستأخذ دورثي قطتها الصغيرة بدلاً من الكلب. لكنني في الكتاب المقبل، لو سُمِح لي بتأليف كتاب آخر، أعتزم حكي الكثير عن تاريخ دودو.

أما الأميرة أوزما، التي أُحبُّها بالقدر نفسه الذي يحبُّها قرَّائي، فأقدمها في هذه القصة، مع كل الأصدقاء القدامى من أوز. وسأقدم أيضًا جيم حصان الجر[1] Jim the Cab-Horse، والخنازير التسعة الصغار[2] Nine Tiny Piglets، والقطة الصغيرة إريكا[3] Eureka the Kitten التي لا تتصرف كما يجب، لأنها لم تُربَّ بطريقة سليمة، كما ستعرفون، فقد وجدتها دورثي ولا أحد يعرف والديها.

أعتقد، يا أعزاء، أنِّي أكثر الحكَّائين فخرًا بنفسه، فكثير من الأحيان تقف دموع الفرح والفخر في عيني عندما أقرأ الرسائل الرقيقة الجذابة التي تصلني تقريبًا في كل بريد من قرَّائي الصغار. لأني أسعدتكم، ولأني أثرت اهتمامكم، ولأني كسبت صداقتكم، وربما حبكم، من خلال قصصي، وهو في رأيي إنجازٌ كبير، مثل أن تصبح رئيسًا للولايات الأمريكية

(1) Cab-Horse هو حصان متوسط الحجم يُستخدم في جرِّ عربات الركَّاب بعدما ينتهي تاريخه كحصان سباق.

(2) Piglets هو نوع من الخنازير، ضئيلة الحجم في حجم فأر، وتُستخدم في ألعاب السيرك.

(3) Kitten هي القطة الصغيرة وEureka كلمة يونانية قديمة بمعنى "وجدتها".

المتحـدة. وبالتأكيـد، أُفضِّـل أن أكـون حـكَّاء، بمثـل كل هـذا الحـب، عـلى أن أكـون في منصـب الرئيـس. فقـد سـاعدتموني في تحقيـق طموحـي في الحيـاة. وأنـا ممـتنّ لذلـك، يـا أعـزاء، وامتنـاني أكـبر مـن التعبـير عنـه بمجـرد كلمـات.

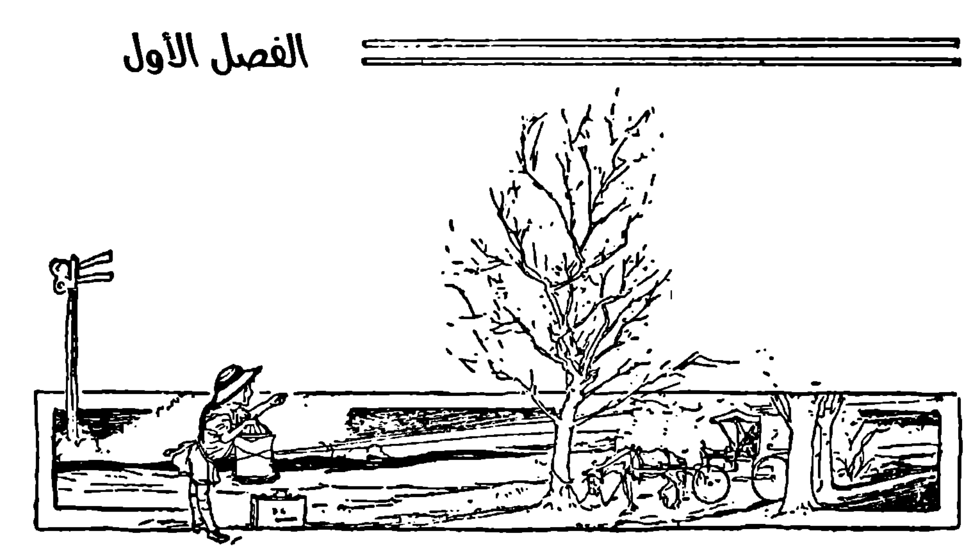
لقـد حاولـت الـرد عـلى كل رسـالة مـن الصغـار الذيـن يراسـلونني، ولكـن في بعـض الأحيـان تصلـني رسـائل كثـيرة، فكونـوا صبوريـن يـا أصدقـائي، فالـردُّ عـلى رسـائلكم حتمًـا سـيصلكم، فكتابتكـم الرسـائل وردِّي عليهـا يسـاعدني عـلى إكمـال المهمـة الممتعـة في إعـداد هـذه الكتـب. بجانـب أني فخـور بـأن أقـرَّ بـأن هـذه الكتـب جـزءٌ منكـم. فاقتراحاتكـم ترشـدني في سرد هـذه القصـص. وأنـا واثـق بأنهـا لـن تكـون بنصـف جمالهـا مـن دون مسـاعدتكم الذكيـة والعميقـة.

ل. فرانك باوم

كولارادو 1908


D.G.
KANSAS, USA.

الفصل الأول



الزلزال

القطار المنطلق من فريسكو[1] تأخَّر جدًّا. كان من المفترض أن يصل إلى مشارف هاجسون عند منتصف الليل، لكن الآن، وصلت الساعة إلى الخامسة، وخيوط الفجر الرمادية شقشقت من الشرق، حين تهادى القطار الصغير إلى داخل السقيفة المفتوحة لمبنى المحطة. نادى محصِّل التذاكر بأعلى صوته عندما توقَّف القطار: "ضواحى هاجسون!"

على الفور نهضت فتاة صغيرة من مقعدها فى القطار ومشت إلى باب العربة، وفى يدها حقيبة سفر من البوص، وفى اليد الأخرى قفص مدوَّر آخر للطيور مغطى بورق الجرائد. وتحت ذراعها مظلة واقية من الشمس. ساعدها محصل التذاكر على النزول من القطار، وبدأ قائد القطار فى التحرُّك به مرة أخرى. هدر القطار ونفث بخارًا وتحرَّك ببطء. السبب فى تأخُّره عن موعده، هو أن القضبان تظل طوال الليل

(1) Frisco' هى اختصار لاسم مدينة سان فرانسيسكو بشمال ولاية كاليفورنيا وهو الاسم القديم لها.

تهتز، لأن الأرض الصلبة كانت ترتجف من تحته، فخاف قائد القطار أن تنفك القضبان الحديدية، تقع حادثة مأساوية للركاب.

وقفت الفتاة الصغيرة على رصيف المحطة تراقب القطار يتلاشى بعيدًا فى المنحنى، وبعدها التفتت لترى أين هى.

السقيفة المفتوحة فى مبنى محطة ضواحى هاجسون خالية إلا من مقعد خشبى. وعندما نظرت دورثى عبر الضوء الرمادى الناعم للفجر، لم ترَ أى مبنى من أى نوع بالقرب من المحطة، ولم ترَ أى شخص فى الأفق أيضًا، ولكن بعد فترة رأت الفتاة حصانًا وعربة حنطور صغيرة بالقرب من مجموعة أشجار على مسافة قصيرة. سارت نحوهما، فوجدت أن الحصان مربوط فى الشجرة ولا يتحرك، ورأسه منحنٍ لأسفل ويكاد يقترب من الأرض. كان حصانًا كبيرًا، طويلاً ونحيلاً، له أرجل طويلة ورُكَبٌ وحوافر ضخمة.

كانت تستطيع عدَّ ضلوعه بسهولة، فقد كانت تظهر من تحت جلده، أما رأسه فطويل، ويبدو أكبر من جسده، ففكرت فى أن هذا الرأس لا يناسبه. ذيله قصير وضامر، كما أن سرجه مكسور فى مواضع عدَّة، ومربوط بالحبال والأسلاك. بدت العربة التى يجرُّها جديدة تقريبًا، فلها مظلة لامعة وستائر على الجوانب، دارت الفتاة حولها لتتمكَّن من رؤية ما بداخلها. فرأت صبيًّا متكورًا على المقعد الخلفى، غارقًا فى النوم.

وضعت قفص الطيور على الأرض، ونكَزَت الصبى بيد مظلتها برفق. وعلى الفور صحا الصبى واعتدل على المقعد، وفرك عينيه بخفة، وقال بعدما رآها: "مرحبًا! هل أنتِ دورثى جيل؟"

نظرت باهتمام إلى شعره الأشعث وعينيه المغمضتين الرماديتين، وأجابت: "نعم، هل أتيت كى توصلنى إلى مراعى هاجسون؟"

قال: "طبعًا، هل وصل القطار؟"

قالت: "بالطبع، فلن أكون هنا إلا لو وصل فعلاً!"

ضحـك مـن ردِّهـا، وكانـت ضحكتـه مرحـة وبريئـة. قفـز مـن العربـة وحمـل حقيبـة دورثى ووضعهـا تحـت المقعـد، ووضـع قفـص الطيـور عـلى الأرضيـة فى مقدمـة العربـة.

وسألها: "هل هذه طيور الكنارى؟"

قالت: "لا، بل هى قطتى الصغيرة، إريكا"، فأومأ الصبى بالموافقة.

قال: "إريكا، اسم ظريف لقطة".

أوضحـت دورثى: "لقـد أسـميتها إريـكا لأنى وجدتهـا، فعمـى هـنرى يقـول إن (إريـكا) تعـنى (وجدتهـا)".

فقال: "حسنًا، اركبى".

صعـدت للعربـة وتبعهـا الصـبى، وتنـاول اللجـام وهـزَّه وهتـف بالحصـان: "انهـض"[1]، ولكـن الحصـان لـم يتحـرَّك. لمحـت دورثى الحصـان يهـزُّ إحـدى أذنيـه المتدليتـين، وهـذا كل مـا فعلـه. فكـرر الصـبى الهتـاف: "انهـض!" ولكـن الحصـان ظـل واقفًـا لا يتحـرك.

قالـت دورثى: "إن فككـت الحبـل المربـوط بـه فى الشـجرة، سـوف يتحـرك!" ضحـك الصـبى بمـرح وقفـز مـن العربـة لـلأرض، وقـال: "أظـن أنى مـا زلـت نصـف نائـم". وفـك الحصـان وأكمـل: "لكـن جيـم يعـرف الطريـق جيـدًا، أليـس كذلـك يـا جيـم؟" وربـت عـلى أنـف الحصـان برفـق.

ثـم أضـاف: "اعتقـدت أن القطـار لـن يصـل أبـدًا، لقـد انتظـرت عـلى المحطـة أكـثر مـن خمـس سـاعات".

قالـت دورثى: "لقـد كان هنـاك كثـير مـن الهـزات فى الأرض، ألـم تشـعر بهـا؟"

---

(1) يقـول للحصـان gid-dap، وهـى لهجـة أمريكيـة خاصـة تُقـال للخيـول لتـسرع فى العـدو أو لتنطلـق، وتُنطـق كلمـة واحـدة Giddap، وهـى تحريـف لكلمـة get-up، وترجمتهـا "انهـض".

قال: "نعم، لكننا نعتاد عليها هنا فى كاليفورنيا، فلم تعد تخيفنا كثيرًا".

قالت: "محصل التذاكر أخبرنا بأنها أسوأ هزَّات شهدها".

قال الصبى بعد تفكير: "أهذا ما حدث فعلًا! ربما حدثت خلال نومى".

قالت دورثى مستفسرة، بعد فترة من السير على الطريق بهدوء: "كيف حال عمى هنرى؟"

قال الصبى: "فى أحسن حال، هو وعمى هاجسون يقضيان وقتًا جميلاً".

سألت: "هل مستر هاجسون عمك؟"

قال الصبى بصوت مرح: "نعم، عمى بيل هاجسون، تزوَّج بأخت زوجة مستر هنرى، لهذا يجب أن نكون أبناء عمومة.. أنا أعمل عند عمى بيل فى المرعى[1] الذى يملكه، وهو يعطينى ستة دولارات فى الشهر، إضافة إلى الإقامة".

قالت بشك: "أليست هذه صفقة جيدة؟"

قال ضاحكًا: "نعم إنها صفقة جيدة، لعمى بيل وليس لى، فأنا عامل مجتهد، لدرجة أنى أعمل وأنا نائم!"

سألته دورثى، وهى تفكر فى أنها ستُعجب بهذا الصبى وروحه المرحة: "ما اسمك؟"

أجابها بخجل: "إنه ليس اسمًا جميلاً، اسمى ذيبدايا[2]، لكن الرفاق ينادوننى (ذيب)... لقد ذهبتِ إلى أستراليا، أليس كذلك؟"

---

(1) ذيب يعمل فى ranch، وفى لهجة شمال أمريكا تُستخدم بمعنى مقارب لمعنى farm، والكلمتان ترجمتهما فى العربية مزرعة، ولكن هناك فروقًا كثيرة، أهمها أن ranch مزرعة متخصصة فى المواشى، وfarm مزرعة للأراضى الزراعية. لذا فالأقرب للعربية أن ranch مرعى للماشية.

(2) اسمه Zebediah، وهو اسم ذكر يهودى ذُكر فى التوراة، ومعناه "هدية يهوه"، وهو شخصٌ قابل المسيح.

أجابت دورثى: "نعم، مع عمى هنرى. لقد وصلنا إلى سان فرانسيسكو منذ أسبوع، وتوجَّه عمى هنرى إلى مراعى هاجسون فورًا، أما أنا فقد ظللت هناك لأيام لقضاء وقت مع أصدقاء قابلتهم هناك".

سألها: "كم من الوقت ستُمضين معنا؟"

أجابت: "يوم واحد فقط، غدًا، فيجب على عمى هنرى الرحيل والعودة إلى كانساس، فقد تركناها منذ وقتٍ طويل، ونحن فى شوقٍ للعودة إلى البيت مرة ثانية".

ضرب الصبى الحصان الكبير النحيل بالسوط بحِرَفية. ثم بدأ يقول شيئًا لرفيقه الحصان، لكن قبل أن يبدأ الكلام، تأرجحت العربة بقوة يمينًا وشمالاً، كما لو كانت الأرض ترتفع من تحتهم، وفى الدقيقة التالية سمعوا صوت تحطُّمٍ حادًّا، ورأت دورثى شرخًا واسعًا يُفتَح فى الأرض ثم يتحرَّك ليُقفل ثانية.

قبضت دورثى على المسند الحديدى للمقعد وصرخت: "يا إلهى! ما هذا؟".

رد ذيب الذى بدا وجهه شاحبًا: "إنه زلزالٌ كبيرٌ، لقد كاد يبتلعنا يا دورثى".

توقَّف الحصان بصرامة على صخرة ثابتة، فهز ذيب اللجام ليتحرك الحصان، لكن جيم كان أكثر عنادًا ولم يتحرك، فتناول الصبى السوط وفرقع به فى الهواء، فلمس ظهر الحصان بطرفه. فأصدر جيم صوت أنين منخفضًا، ثم تحرك ببطء ثانية.

لم يتكلم الصبى أو الفتاة لبضع دقائق بسبب الخوف، فالأرض كانت تهتز بعنف كل دقيقة. انتصبت أذن جيم فوق رأسه، وكل عضلة فى جسده صارت متوترة ومشدودة. لم يُسرِع، ولكن انتشرت بقع من رغاوى على ظهره، وأحيانًا كان يرتعد كورقة شجرة.

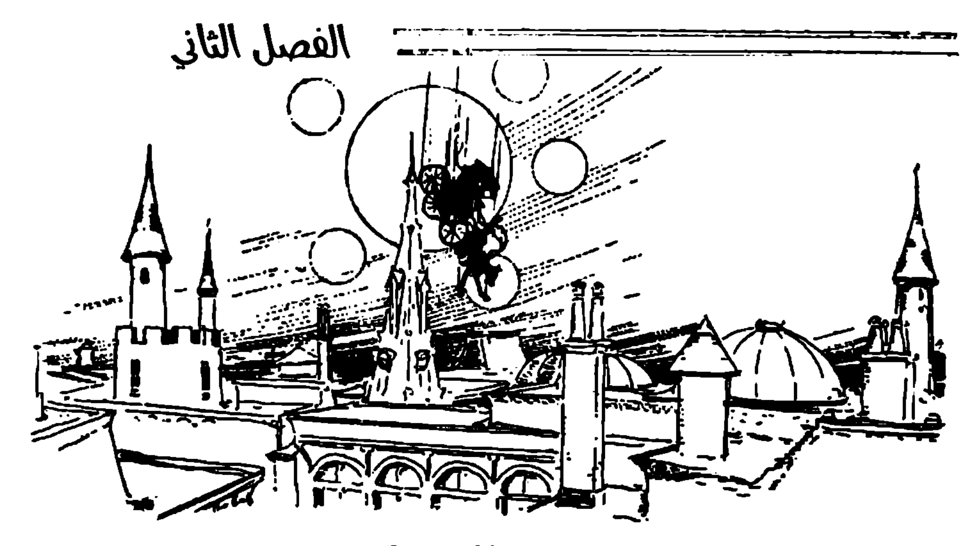
السماء صارت قاتمة، وأصدرت الرياح أصواتًا غريبة جعلت الوادى أكثر كآبة. وفجأة ظهر شِقٌّ فى الأرض، مع صوت تمزق رهيب، وانشقَّت الأرض عن صدعٍ آخر تحت أقدام الحصان بالضبط. فوقع الحصان بالكامل فى الحفرةِ وهو يصهل من الرعب، ويجر العربة وراءه.

أمسك كل من دورثى وذيب بقضيب أعلى العربة بسرعة، بسبب الاندفاع المفاجئ فى الهواء. عمَّ الظلام حولهما من كل جانب. وانتظرا فى صمتٍ لاهثٍ مصيرهما بين السقوط إلى أسفل والانسحاق تحت الصخور المسنَّنة، أو أن تنغلق الأرض عليهما وتدفنهما فى أعماقها الرهيبة.

الإحساس الرهيب بالسقوط، والظلام والأصوات المرعبة، كانت أكثر مما تتحمله دورثى، ففقدت وعيها. أما ذيب، لكونه رجلاً، فلم يفقد وعيه، ولكنه أحس بفزع رهيب، فتشبَّث بمقعده، وتوقَّع أن كل لحظة تأتى ستكون آخر لحظة فى عمره.



الفصل الثاني



مدينة الزجاج

عندما أفاقت دورثى، كانت العربة لا تزال تهبط داخل صدع الزلزال، ولكن ليس بسرعة، فمظلَّة عربة الحنطور التى تركبها مع ذيب مُلئت بالهواء مثل البراشوت أو كمثل شمسية معبئة بالرياح، فجعلتهم يطفون فى الهواء إلى أسفل بحركة لم يكن صعبًا تحمُّلها. أسوأ شىء هو الرعب من الوصول إلى قاع هذا الصدع الكبير فى الأرض، والخوف الطبيعى من الموت المفاجئ فى أى لحظة. أصوات التحطُّم تردَّدت فوق رأسيهما، حيث تعود جوانب الصدع للالتآم مرة أخرى خلفهما، والصخور والركام تتناثر حولهما وتصطدم بمظلة العربة من الخلف. أما جيم فكان يصرخ كأنه إنسان عندما تخبط الصخور فى جسده، تلك الصخور لم تؤذى الحصان المسكين بشكل ضار، لأن كل شيء كان يسقط مع بعض؛ الصخور والركام تسقط أسرع من العربة والحصان، التي تم كبحها بواسطة ضغط الهواء، لكنه فى الواقع كان مرعوبًا أكثر من كونه مصابًا.

كـم مـن الوقـت استمر هـذا الوضـع، لـم تسـتطع دورثى التخمـين أبـدًا، فقـد كانـت مرتبكـة جـدًّا. ولكـن رويـدًا رويـدًا، رأت بصعوبـة هيئـة الحصـان جيـم فى العتمـة، كان رأسـه مرفوعًـا فى الهـواء، وأذنـاه منتصبتـين إلى أعـلى، وأرجلـه الطويلـة تتحـرك فى كل اتجـاه وهـو يتخبَّـط فى الفضـاء. وعندما أدارت رأسـها وجـدت ذيـب بجانبهـا، وكان حـتى ذلـك الوقـت متشـبثًا بالمقعـد وصامتًـا مثلهـا.

تنهـدت دورثى، وأدركـت أن المـوت ليـس مقـدَّرًا لهـا رغـم كل شىء. أحسَّـت أنهـا عـلى وشـك البـدء فى مغامـرة أخـرى غريبـة وغـير عاديـة، مثـل المغامـرات الـتى خاضتهـا مـن قبـل.

بهـذه الأفـكار الـتى دارت فى رأسـها، تفاءلـت دورثى، وأمالـت رأسـها عـلى جانـب العربـة لـترى مـن أيـن يـأتى الضـوء الغريـب. رأت سـت كـرات كبـيرة متوهجـة ولامعـة عـن بعـد معلَّقـة فى الهـواء بالأسـفل، وفى المنتصـف كـرة بيضـاء اللـون هـى أكبرهـا، ذكَّرتهـا بالشـمس، وحولهـا تراصَّـت الكـرات الخمـس مثـل أطـراف نجمـة، واحـدة باللـون الزهـرى والثانيـة بنفسـجية والثالثـة صفـراء والرابعـة زرقـاء والخامسـة برتقاليـة. هـذه المجموعـة الرائعـة مـن الشـموس الملونـة أطلقت الأضـواء فى كل اتجـاه. وبينمـا العربة، وبداخلهـا ذيـب ودورثى، تسـقط إلى أسـفل، وتقـترب مـن تلـك الأضـواء، بـدأت أشـعة الأضـواء تأخـذ كل الصبغـات الرقيقـة لقـوس قـزح، وتزايـدت تألقًـا أكـثر وأكـثر حـتى غمـرت المـكان كلـه بإضـاءة باهـرة.

مـا زالـت دورثى تشـعر بالـدوار، فلـم تسـتطع الـكلام، لكنهـا رأت إحدى أذنى جيـم الكبيرتـين تتحـول إلى اللـون البنفسـجى، والأخـرى تتحـول إلى اللـون الزهـرى، وتعجَّبـت مـن أن ذيلـه تحـوَّل إلى اللـون الأصفـر، وجسـمه أصبـح مخططًـا مثـل الحمـار الوحـشى ولكـن باللونـين الأزرق والبرتقـالى، وعندمـا نظـرت إلى ذيـب، وجـدت وجهـه أزرق وشـعره تحـول إلى اللـون الـوردى، فضحكـت ضحكـة خفيفـة بـدت متوتـرة قليـلاً، وسـألته: "أليـس هـذا مضحـكًا؟" اندهـش الصـبى وعينـاه اتسـعتا حـين شـاهد دورثى الـتى حصلـت عـلى مسـحة مـن اللـون الأخـضر فى منتصـف وجههـا، واختلـط

اللـون الأصفـر والأزرق عليهـا. ويبـدو أن مظهرهـا الملـوّن الغريـب زاد مـن خوفـه، فقـال متلجلجًـا: "أنـاااا.. لا أررررى.. أى شششـشىء مـم مـم مـم مضحـك".

مالـت العربـة عـلى أحـد جانبيهـا، ومـال جسـم الحصـان أيضًـا، وهـم مـا زالـوا يسـقطون، وظـل الصـبى والفتـاة متشـبِّثين بمقعديهمـا، كمـا كانـا منـذ بدايـة سـقوطهما. بعدهـا دارت العربـة حـول نفسـها رأسًـا عـلى عقـب، واسـتمرت فى الـدوران مـرة أخـرى ببـطء حـتى عـادت إلى وضعهـا الصحيـح. خـلال ذلـك كان جيـم يجاهـد بهيـاج، ويرفـس بأرجلـه فى الهـواء، ولكنـه عندمـا وجـد نفسـه فى المقدمـة مـرة أخـرى، قـال بنـبرة ارتيـاح: "حسـنًا، هـذا أفضـل بكثـير!"

نظـر ذيـب ودورثى كلاهمـا إلى الآخـر فى تعجـب، وتسـاءلت دورثى: "هـل يسـتطيع حصانـك الـكلام؟"

رد الصبى: "لم أكن أعرف من قبل أنه يستطيع!"

قـال الحصـان: "هـذه أول مـرة أتحـدث، ولا أعـرف كيـف أُفسِّر هـذا. أليـس ظريفًـا هـذا الشـقّ الـذى أدخلتمـونى فيـه؟"

أجابـت دورثى بمـرح: "لقـد دخلنـا كلنـا فى هـذا الشـق، ولكـن لا تشـغل بالـك، سـيحدث أمـر جيـد قريبًـا".

صهل الحصان وقال: "بالطبع، وعندها سنشعر بالأسف!"

أصابـت ذيـب قشـعريرة خـوف، فـكل مـا يحـدث حولـه مريـع وغـير واقعـى ولـم يسـتطع فهمـه، وهـذا كان كافيـا ليظـل خائفًـا.

سرعـان مـا اقتربـوا مـن الشـموس الملوَّنـة المتوهِّجة، ومـرُّوا بجانبهـا. كان الضـوء مبهـرًا جـدًّا لدرجـة أنـه زغلـل أعينهـم، فغطيـا وجهيهمـا بأيديهمـا خوفًـا مـن الإصابـة بالعمـى. لـم تشـع الشـموس الملونـة أى حـرارة مـع ذلـك، وبعـد أن مـروا تحتهـا، حجـب الجـزء العلـوى مـن العربـة معظـم الأشـعة، فتمكَّـن الصـبى والفتـاة مـن فتـح أعينهمـا مـرة أخـرى.

قـال الصـبى بتنهيـدة عميقـة: "علينـا الوصـول إلى القـاع، فليـس مـن المعقـول أن نسـقط للأبـد، أليـس كذلـك؟"

قالـت دورثى: "بالطبـع لا، نحـن فى مـكان مـا فى منتصـف الكـرة الأرضيـة، وسـيمر وقـت طويـل قبـل الوصـول إلى الجانـب الآخـر منهـا، لكـن ألا تـرى أن جوفهـا كبـير جـدًّا؟"

أجاب الصبى: "كبيرٌ بشكل فظيع!"

قال الحصان: "نحن على وشك الوصول إلى شىء ما الآن".

عندهـا أطـلَّ الاثنـان مـن جانـبى العربـة لينظـرا تحتهمـا، وبالفعـل، كانـت هنـاك أرض فى الأسـفل، ليسـت بعيـدة، ولكنهـم يتحركـون بتمهُّـل كأنهـم عائمـون فى الهـواء، لدرجـة أنى لا يمكننـى وصـف مـا يحـدث الآن بأنـه سـقوط. وقـد وجـد الطفـلان متسـعٌ مـن الوقـت للتفكـير والتفـاؤل بمـا هـو آتٍ.

رأيـا مسـاحة شاسـعة مـن الأراضى بجبـال وسـهول وبحـيرات وأنهـار، تمامًـا مثلمـا يوجـد فـوق سـطح الأرض، والمناظـر كلهـا ملوَّنـة بشـكل رائـع بالأضـواء البراقـة مـن الشـموس السـت. تتناثـر هنـا وهنـاك مجموعـات مـن البيـوت الـتى يبـدو أنهـا مصنوعـة مـن الزجـاج الصـافى، فهـى تتـلألأ بألـوان زاهيـة.

قالـت دورثى، برزانـة: "أنـا واثقـة بأننـا لـم نعـد فى خطـر، فنحـن نسـقط بهـدوء ولـن نقـع محطَّمـين عـلى الأرض، وهـذه البلـدة الـتى سـنصل إليهـا تبـدو لطيفـة وجميلـة!"

تـأوه ذيـب بقلـق وقـال: "عـلى الرغـم مـن ذلـك، يبـدو أنـنى لـن أعـود للبيـت ثانيـة!"

ردت دورثى: "أوه، أنـا لسـت متأكـدة مـن ذلـك، لكـن لا تقلقنـا الآن يـا ذيـب، فنحـن لا نسـتطيع فعـل شىء، فكمـا تعرف،فدائمـا مـا يقـال، مـن الغباء استدعاء المشكلات".



صمت الصبى ولم يرد على هذه الحجة، وسرعان ما استغرقوا فى التحديق فى المشاهد الغريبة المنتشرة تحتهم، فيبدو أنهم سينزلون فى منتصف مدينة كبيرة بها مبانٍ طويلة لها قباب من الزجاج، وأبراج مدببة، هذه الأبراج المدببة مثل الرماح الكبيرة، فإن تعثَّروا فى واحدة منها، سيصابون بإصابات خطيرة.

الحصان جيم شاهد تلك الرماح المدببة، وعلى الفور انتصبت أذناه من الخوف، وكتم ذيب ودورثى أنفاسهما من الدهشة والترقُّب، لكن لحسن الحظ، طافوا بلطف إلى أسفل على سطح مبنى عريض، واستقروا عليه أخيرًا.

عندما أحسَّ جيم بشىء ثابت تحت أرجله، تعثرت قدم الحيوان المسكين قليلاً، حتى استعاد توازنه ووقف مرة أخرى، ولكن ذيب قفز فجأة من العربة إلى السطح، وبدا عليه أنه أخرق ومتسرع، لدرجة أنه ركل قفص الطيور الذى تملكه دورثى دون قصد خلال قفزته، فتدحرج القفص على السطح، وخرجت منه قطة صغيرةورديّة، وجلست على السطح الزجاجى. تثاءبت وغمزت بعينيها المستديرتين.

هتفت دورثى: "أوه، إنها إريكا!"

قال ذيب: "هذه أول مرة أرى قطة وردية اللون!"

قالت دورثى: "إريكا ليست وردية، إنها بيضاء، هذه الأضواء الغريبة هى التى أعطتها هذا اللون".

نظرت القطة إلى دورثى وقالت: "أين اللبن؟ أين فطورى؟ سأموت من الجوع!"

قالت دورثى بدهشة: "أوه يا إريكا! هل تتكلمين؟"

قالت القطة: "أنا أتكلم الآن، يا إلهى! أليس التكلُّم شيئًا ظريفًا؟"

قال ذيب بتوجُّس: "كل هذا خطأ، الحيوانات لا تتكلم، لكن جيم يتكلم منذ وقوع تلك الحادثة لنا!"

قال جيم بصوت أجش: "أنا لا أرى أى خطأ، لكن ما الذى سيحدث لنا الآن؟"

أجاب ذيب وهو ينظر حوله بفضول: "لا أعرف!"

كانت بيوت المدينة كلها مصنوعة من الزجاج، واضحة وشفافة لدرجة أنك ترى عبر الجدران بسهولة كأنك تنظر عبر النافذة. رأت دورثى، من خلال السطح الزجاجى الذى تقف عليه، غرفًا تُستخدم كقاعات للاستراحة. رغم ذلك، لاحظت عددًا من الهيئات الغريبة المكوَّمة فى أركان هذه الغرف.

كان السطح بجانبهم يخترقه ثقب كبير على أثر تحطُّم ما، وقطع الزجاج متناثرة فى كل اتجاه، وبرج قريب مكسور وشظاياه متناثرة حوله، وهناك مبانٍ أخرى بها تصدُّعات فى أماكن متفرقة أو أركانها مكسورة. من المفترض أنها كانت جميلة قبل وقوع تلك الحوادث التى شوَّهت هذا الإتقان والجمال. سقطت صبغات قوس قزح من الشموس المنيرة على مدينة الزجاج بنعومة، وأعطت المبانى درجات متفاوتة وبرَّاقة من الألوان، وصنعت منظرًا مبهرًا يستحق المشاهدة.

لكن لم يصدر أى صوت يكسر هذا الصمت منذ قدوم الغرباء، إلا أصواتهم أنفسهم. فقد بدؤوا يتعجبون من أن لا أحد يعيش فى هذه المدينة المذهلة داخل جوف الأرض. فجأة، ظهر شخص من حفرة على سطح مبنى بجانب السطح الذى يقفون عليه. لم يكن رجلاً كبيرًا، بل له هيئة جيدة ووجه جميل، هادئ ورائق كأنه لوحة فنية لطيفة. كانت ملابسه تتناسب مع شكله بشكل مريح، ملوَّنة بشكل رائع فى طيف أخضر متألِّق، تباينت درجاتها فى أشعة الشمس، ولكنها لم تتأثر كليًّا بالأشعة الشمسية.

تقدم الرجل خطوتين على السطح الزجاجى، قبل أن يلاحظ الغرباء. عندها توقَّف فجأة. لم يرتسم على وجهه أى تعبير للخوف أو الدهشة، لكنه غالبًا شعر بالخوف أو الدهشة عندما وقعت عيناه على

الشكل الغليظ للحصان. لثانيةٍ سار بسرعة إلى أقصى حافة السطح، وأدار رأسه إلى الخلف وحدَّق في الحيوان الغريب.

صرخت دورثي: "احترس" عندما لاحظت أن الرجل الجميل لا ينظر إلى الاتجاه الذي يسير فيه، وأكملت: "انتبه وإلا وقعت"، ولكنه لم يعِرْ تحذيرها أي انتباه، واستمر في المشي على السطح الزجاجي نحو الحافة، وتقدَّم بخطوة خارجًا في الهواء، وأكمل سيره في الهواء بشكل طبيعي، كأنه يسير على الأرض الصلبة.

اندهشت دورثي وأطلقت شهقة طويلة وقالت: "يا للغرابة!"

أصدرت القطة الصغيرة صوتًا ضئيلاً وقالت: "نعم، ولكنه أمر ممتع حتى لو كان غريبًا".

التفتت دورثي إلى قطتها فوجدت أنها تسير بقدميها في الهواء خارج حافة السطح. صاحت دورثي: "إريكا، تعالى هنا!" وأكملت وهي تشعر بقرب مصيبة: "ستقتلين نفسك بالتأكيد!" قالت القطة: "أنا أملك تسع أرواح!" وأطلقت مواء خفيفًا، وسارت في دائرة ثم عادت ثانية إلى السطح وقالت: "ولكني لن أفقد أيًّا منها بالسقوط في هذا البلد، لأني في الحقيقة لا أستطيع السقوط حتى لو أردت!"

سألتها الفتاة: "هل يتحمَّل الهواء وزنك؟"

قالت القطة: "بالطبع، ألا ترين؟" واستدارت تتمشَّى في الهواء وعادت ثانية إلى السطح.

قالت دورثي: "إنه شيء رائع!"

اقترح ذيب مندهشًا: "أعتقد أننا يمكن أن نترك إريكا تنزل إلى الشارع، وتطلب لنا المساعدة".

ردَّت الفتاة: "ولماذا لا نجرب المشي في الهواء بأنفسنا؟"

تراجع ذيب بقلق وقال: "أنا لا أجرؤ على فعل ذلك!"

فنظرت دورثى إلى الحصان وقالت: "إذًا، فلندع جيم يحاول".

قال جيم: "وربما لا أحاول، لقد تشقلبت فى الهواء لوقت طويل حتى وقفت على هذا السطح!"

قالت الفتاة: "ولكننا لم نتشقلب فى الهواء إلى السطح، حين وصلنا إلى هنا كنا نطفو ببطء، أنا واثقة بأننا نستطيع الطفو فى الهواء إلى الشارع دون أن نصاب بأذى، إريكا تمشى فى الهواء بكل سهولة!"

رد الحصان: "إريكا تزن نصف رطل"، وأكمل بتكبُّر: "أما أنا فأزن نصف طن".

قالت الفتاة: "أنت لا تزن كل هذا الوزن، الذى تدعية" وهزت رأسها وهى تنظر إلى جسم الحيوان: "أنت نحيل جدًّا!"

قال الحصان، وطأطأ رأسه فى يأس: "أوه، نعم، فأنا عجوز. وواجهت كثيرًا من الصعوبات فى حياتى، لسنوات طويلة كنت أجرُّ عربة ركاب عامة فى شيكاغو، وهى مهنة تجعل أى حصان نحيلاً هكذا".

قال الصبى باندفاع: "أنا متأكد من أنه يأكل كثيرًا".

صهل جيم، وكأنه يعترض على مقولة ذيب: "أنا! هل تتذكّر أى فطور تناولته اليوم؟"

قال الصبى: "لم يتناول أى منا فطورًا، وفى وقت الخطر مثل الآن، يكون من الغباء الحديث عن الأكل!"

قال الحصان: "ليس هناك شىء أشد خطورة من البقاء بلا طعام!" كشر من التوبيخ الذى تلقَّاه من ذيب، وأكمل: "وفى الوقت الحاضر، لا أحد يخبرنا إذا كان هناك شوفان فى هذه البلد الغريبة. أعتقد أنه إن كان يوجد شوفان فسيكون من الزجاج!"

قالـت دورثى: "أوه، لا أعتقـد، لقـد رأيـت عـددًا مـن الحدائـق الجميلـة والحقـول الغنيـة فى الأسـفل وعـلى أطـراف المدينـة، لكـنى أتمـنى العثـور عـلى الطريـق لـلأرض!"

تسـاءلت إريكا: "لمـاذا لا نـنزل إلى الأسـفل؟ فأنـا جوعانـة مثـل الحصـان، وأريـد لبنًا"

التفتت دورثى إلى رفيقها وقالت: "هل ستحاول يا ذيب؟"

تـردد ذيـب، فمـازال شـاحبًا وخائفًـا، بسـبب تلـك المغامـرة المميتـة الـتي أزعجتـه وجعلتـه عصـبى وقلـق، ولكنـه لا يريـد أن تظـن الفتـاة أنـه جبـان، لذلـك تقـدم ببـطء إلى حافـة السـطح. أمسـكت دورثى يـد ذيـب، الـذى خطـا بقـدمٍ واحـدة وجعلهـا تسـتقر فى الهـواء بالقـرب مـن حافـة السـطح. وعندمـا أحـس أن الهـواء صلـب كفايـة، اسـتجمع شـجاعته وخطـا بقدمـه الأخـرى فى الهـواء. ظلـت دورثى ممسـكة بيـده وتبعتـه، وبعـد قليـل كان الاثنـان يمشـيان فى الهـواء، وسـارت القطـة تتبخـتر بجانبهمـا. فنـادى الصـبى: "تعـال يـا جيـم، كل شىء عـلى مـا يـرام".

أطـل الحصـان مـن الحافـة برأسـه لينظـر، ولأنـه حصـان عاقـل ومتمرس، اختـار عقلـه أنـه يسـتطيع الذهـاب كمـا فعـل الآخـرون، لـذا تقـدَّم فـوق السـطح، وعـلى الفـور وجـد نفسـه يطفـو فى الهـواء ناحيـة الشـارع، وزنـه الثقيـل جعلـه يهبـط أسرع مـن الطفلـين، فتخطَّاهمـا إلى أسـفل، وعندمـا وصـل إلى الرصيـف الزجاجـى، وقـع عليـه بنعومـة لدرجـة أنـه لـم يصـب بخـدش.

أطلقـت دورثى زفـيرًا طويـلاً وقالـت: "حسـنًا... حسـنًا، مـا هـذه المدينـة الغريبة؟"

تجمَّـع النـاس أمـام الأبـواب الزجاجيـة ليشـاهدوا الـزوار الجـدد، وسرعـان مـا احتشـد النـاس، وكان هنـاك رجـال ونسـاء ولكـن لا يوجـد بينهـم أطفـال، والنـاس كلهـم لهـم هيئـات جميلـة ومهندمـون بشـكل جـذاب، ولهـم وجـوه وسـيمة ورائعـة. لـم يكـن هنـاك رجـل قبيـح بـين الجمهـور

المحتشد. ولكن دورثى لم تكن مسرورة بتجمع هؤلاء الناس، خصوصًا لأن وجوههم لم يظهر عليها أى تعبيرات، وكانت مثل وجوه الدُّمى. فلم يبدُ عليهم الابتسام أو العبوس، ولا الخوف أو الدهشة، أو حتى الفضول أو اللطف. ببساطة نظروا إلى الغرباء، وأظهروا اهتمامًا بالقطة إريكا والحصان جيم. لأنهم لم يروا حصانًا أو قطة من قبل، أما الطفلان فهما يشبهانهم من الخارج.

سرعان ما انضم رجل إلى الحشد، وكان يرتدى نجمة لامعة على شعره الأسود، أعلى قليلاً من جبهته، وبدا أنه رجل صاحب سلطة فى هذا المكان، لأن الآخرين أفسحوا له طريقًا ليتقدَّم. بعدما نظر إلى القطة والحصان، توجه بالكلام إلى ذيب، الذى كان أطول من دورثى، وقال له: "أخبرنى أيها الدخيل، هل أنت السبب فى أمطار الصخور؟"

للحظة لم يفهم الصبى معنى السؤال، بعدها تذكر الصخور التى سقطت معهم وتجاوزتهم ووقعت على هذه الأرض قبل وصولهم إلى هذا المكان، فأجاب: "لا يا سيدى، نحن لم نتسبب فيها، إنما الزلزال".

وقف الرجل ذو النجمة هادئًا يفكر فى إجابة ذيب، ثم سأله: "وما هو الزلزال؟"

قال ذيب، الذى أصابته الحيرة: "لا أعرف!"

أجابت دورثى، التى رأت حيرة ذيب: "إنه هزَّات فى الأرض. فى هذا الزلزال، انشقَّ صدع فى الأرض ووقعنا فيه -العربة والحصان وكلنا- وأفلتت الصخور وجاءت معنا".

قال لها الرجل ذو النجمة: "أمطار الصخور سبَّبت ضررًا كبيرًا لمدينتنا، وسوف نحملكم المسئولية حتى تثبتوا براءتكم".

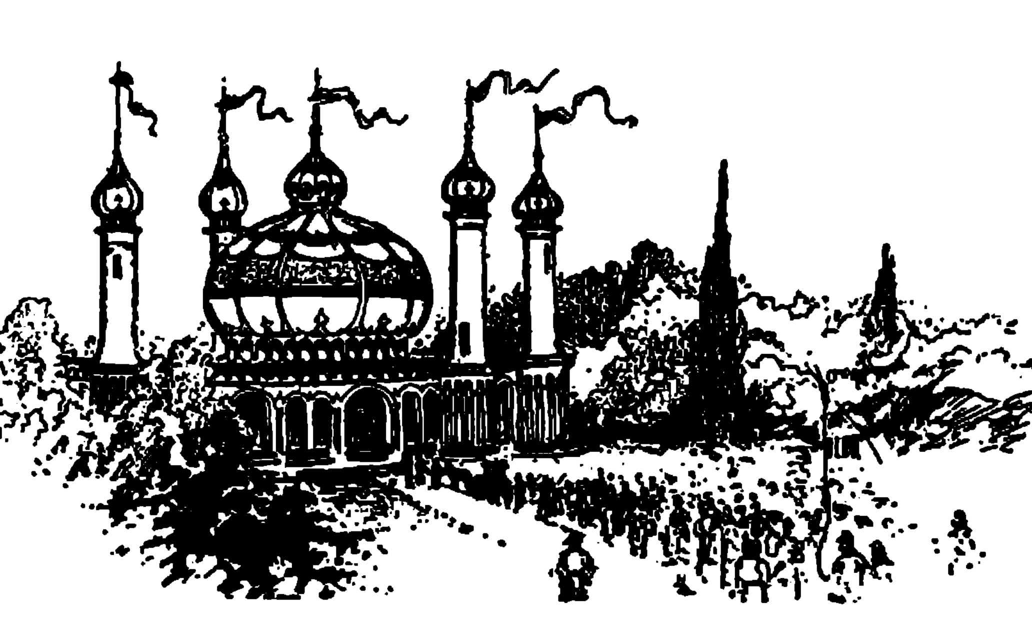
فسألته الفتاة: "وكيف نفعل ذلك؟"

قال الرجل: "أنا لا أملك إجابة، إنه شأنكم أنتم، وليس أنا، عليكم الذهاب إلى منزل المشعوذ، وسيكشف لنا الحقيقة فورًا".

فاستفسرت الفتاة: "وأين بيت المشعوذ؟"

قال الرجل: "سوف أدلكم، اتبعونى".

ثم استدار وتقدَّم فى الشارع، وبعد تردد للحظات، تحركت دورثى خلفه، حاملة إريكا تحت ذراعها، وركبت العربة التى يجرها جيم، وجلس ذيب على المقعد بجانبها وصاح: "هيا، انهض". جر الحصان العربة متمهلاً، وأفسح أهل المدينة الزجاجية لهم الطريق وساروا خلفهم كأنهم موكب. ساروا ببطء من شارع إلى آخر حتى وصلوا إلى ميدان مفتوح فى المنتصف، به قصر زجاجى كبير، له قبة مركزية، وأربعة أبراج فى كل ركن.



الفصل الثالث



وصول الساحر

كان مدخل القصر الزجاجى كبيرًا بما يكفى لدخول الحصان والعربة، فقاد ذيب العربة خلاله، ووجد الطفلان نفسيهما فى صالة فخمة وجميلة. تبعهم الناس إلى داخل القصر، وشكلوا دائرة على جوانب الغرفة الفسيحة، ووقف الرجل ذو النجمة والعربة والحصان فى منتصف الدائرة.

صاح الرجل بصوتٍ عالٍ: "تعالَ إلينا، يا جيوك".

على الفور، ظهرت سحابة من الدخان، وتمددت على سطح الغرفة ببطء، وتصاعدت إلى أعلى القبة، وعندما انقشعت، كشفت عن هيئة غريبة تجلس على عرش زجاجى، أمام أنف جيم تمامًا. تشبه هيئة المشعوذ شكل سكان هذه الأرض، أما ملابسه فكانت مختلفة، فهى تميل إلى الأصفر الفاقع. لكنه لم يملك شعر على الإطلاق وانتشر على رأسه الأصلع ووجهه وظهره ويديه أشواك حادة، كالتى تنمو على

سيقان الورد. وكانت هناك شوكة على أنفه، جعلت منظره مضحكًا، ولم تستطع دورثي أن تمنع ضحكة فلتت منها على منظره.

نظر المشعوذ ببرود عندما سمع ضحكة دورثى، وقال برصانة: "لماذا تجرأتم على اقتحام أرض المنجابوس المنعزلة؟"

ردت دورثى: "لم يكن لنا دخل فى هذا".

أكمل المشعوذ: "لماذا أرسلتم إلينا أمطار الصخور، التى دمرت البيوت؟"

قالت الفتاة: "لم نفعل".

صرخ المشعوذ: "أثبتى ذلك!"

أجابت دورثى بسخط: "ليس لزامًا علينا إثبات ذلك، لو عندك القليل من الفهم لعرفتَ أن الزلزال هو السبب".

قال المشعوذ: "نحن نعرف فقط أن أمطار الصخور تساقطت علينا أمس، وسبَّبت دمارًا شاملاً فى مدينتنا، وأصابت الكثير منا. واليوم، تساقطت مرة أخرى، وظهرتم أنتم بعدها بفترة قصيرة!"

نظر الرجل ذو النجمة مباشرة إلى المشعوذ، وقال: "بالمناسبة، لقد قلت لنا أمس إن أمطار الصخور لن تسقط مرة أخرى، وها هى سقطت ثانية، بأشد خطورة من الأولى، فبماذا تفيد شعوذتك إن لم تقل لنا الحقيقة؟"

قال المشعوذ المغطى بالأشواك: "شعوذتى تقول الحقيقة، لقد قلت إن أمطار الصخور ستحدث مرة واحدة، المرة الثانية التى حدثت فيها كانت بسبب هؤلاء الغرباء".

سأل الرجل ذو النجمة: "إذًا هل سيكون هناك المزيد من الأمطار أو الناس؟"

أجاب المشعوذ بثقة: "لا، يا أميري"

فعاد الأمير يؤكد على سؤاله: "لا صخور أو ناس"

أجابه المشعوذ: "لا، يا أميرى!"

قال الأمير ذو النجمة: "هل أنت متأكد؟"

قال المشعوذ: "واثق جدًّا يا أميرى، الشعوذة تقول هذا".

دخل رجل يجرى إلى داخل القصر وتوجَّه إلى الأمير، وقال له بصوت خفيض: "هناك مزيد من العجائب فى السماء يا سيدى".

وعلى الفور اندفع الأمير والناس إلى الشارع، لرؤية ما يحدث، فقفز ذيب ودورثى من العربة ولحقوا بهم، لكن المشعوذ جلس هادئًا على عرشه.

كان هناك شىء بعيد فى السماء يبدو كالبالون، لم يكن عاليًّا مثل الشموس الملونة، ولكنه ينزل بهدوء عبر الهواء. أثارت حركته البطيئة فى الهواء ذعر أهل المدينة، لكنهم ظلوا صامتين ينتظرون، وكان هذا كل ما يستطيعون فعله، فترك هذا المنظر الغريب مستحيل، كما أنهم لا يستطيعون دفع ذلك الشىء للإسراع بالوقوع.

كان الطفلان الأرضيان تقريبًا فى طول المنجابوس، لذا لم يلاحظهم أحد وسط الحشود، أما العربة والحصان فقد ظلَّا فى بيت المشعوذ، ومعهما القطة إريكا التى كانت نائمة على مقعد داخل العربة.

تدريجيًّا، ظهر البالون كبيرًا، وصار من الواضح أنه سينزل على أرض المنجابوس. استغربت دورثى من صبر هؤلاء الناس، وكان قلبها يدق بسرعة من الإثارة، لأن البالون جعلها تفكر فى العودة إلى سطح الأرض، وتمنت أن يكون هذا الوافد قادرًا على مساعدتها.

بعد ساعة، صار البالون قريبًا كفاية لتظهر السلة المدلاة منه، وبعد ساعتين رأت دورثى رأسًا ينظر من أحد جوانب السلة، وبعد ثلاث ساعات نزل البالون ببطء فى الميدان المربع الذى يقفون فيه، واستقر على الرصيف الزجاجى.

قفز رجلٌ ضئيلٌ خارجًا من البالون، وخلع قبعته الطويلة، وانحنى بأدب أمام الحشود من المنجابوس حوله. كان رجلاً عجوزًا ضئيل الحجم ورأسه طويل وأصلع بالكامل.

صاحت دورثى بكثير من الدهشة: "أوه، إنه أوزا!"

التفت الرجل إليها، وبدت عليه الدهشة مثلها، ولكنه ابتسم وانحنى بأدب أمامها، وقال: "نعم يا عزيزتى، أنا أوز العظيم المهيب، آه، وأنتِ الفتاة الصغيرة دورثى من كانساس، أنا أتذكرك جيدًا".

همس ذيب لدورثى قائلاً: "مَن هذا الشخص؟"

أجابته دورثى: "إنه ساحر أوز العجيب، ألم تسمع عنه؟"

هنا، تدخَّل الرجل ذو النجمة فى الحوار، ووقف أمام الساحر وقال: "يا أستاذ، ما الذى أتى بك إلى أرض المنجابوس؟"

رد الساحر أوز بابتسامة لطيفة: "أنا لا أعرف هذه الأرض التى هبطت عليها يا بنى، وللأمانة، لم أقصد زيارة هذا المكان حين بدأت رحلتى، فأنا أعيش فوق الأرض، حضرتك، وهو أفضل بكثير من العيش بداخلها، ولكن أمس صعدت بالبالون إلى أعلى، وعندما أردت الهبوط إلى الأرض، وقعت فى صدعٍ كبيرٍ فى الأرض، بسبب زلزال كبيرٍ، وقد نفد منى الغاز الذى يملأ البالون، فلم أستطع الصعود بالبالون مرةً أخرى، فنزلت فى الصدع، وبعد دقائق، عادت الأرض للالتئام مرة أخرى، وانغلق الصدع مرة أخرى، وتابعتُ الهبوط حتى وصلت إلى هذا المكان، وإن دللتنى على طريق للخروج، سأخرج بكل سرور. آسف لو كنت سببتُ لكم إزعاجًا، لكن لم تكن لى يد فى هذا!"

استمع له الأمير بانتباه ثم قال: "الفتاة الصغيرة القادمة من سطح الأرض، مثلك، تقول إنك ساحر، هل الساحر يشبه المشعوذ؟"

ردَّ أوز فورًا: "بل أفضل! فساحرٌ واحدٌ أفضل من ثلاثة مشعوذين"[1].

قال الأمير: "آه، إذًا عليك إثبات ذلك. نحن شعب المنجابوس، فى الوقت الحاضر، نملك واحدًا من أفضل المشعوذين الذين تم قطفهم من الأدغال، ولكنه فى بعض الأحيان يخطئ، هل ارتكبت أنت أخطاء من قبل؟"

قال الساحر بجرأة: "إطلاقًا!"

قالت دورثى: "أوه، أوز، لقد ارتكبت كثيرًا من الأخطاء فى أرض أوز المدهشة!"

قال الرجل الضئيل: "هذا هراء!" واحمرَّ وجهه، على الرغم من أن شعاع ضوء بنفسجى قد لوَّن وجهه.

قال الأمير: "تعال معى، أريدك أن تقابل مشعوذنا".

الساحر لم تعجبه دعوة الأمير، ولكنه لم يستطع الرفض، فتبع الأمير إلى قاعة القبة الضخمة، وخلفهما ذيب ودورثى، وسار وراءهم حشود أهل المنجابوس. كان المشعوذ الملىء بالأشواك يجلس على العرش، وحينما رآه الساحر، بدأ يضحك وأطلق ضحكة هزلية مكتومة، وقال: "يا له من مخلوق سخيف!"

قال الأمير بصوت هادئ: "قد يبدو سخيفًا، ولكنه مشعوذ ممتاز، العيب الوحيد فيه أنه أحيانًا يخطئ".

---

(1) الفرق بين wizard الساحر وsorcerer مشعوذ، دقيق، وهناك فروق كثير، أهمها أن الساحر يقوم بأعمال طيبة، والمشعوذ يقوم بأعمال مشينة فى الغالب، والساحر يقوم بأعمال سحرية حقيقية، أما المشعوذ فيقوم بأعمال سحرية تتَّسم بالخداع والمكر، وعمومًا الساحر أقوى من المشعوذ كما يقول أوز. باوم يخلط فى رواية أرض أوز المدهشة بين الساحر والمشعوذ، فتراه يصف مبوبى بالساحرة أحيانًا والمشعوذة أحيانًا، ولكنى اخترت أن تكون مشعوذة على طول الخط للتفرقة بينها وبين الساحرة جليندا. ولكنه فى هذه الرواية لا يخلط بين الاثنين على الرغم من أن أوز ليس ساحرًا، إنما أقرب للمحتال فى السيرك، وجويك هو الذى يقوم بأعمال سحرية حقيقية.

فقال المشعوذ: "أنا لا أخطئ أبدًا!"

قال الأمير: "ألم تقل قبل قليل إنه لن يكون هناك ناس أو أمطار صخور تنزل من السماء؟"

قال المشعوذ: "حسنًا.. ثم؟"

رد الأمير: "هذا رجلٌ آخر نزل من الهواء ليثبت أنك مخطئ!"

أجاب المشعوذ: "رجل واحد لا يسمى (ناس)، لو نزل اثنان من السماء لكان من العدل أن تتهمنى بأنى مخطئ. أنا متمسّك بأنى لم أخطئ".

قال الساحر وهو يهز رأسه كأنه معجب بالرد: "ما هذا الذكاء؟ أنا مسرور لأنى وجدت محتالين فى جوف الأرض، كما هم فوق الأرض تمامًا، هل عملتَ يومًا فى السيرك يا زميل؟"

قال المشعوذ: "لا!"

قال الساحر بجدية: "عليك أن تنضمَّ إلى واحد، أنا منضمٌّ إلى عروض سيرك (باليوم وبارني) الكبيرة[1]، ثلاث حلقات فى خيمة واحدة، وعرض للوحوش فى الخيمة نفسها، إنه سيرك رائع، أؤكد لك".

سأله المشعوذ: "ماذا تفعل هناك؟"

أجاب الساحر: "عادة، أصعد بالبالون لأجذب انتباه الجماهير إلى السيرك، كنوع من الدعاية، ولكنى صادفت حظًّا سيئًا هذه المرة، فقد تخطَّيت الأرض الصلبة إلى أرض منخفضة، لكن لا تشغل بالك، فليست هناك فرصة أفضل من هذه لرؤية أرض الجنجابوس".

(1) السيرك الذى يعمل به أوز اسمه Bailum and Barney's Great Consolidated Shows، ويشير باوم إلى سيرك حقيقى بالوصف نفسه تقريبًا كان معروفًا فى وقت كتابة روايات أوز، باسم Barnum & Bailey's Greatest Show on Earth بارنوم وبيلى أعظم سيرك على الأرض. أنشئ عام 1881 واستمر 146 عامًا.

قـال المشـعوذ مصححًـا: "المنجابـوس، إن كنـت سـاحرًا فعليـك منـاداة النـاس بأسـمائهم الصحيحـة".

قـال السـاحر: "أوه، أنـا سـاحر، خـذ كلامـى ثقـة، أنـا جيـد كسـاحر مثلـك كمشعوذ".

قال المشعوذ: "هيا فَلْنرَ!"

قـال الأمـير للسـاحر: "إن أثبـتَّ أنـك أفضـل منـه، سـأجعلك فى منصـب رئيـس السـحرة فى هـذه المنطقـة، وإلا..."

سأل الساحر: "وإلا ماذا؟"

أكمل الأمير: "وإلا سأوقف حياتك وأمنعك من أن تُزرَع".

قـال أوز وهـو ينظـر إلى الأمـير بقلـق: "هـذا لا يبـدو أمـرًا ظريفًـا، لكـن لا تشـغل بالـك، سـأهزم هـذا العجـوز الملـىء بالأشـواك".

نظـر المشـعوذ بعيونـه القاسـية والخاليـة مـن المشـاعر إلى منافسـه وقـال: "اسـمى جويـك، فلـنرَ كيـف سـتهزم شـعوذتى!"

ثـم لـوَّح المشـعوذ بيديـه المليئتـين بالأشـواك، وعـلى الفـور رنَّـت أجـراس وعزفـت أجمـل موسـيقى، ولكـن لـم يعـرف أحـد مصدرهـا، فالفتـاة دورثى لـم تكتشـف أى أجـراس معلقـة فى القاعـة الزجاجيـة الكبـيرة. اسـتمع أهـل المنجابـوس، ولكـن لـم يبـدُ عليهـم الاهتمـام، فهـذه الحركـة واحـدة مـن الحـركات الـتى يفعلهـا المشـعوذ دائمًـا ليبرهـن عـلى أنـه مشـعوذ جيـد.

الآن جـاء دور السـاحر، فابتسـم أمـام الجماهـير وسـألهم: "مـن فضلكـم، هـل يعـيرنى أحدكـم قبعـة؟"

لكـن لـم يسـتجب لـه أحـد، فأهـل المنجابـوس لا يرتـدون القبعـات، وذيـب فقـد قبعتـه خـلال رحلتـه فى الهـواء. فأكمـل السـاحر: "إحممـم، طيـب، هـل مـن أحـد يعـيرنى منديـلاً؟"

ولكن لم يمتلك أى شخص منهم منديلاً أيضًا. فاستسلم الساحر وقال: "حسنًا، سأستخدم قبعتى، إن سمحتم، الآن أيها الجمهور الطيب، كما ترون، لا يوجد شىء فى أكمامى ولا يوجد شىء مخفىّ، وكما ترون، قبعتى فارغة". وتناول قبعته وقلبها وهزَّها برفق وقال: "والآن أعيرونى انتباهكم".

قال المشعوذ: "دعنى أرى!" وتناول القبعة منه وفحصها بدقة وأعادها ثانية إلى الساحر، الذى قال: "الآن، سأخلق لكم شيئًا جديدًا من اللاشىء". ثم وضع قبعته على الأرضية الزجاجية ومسح عليها بيديه، ثم رفع القبعة عن الأرض، فظهر تحتها خنزير[1] صغير حجمه لا يتعدى حجم فأر صغير، بدأ يجرى هنا وهناك ينخر ويصدر أصواتًا حادة ورفيعة. شاهده أهل المنجابوس باهتمام، فهم لم يروا خنزيرًا من قبل. تقدَّم الساحر وأمسك المخلوق الصغير فى يديه، ووضع رأسه بين أصابع يده وذيله بين أصابع يده الأخرى، وشدَّه لينفصل إلى جزأين، فتحول كل جزء إلى خنزير صغير فى حجم الخنزير الأول. ووضع أحدهما على الأرض، فجرى بين الحشود بطريقة مضحكة، وأمسك الآخر وشده كما فعل فى السابق، فظهر خنزير صغير ثالث، فوضعه على الأرض وأمسك الآخر وشدَّه ثانية، فظهر خنزير صغير رابع، واستمرَّ يفعل ذلك، حتى أصبح على الأرض تسعة خنازير صغيرة، تجرى وتصدر أصواتًا حادَّة ومسرسعة.

---

(1) Piglet هو صغير الخنزير المولود، وهو بالطبع يكبر إلى خنزير، لكن هناك سلالة تظل فى حجم الفأر الصغير ويظل حجمها ثابتًا طوال العمر، وهى التى يستخدمها أوز فى ألعابه، كما أنها كانت نادرة الوجود وقت كتابة روايات أوز. يُسمَّى صغير الخنزير فى اللغة العربية الخِنَّوْص، والجمع منه الخَنانِيص، فى حين يُطلق على صغير الخنزير فى اللغة الإنجليزية أسماء عدة ، ومنها ما يلى: Piglet، Hog، Little Pig، Piggy، Weanlilg، Weaner، Gilt، Sholt. وعمومًا، يُشير مصطلح "Pig" فى بريطانيا إلى الخنزير، فى حين يُشير المصطلح نفسه فى الولايات المتحدة إلى الخنازير الصغيرة غير الجاهزة للسوق. كما ظهرت عام 1926 كشخصية باسم "بيجلت" فى قصص الدبدوب وينى Winnie the Pooh، واسمه فى النسخ العربية "فجلة"، لونه بنفسجى وكثير الخوف، وهو الصديق المقرب للدبدوب.

صاح ساحر أوز: "لقد صنعت لكم شيئًا من لا شيء، أما الآن، فسأصنع لكم اللاشيء من شيء". وأمسك اثنين من الخنازير الصغيرة وضمهما معًا فتحولا إلى خنزير واحد صغير، وأصبح الاثنان واحدًا، وأمسك خنزيرًا صغيرًا آخر ودمجه فى الأول، واستمرَّ يفعل ذلك حتى تحولوا كلهم إلى مخلوق صغير واحد، فوضعه الساحر تحت قبعته وحرَّك يديه بطريقة سحرية، وعندما رفع القبعة عن الأرض، اختفى الخنزير الأخير تمامًا.

انحنى أوز أمام الجماهير الصامتة التى تشاهده، فقال الأمير بصوت هادئ وبارد: "أنت بالتأكيد ساحر عجيب، وقواك السحرية أفضل من المشعوذ".

قال جويك: "لن تكون ساحرًا عجيبًا لمدة طويلة".

فاستفسر الساحر: "لمَ لا؟"

رد جويك: "لأنى سأوقف تنفسك، لقد أدركت تركيب جسدك، وإن أوقفت تنفسك لن تظل على قيد الحياة".

انزعج أوز وسأل: "كم من الوقت ستستغرق لتوقف تنفسى؟"

قال جويك: "نحو خمس دقائق، سأبدأ الآن، انظر إلىّ جيدًا".

ثم بدأ فى إطلاق بعض الأصوات الغريبة وتقدَّم نحو أوز، ولكن أوز لم ينظر إليه، وبدلاً من ذلك، أخرج حافظة جلدية من جيبه، وتناول منها سكاكين حادة، وركبها فى بعضها، واحدة فوق الأخرى، حتى صنع سيفًا طويلاً، وبمرور الوقت أحسَّ بانقباض وصعوبة فى التنفس، ولكنَّه ركب بصعوبة يد السيف، فى الوقت الذى بدأ يتأثر فيه بسحر المشعوذ. وعلى الفور لم يضيِّع أوز أى وقت، وقفز إلى الأمام ناحية المشعوذ، ورفع السيف عاليًا، ولوح به مرة أو مرتين فوق رأس المشعوذ، وبضربة هائلة نزل بالسيف على رأس المشعوذ، فقطع جسده إلى نصفين متساويين تمامًا.

صرخت دورثى، التى توقَّعت أن ترى منظرًا مرعبًا، ولكن عندما نظرت إلى الجسد المشقوق الواقع على الأرض، رأت أنه لا يملك عظامًا داخلية أو دماء على الإطلاق، وكل ما بداخله مجرد شرائح من اللفت أو البطاطس.

صاح الساحر بدهشة: "يا إلهى! إنه مصنوع من الخضراوات!"

قال الأمير: "بالطبع، كلنا هنا مصنوعون من الخضراوات، هل أنت مصنوع من الخضراوات مثلنا؟"

أجاب الساحر: "لا، الناس على سطح الأرض مصنوعون من دماء وعظام، هل مات مشعوذك؟"

أكمل الأمير: "بالطبع يا أستاذ! إنه بالتأكيد ميت الآن، وسوف يذبل سريعًا، لذا يجب أن نزرعه على الفور، حتى ينمو المشعوذ التالى فى الأدغال!"

سأله أوز متحيِّرًا: "ماذا تعنى بذلك؟"

رد الأمير: " رافقنى إلى الحديقة العامة، وسأشرح لك أكثر عن أسرار مملكة النباتات".



الفصل الرابع



مملكة النباتات(1)

بعدما مسح الساحر السيف، فكَّه إلى أجزاء ووضعها فى الحافظة الجلدية. وأمر الأمير أتباعه بحمل نصفى المشعوذ إلى الحديقة العامة. سمع جيم أنهم ذاهبون إلى الحديقة العامة، فأراد مرافقتهم، فقد ظن أنه سوف يجد شيئًا ليأكله، فركب ذيب العربة ودعا الساحر لينضمَّ إليهم. كان المقعد الخلفى فى العربة واسعًا كفاية ليجلس الساحر بين الطفلين، وحينما استعدَّ جيم لمغادرة القصر الزجاجى، قفزت القطة الصغيرة على ظهره، وجلست مسترخية.

تحرَّك الموكب عبر شوارع المدينة، بقايا المشعوذ فى المقدمة، وبعدها الأمير وجيم يجر العربة، وفى المؤخرة حشد من الناس

(1) vegetable kingdom هو الاسم القديم plant kingdom، فعلميًّا vegetable تضم الفواكه والزهور والسيقان والجذور، وتنقسم الكائنات الحية بين المملكة الحيوانية والمملكة النباتية، حتى اكتشف العلماء أن الكائنات الحية تنقسم إلى خمسة تصنيفات رئيسة، أو ممالك، وأضيفت إليها 3. مملكة الفطريّات 4. مملكة الطلائعيّات 5. مملكة البدائيّات.

المصنوعين من الخضراوات، الذين لا يملكون قلوبًا ولا يستطيعون الابتسام أو العبوس.

تحتوى مدينة الزجاج على شوارع جيدة، فكثير من الناس يعيش هناك. عندما انتهت الشوارع، وجد الموكب نفسه أمام سهل واسع، به عدد كبير من الحدائق، ويتدفَّق الماء بينها عبر جداول مائية، وبُنيت جسور زجاجية مزخرفة بين مسارات تلك الحدائق، وعلى الجداول الكبيرة.

نزل ذيب ودورثى من العربة، وسارا بجوار الأمير ليتمكَّنا من استكشاف الأزهار والنباتات.

سألت دورثى: "مَن الذى بنى هذه الجسور الزجاجية الجميلة؟"

رد الأمير: "لم يبنها أحد، لقد نَمَت".

قالت: "هذا غريب، هل البيوت الزجاجية[1] تنمو أيضًا؟"

رد الأمير: "بالطبع، ولكنها تستغرق سنوات طويلة لتنمو بهذا الشكل الكبير والرائع، لهذا نحن مستاؤون من أمطار الصخور التى دمَّرت البيوت".

استفسرت الفتاة: "ألا تستطيعون إصلاحها؟"

قال الأمير: "لا، لكنها ستنمو ثانية، وليس علينا سوى الانتظار!"

فى البداية، عندما مروا عبر حدائق الزهور، التى تنمو بالقرب من المدينة، لم تستطع دورثى التعرف على أنواع الزهور الموجودة بها، لأن ألوانها تتغير باستمرار تحت الأضواء البراقة للشموس الست. فالزهرة من الممكن أن تكون وردية فى ثانية، وفى الثانية التالية يتحول لونها إلى الأزرق أو الأصفر. والأمر نفسه يحدث مع النباتات، التى لها أوراق عريضة وتنمو بالقرب من الأرض.

(1) المقصود بالبيوت الزجاجية، الصوب التى تُزرع فيها النباتات.

وعندما مروا عبر حقل أعشاب، توقف جيم فورًا، ومد رأسه، وبدأ يقضم العشب، وتمتم قائلاً: "هذه البلدة لطيفة، بالنسبة إلى حصان محترم يأكل عشبًا ورديًّا".

رد الساحر عليه وهو ما زال يركب العربة: "إنه عشب بنفسجى!"

اعترض الحصان وقال: "إنه الآن أزرق!" وأكمل وهو يلوك العشب فى فمه: "فى الواقع، أنا أتناول أعشابًا بألوان قوس قزح!"

سأله الساحر: "ما طعمها؟"

قال جيم: "ليس سيئًا على الإطلاق، لو أعطونى كمية وفيرة منها للأكل، لن أشتكى من لونها المتغير!"

وصل الموكب إلى حقل خصيب، فقال الأمير للفتاة الصغيرة دورثى: "هنا الأرض التى نُزرَع فيها". وتقدم عدد من المنجابوس يحملون جواريف زجاجية، وحفروا بها حفرة فى الأرض، ووضعوا بها نصفى المشعوذ، وردموا عليها التراب ثانية. ثم تقدَّم عدد آخر من المنجابوس، ومعهم مياه من جدول صغير بالقرب منهم، ورشوا المياه على الأرض.

قال الأمير: "سوف ينبت قريبًا جدًّا، وينمو إلى شجيرة كبيرة، وسنتمكن وقتها من اختيار العديد من المشعوذين الجيدين".

سأله الصبى ذيب: "هل ينمو كل شعبك على الشجيرات؟"

فردّ الأمير: "بالطبع، ألا ينمو الناس على الأشجار فى المكان الذى أتيت منه؟"

قال ذيب: "لم أسمع بمثل هذا الأمر على الإطلاق!"

فقال الأمير: "هذا غريب! تعال معى إلى واحدة من حدائق الجيران، وسأريك الطريقة التى ننمو بها فى أرض المنجابوس".

كان هـؤلاء النـاس الغريبـون، يسـتطيعون المـشى بسـهولة عـلى الأرض كمـا يمشـون عـبر الهـواء، ولـم تكـن هنـاك سـلالم فى بيوتهـم، فهـم لا يحتاجـون إليهـا.

رفـض جيـم أن يتزحـزح مـن مكانـه، وتـرك حقـل العشـب، الـذى انهمـك فى الأكل منـه، لـذا تـرك السـاحر العربـة وانضـم إلى ذيـب ودورثى، ومشـت القطـة الصغـيرة بـين أقدامهـم. تبعـت مجموعـة الغربـاء الأمـير عـبر جسـور زجاجيـة ومسـارات عـدَّة، حـتى وصلـوا إلى حديقـة مطوَّقـة بسـياج عـالٍ. وبداخلـه صفـوف مـن نباتـات أنيقـة، لهـا أوراق عريضـة مقوَّسـة تصـل أطرافهـا إلى الأرض. فى منتصـف كل نبـات نمـا منجابـوس يرتـدي ملابـس أنيقـة، فملابـس هـذه المخلوقـات تنمـو عليهـم، وتظـل ملتصقـة بأجسـادهم.

المنجابـوس الـذى ينمـو فى هـذه الحديقـة مـن كل الأحجام، مـن البراعم الـتى تتحـول إلى أطفـال صغـار، إلى الناضـج الجاهـز للقطـف ليكـون رجـلاً أو امـرأة. عـلى بعـض الأشـجار تـرى برعمًـا، زهـرة، طفـلاً، رجـلاً نصـف ناضـج، أو شـخصًا ناضجًـا. ورغـم أن بعضهـم جاهـز للقطـاف، لكنهـم لا يتحركـون وصامتـون، كأنهـم فارغـون مـن الحيـاة. وهـذا مـا فـسَّر لـدورثى لمـاذا لا يوجـد أطفـال بـين المنجابـوس، وهـو أمـر ظـل يشـغلها كثـيرًا.

قـال الأمـير: "شـعبنا لا يحصـل عـلى حيـاة حقيقيـة حـتى يتـم قطافـه ويغـادر الشـجر، تلاحظـون أنهـم موصولـون بالشـجر مـن عنـد باطـن القدمـين، وعندمـا يكتمـل نضجهـم، يسـهل فصلهـم عـن الأغصـان، وعـلى الفـور يكتسـبون القـدرة عـلى الحركـة والـكلام. لذلـك خـلال نموهـم لا نقـول إنهـم أحيـاء، وعلينـا قطفهـم قبـل أن يصبحوا مواطنـين صالحـين"[1].

سألته دورثى: "كم يعيشون بعد قطفهم؟"

(1) citizen المواطـن هـو الشـخص الـذى يعيـش فى مـكان معـين، والأمـير يقصـد أنهـم مواطنـون مـا دامـوا عـلى الشـجر ويعيشـون فى مـكان معـين واحـد، وبقطفهـم تنتفـى عنهـم صفـة المواطنـة.



رد الأمـير: "هـذا يعتمـد عـلى العنايـة بأنفسـنا، إن احتفظنـا بـبرودة ورطوبـة مناسـبة، ولـم نقابـل حـوادث مؤسـفة، نسـتطيع العيـش لمـدة خمـس سـنوات. أنـا تـم قطفـى منـذ سـت سـنوات، فعائلـتى معروفـة بطـول العمـر!"

سأله الصبى: "هل تأكلون؟"

رد الأمـير: "نـأكل! لا.. بالطبـع لا.. فأجسـادنا مصمتـة، ولا نحتـاج إلى الأكل، ليـس أكـثر ممـا تحتـاج إليـه البطاطـس!"

قال الصبى: "لكن البطاطس تذبل أحيانًا!"

فـرد الأمـير: "وأحيانًـا لا تذبـل، هـذا يُعتـبر حظًّـا سيئًا، ولهـذا لا بـد مـن إعـادة زراعتنـا عـلى الفـور.

هنا سأله الساحر: "وأين تُزرَع؟"

رد الأمير: "سوف أريك، تقدم معى فى هذا الطريق إن سمحت".

قادهـم الأمـير إلى حديقـة أخـرى أصغـر مسـوَّرة بسـياج أعـلى، تنمـو بهـا شـجيرات أكـبر وأجمـل، ثـم قـال: "هنـا! هـذه هـى الشـجيرات الملكيـة للمنجابـوس، الأمـراء والحـكام ينمـون مـن هـذه الشـجيرات منـذ قديـم الأزل".

وقـف الـكل أمـام تلـك الشـجيرات الملكيـة باحـترام وإعجـاب صامـت. وعـلى سـاقٍ فى منتصـف الشـجرة، وقفـت بنعومـة شـديدة فتـاة ملوَّنـة وملامحهـا عليهـا تعبـير محبَّـب، ففكـرت دورثى فى أنهـا لـم تـرَ مخلوقـة بديعـة مثلهـا فى حياتهـا. كان ثـوب الفتـاة ناعمًـا كالسـاتان، ويلتـفُّ حولهـا بثنيـات كثـيرة، والزخـارف الشـجرية الأنيقـة زيَّنـت الصدريـة والأكمـام عـلى نحـو رائـع، وجسـدها دقيـق وناعـم مثـل العـاج المصقـول، وهيئتهـا توحـى بالكرامـة والعـزة.

سأل الساحر بفضول: "مَن هذه؟"

حـدَّق الأمـير طويـلاً فى الفتـاة بـين الشـجيرات، وأجـاب بلمسـة مـن القلـق فى صوتـه الـذى يتَّسـم بالـبرود: "إنهـا الحاكمـة المقـدَّر لهـا أن تكـون خليفـتى، فهـى أمـيرة ملكيـة، عندمـا تكـون كاملـة النضـج، يجـب أن أتنـازل لهـا عـن سـيادتى عـلى أرض المنجابـوس!"

سألته دورثى: "أليست ناضجة الآن؟"

تـردَّد الأمـير، ثـم قـال: "ليـس تمامًـا، يجـب أن تمـر بضعـة أيـام أخـرى قبـل أن يكتمـل نضجهـا ونقطفهـا مـن الشـجرة، عـلى الأقـل هـذا تقديـرى. فأنـا لسـت فى عجالـة للاسـتقالة وإعـادة زراعـتى مـرة أخـرى، تأكـدى مـن ذلـك!"

عبَّر الساحر بإيماءة وقال: "احتمال لا!"

أكمـل الأمـير بتنهيـدة: "هـذه واحـدة مـن أسـوأ الأشـياء التعيسـة فى حياتنـا النباتيـة، حينمـا نبلـغ قمـة النضـج فى حياتنـا يجـب أن نفسـح مكانًـا للآخريـن، نُدفـن فى الأرض لنزدهـر وننمـو، لـكى يولـد أشـخاص آخـرون!"

قالت دورثى بإصرار: "أنا متأكدة من أن الأميرة جاهزة للقطف!"

وبينمـا هـى تحـدق فى الفتـاة الجميلـة بـين الشـجيرات، أكملـت: "إنهـا كاملـة كمـا ينبغـى أن تكـون!"

أجـاب الأمـير متعجـلاً: "لا تشـغلى بالـك، سـتكون فى أحسـن حـال بعـد بضعـة أيـام أخـرى، فمـن الأفضـل أن أسـتمر فى الحكـم، حـتى نتخلَّـص مـن الغربـاء الذيـن اقتحمـوا أرضنـا، ويجـب أن يغادروهـا فـورًا!"

سأله ذيب: "ماذا ستفعل بنا؟"

رد الأمـير: "لـم أقـرر بعـد، أعتقـد أنى سـأحتفظ بالسـاحر حـتى يحـين قطـف مشـعوذ آخـر، فهـو يبـدو ماهـرًا وسـيفيدنا، لكـن يجـب التخلُّـص مـن بقيتكـم، ولا يمكننـا أن نزرعكـم، فأنـا لا أريـد بـشرًا وأحصنـة وقططًـا ينمـون فى بلـدى".

قالت دورثى: "لا تقلق من هذا، فنحن لن ننمو إن زرعتنا فى الأرض".

تساءل الساحر: "ولكن لماذا تريد التخلص من أصدقائى؟ لماذا لا تتركهم يعيشون؟"

رد الأمير: "لأنهم لا ينتمون إلى هنا، ليس لهم الحق فى العيش بجوف الأرض!"

قالت دورثى: "نحن لم نطلب الحضور إلى هنا، فقد وقعنا دون إرادتنا".

قال الأمير ببرود: "هذا ليس عذرًا!"

نظر كل من الطفلين إلى الآخر فى حيرة، وتنهَّد الساحر، ومسحت إريكا كف مخلبها فى وجهها وقالت: "ليس من الضرورى التخلص منى، لأنى إن لم أجد شيئًا لآكله، فسأموت جوعًا".

قال الساحر للقطة: "إن زرعناك، فيمكن أن نحصل على ذيل القطة"[1].

قال الصبى: "يا إريكا، يحتمل أن نعثر لكِ على عشبة اللبن[2] لتأكليها".

قالت القطة الصغيرة مشمئزة: "يعععع، أنا لا أقترب من تلك الأشياء المقرفة!"

قالت دورثى: "أنتِ لا تحتاجين إلى اللبن يا إريكا، لقد كبرتِ بما فيه الكفاية، وتستطيعين أكل كل أنواع الطعام".

أضافت إريكا: "هذا إن استطعت الحصول عليها!"

---

(1) هناك نبات اسمه ذيل القطة Cattail، وهناك عشبة طبية اسمها ذيل الحصان Horsetail والاسم الاخر لها Puzzlegrass.

(2) Milkweed هو اسم نبات، وذيب يقصد أنها تشرب اللبن.

قـال ذيـب: "أنـا جائـع، وقـد لاحظـت فراولـة فى إحـدى الحدائـق، وبطيخًـا فى حديقـة أخـرى بجانبهـا، وهـؤلاء النـاس لا يأكلـون، فهـل يمكـن أن يسـمحوا لنـا بأخـذ بعضهـا في طريقنـا للرجـوع؟"

قاطعـه الأمـير: "لا تشـغل بالـك بجوعـك، فسـآمر بالتخلـص منـك خـلال دقائـق، ولـن تحتـاج إلى إفسـاد البطيـخ الجميـل وشـجيرات التـوت. اتبعـنى، مـن فضلـك، لتـلاق مصـيرك".

الفصل الخامس



دورثى تقطف الأميرة

الكلمات الباردة التى قالها الأمير لم تكن مريحة على الإطلاق، وفور أن قالها، التفت وغادر الحديقة الملكية. أحسَّ الطفلان ذيب ودورثى بالحزن والإحباط، وكانا على وشك السير خلف الأمير، عندما ربت الساحر على كتف دورثى وهمس لها: "انتظرى"، فسألته الفتاة: "لماذا؟"

قال الساحر: "افترضى أننا قطفنا الأميرة الملكية، أنا واثق بأنها ناضجة تمامًا، وفور أن تحيا ستكون هى الحاكمة، ومن الممكن أن تعاملنا أفضل من هذا الأمير".

وافقت دورثى وقالت بحماس: "حسنًا، هيا نقطفها، فما زالت لدينا فرصة، قبل أن يعود الرجل ذو النجمة ثانية".

تعاون الاثنان، ودخلا بين الشجيرات، وقبض كل واحد منهما على إحدى يدى الأميرة المزروعة، وصاحت دورثى: "شد"، وعندما شدَّاها من الأغصان، مالت السيدة الملكية عليهما، وانقطعت ساق النبات

وانفصلت عن قدميها. لم تكن ثقيلة، فاستطاع الساحر ودورثى وضعها فوق الأرض. على الفور، حركت الأميرة يدها وأزاحت خصلة من شعرها عن عينيها، ونظرت إلى الحديقة حولها وانحنت بخفة وكرم، وقالت بصوت عذب ومنغَّم: "أشكركما جدًّا". فهتف الساحر وهو يركع على ركبة واحدة ويقبِّل يد الأميرة: "نحيى صاحبة السمو الملكى".

سرعان ما سمعوا صوت الأمير ينادى عليهم ليسرعوا، وبعد لحظة عاد إلى الحديقة الملكية، يتبعه عدد من الناس، فواجهته الأميرة، وعندما رآها تقف أمامه بدأ يرتجف. وقالت الأميرة الملكية بقدر كبير من عزة النفس: "يا سيِّد، لقد أخطأتَ فى حقى كثيرًا، وكنت ستستمر فى الخطأ بحقى لولا هؤلاء الغرباء، لقد كنت جاهزة للقطف منذ أسبوع مضى، ولكن بسبب أنانيتك ورغبتك فى الاستمرار فى الحكم، تركتنى واقفة صامتة على الأغصان!"

أجاب الأمير بصوت خفيض: "لم أعرف أنكِ ناضجة!"

قالت الأميرة بلهجة آمرة: "أعطنى النجمة الملكية".

ببطء خلع الأمير النجمة الملكية اللامعة من جبهته، ووضعها على جبهة الأميرة، فانحنى الجميع لها، واستدار الأمير ومشى وحيدًا، ولا نعرف ماذا حدث له بعد ذلك. احتشد شعب المنجابوس فى موكب، وتوجهوا إلى مدينة الزجاج يرافقون الحاكمة الجديدة إلى القصر، لأداء المراسم المناسبة لهذا الحدث. وبينما سار الناس فى الموكب على الأرض، سارت الأميرة فى الهواء أعلى من رءوسهم، لإظهار أنها متفوقة وفى مكانة أعلى منهم.

لم يعِر أى شخص منهم أى انتباه للغرباء، فترك دورثى وذيب والساحر الموكب يمر، وتجولوا بين حدائق النباتات، ولم يهتموا بعبور الجسور الزجاجية فوق الجداول، وعندما اقتربوا من تيار الماء، تقدموا خطوة فى الهواء، ومشوا عبر الهواء إلى الجانب الآخر، وقد كانت تجربة مثيرة لهم.

قالت دورثى: "هذا أمر عجيب! لماذا نستطيع المشى فى الهواء بمثل هذه السهولة؟"

فأجاب الساحر: "ربما بسبب قربنا من مركز الأرض، حيث تكون الجاذبية ضعيفة، ولكنى لاحظت أن هناك دائمًا أشياء غريبة تحدث فى الأراضى الخيالية".

سأل الصبى: "هل هذه أرض خيالية؟"

قالت دورثى سريعًا: "بالطبع، هذه أرض خيالية، ففيها ناس من النباتات. ويستطيع جيم وإريكا التكلم فقط فى الأراضى الخيالية".

فكَّر الصبى لبرهة وقال: "هذا صحيح".

فى حدائق مملكة النباتات، وجدوا فراولة وبطيخًا، وفاكهة أخرى غير معروفة، التهموها عن آخرها. لكن القطة الصغيرة أزعجتهم بطلبها اللبن أو اللحم، لدرجة أنها سبَّت الساحر لأنه لا يستطيع أن يحضر لها طبقًا من اللبن بفنونه السحرية. وخلال جلوسهم على العشب يشاهدون جيم، الذى ما زال مشغولاً بالأكل، قالت إريكا: "أنا لا أعتقد أنك ساحر على الإطلاق!"

أجاب الساحر: "لا، أنتِ محقَّة، بالمعنى الحرفى أنا لست ساحرًا، أنا مجرد محتال!"

قالت دورثى موافقة: "لقد كان ساحر أوز دائمًا محتالاً، فأنا أعرفه منذ مدة طويلة".

سأل الصبى: "إن كان هذا صحيح، فكيف فعل الخدعة الرائعة بالخنازير التسعة الصغيرة؟"

قالت دورثى: "لا أعرف، ولكنها بالتأكيد نصب!"

أومأ الساحر بالموافقة، وقال: "هذا صحيح، كان علىّ أن أهزم المشعوذ القبيح وأتغلّب على الأمير، وهؤلاء الناس الأغبياء، ولكن

ليس لدى مانع من أن أقول لكم السر، فأنتم أصدقائى، وهذه مجرد خدعة".

قاطعه ذيب قائلاً: "لكني رأيت الخنازير الصغيرة بعينى!"

قالت القطة: "وأنا أيضًا!"

أجاب الساحر: "خذ كلامى ثقة، لقد رأيتَ الخنازير لأنها موجودة فعلاً، إنها فى جيب الجاكت الداخلى الآن، أما إخراجهم من بعض وإدماجهم فى بعض مرة أخرى فهو مجرد خفة يد".

قالت إريكا بلهفة: "دعنى أراها!"

مد الرجل الضئيل يده بحرص إلى جيب الجاكت الداخلى وأخرج الخنازير الصغيرة، ووضعها على الأرض، واحدًا تلو الآخر، فوركضت حوله وعضت أطراف أصابعه برقة، فقال الساحر: "إنها جوعى أيضًا!"

صرخت دورثى بفرح وأمسكت بواحد منها وقالت: "أوه، ما ألطفهم!"

قال الخنزير الصغير، بصوت مسرسع: "احترسى، أنتِ تفعصيننى!"

نظر الساحر بدهشة إلى الخنازير وقال: "يا إلهى! إنها تستطيع الكلام!"

قالت القطة الصغيرة بنبرة استعطاف: "هل يمكن أن آكل واحدًا منها، أنا جائعة بشدة!"

قالت دورثى موبِّخة: "إريكا! ما هذا الطلب القاسى؟ سيكون أمرًا مروعًا أن تأكلى هذه المخلوقات اللطيفة!"

قال خنزير صغير آخر ناظرًا إلى القطة الصغيرة بقلق: "كنت سأقول ذلك، القطط كائنات قاسية!"

ردت القطة بتثاؤب: "أنا لست قاسية، أنا فقط جائعة!"

قال الساحر بنبرة صارمة: "أنتِ لا تستطيعين أكل أى من خنازيرى الصغيرة، حتى لو متِّ من الجوع، إنها الشىء الوحيد الذى أستطيع أن أثبت به أنى ساحر".

سألت دورثى: "كيف وصلتْ إلى هذا الحجم الصغير، أنا لم أرَ خنازير صغيرة كهذه أبدًا!"

قال الساحر: "إنها من جزيرة تونتى وينت، وكل شىء فيها صغير، لأنها جزيرة صغيرة. بحَّار من لوس أنجلوس أعطانى الخنازير التسعة الصغيرة، فى مقابل تسع تذاكر للسيرك".

جلست القطة أمام دورثى، وأصدرت مواءً مزعجًا وقالت: "لكن ماذا سآكل الآن؟ ليس هنا أبقار لتدرَّ حليبًا أشربه، ولا حتى فئران، ولا حتى جرادة واحدة. ولو لم أستطع أكل هذه الخنازير الصغيرة، فعليكم بزراعتى والحصول على كاتشب!(1)"

قال الساحر: "عندى فكرة، هناك أسماك تسبح فى تلك الجداول المائية، هل تحبين الأسماك؟"

صرخت القطة من الفرح: "سمك! هل تقول سمك؟ طبعًا أحبه، إنه أفضل بالتأكيد من هذه الخنازير الصغيرة، وحتى أفضل من اللبن!"

قال الساحر: "إذًا سأحاول أن أصطاد لك سمكًا".

سألت القطة: "لكن ألا يمكن أن يكون السمك مصنوعًا من النباتات أيضًا؟"

رد الساحر: "لا أعتقد، الأسماك ليست حيوانات،(2) فهى باردة وممتلئة بالرطوبة مثل النباتات نفسها. لا أرى سببًا يمنع وجودها فى ماء هذه البلدة الغريبة".

---

(1) القطة تقول: catsup، وهو الاسم المنتشر وقتها فى شمال أمريكا للكاتشب، حتى ساد بعدها استخدام Ketchup بعدما اعتمدته الشركات الكبيرة فى كل العالم، والتى أضافت إلى الوصفة قليلاً من السكر. الكلمة أو الوصفة أصلها صينى ke-tsiap، وهى صلصة كانت توضع على السمك المخلل قديمًا. القطة تلعب بالكلمات، لأن الكلمة فيها مقطع cat.

(2) بالطبع الأسماك حيوانات، فهى لا تنتمى من بين تصنيفات الكائنات الحية الأخرى -كما أوضحنا فى هامش سابق- إلا إلى المملكة الحيوانية، لكن الساحر يقصد أن كثيرًا من النباتيين (الذين لا يأكلون اللحوم) لا يعتبرون الأسماك لحمًا، فهم يتناولونها كطعام بجانب الأكل النباتى. فمنطق الساحر أن أرض المنجابوس لا توجد بها حيوانات بل نباتات فقط، ولهذا لا

ثنى الساحر دبوسًا وصنع منه خطافًا، وأخرج خيطًا طويلاً من ملابسه حتى يصنع به سنارة، الطُّعم الوحيد الذى وجده هو برعم أحمر برَّاق من الزهور، فهو يعرف أن الأسماك يسهل جذب انتباهها بأى شيء برَّاق. رمى نهاية الخيط بالخطاف فى ماء جدول قريب. بعد قليل أحس بهزَّة حادَّة فى الخيط فعرف أن سمكة عَلِقت فى الخطاف. فشدَّ الخيط، وبقليل من المجهود خرجت سمكة مُعلَّقة فى السنارة، وهبطت بأمان على الشاطئ، وخبطت السمكة بذيلها قليلاً فى مشهد مثير.

كانت السمكة سمينة ومستديرة، وزعانفها تتلألأ كقطع المجوهرات، لكن لم يكن هناك وقت لاستكشافها عن قرب، فالقطة انقضَّت عليها بمخالبها، وفى دقائق اختفت السمكة.

صاحت دورثى: "أوه يا إريكا، هل أكلتِها بالأشواك؟"

قالت إريكا بثقة وهى تلعق وجهها بلسانها بعد هذه الوجبة: "لا أظن أن هذه الأسماك فيها أشواك، وألا وقفت إحداها فى حلقى".

قالت الفتاة: "أنتِ جشعة جدًّا!"

قالت إريكا: "أنا جائعة جدًّا".

وقفت الخنازير الصغيرة متلاصقة، تراقب هذا المشهد بأعين خائفة. قال واحد منها: "القطط مخلوقات مرعبة!" وقال آخر: "الحمد لله على أننا لسنا أسماكًا!"

غمغمت دورثى بهدوء: "لا تقلقوا، لن أدع إريكا تضركم".

وتذكَّرت دورثى أن لديها بحقيبتها بقايا بسكويت من غدائها فى القطار، فتوجهت إلى العربة وأحضرتها من الحقيبة. حاولت إريكا أن تشمَّ هذا الطعام، ولكن الخنازير أقبلت عليه بسعادة، والتهمته فى لمح البصر.

سبب يمنع وجود الأسماك بها.

قال الساحر: "الآن، هيا نرجع إلى المدينة، إلا إن كان جيم لم يكتفِ من أكل العشب الوردى!"

رفع حصان الجرّ رأسه عندما سمعه، فقد كان يتجول قريبًا، وقال: "لقد حاولت أكل كمية كبيرة لأستغل الفرصة، فيبدو أنه ستمر فترة طويلة قبل أن أحظى بوجبة أخرى فى هذه البلدة الغريبة!"

وضع الساحر الخنازير التسعة الصغار فى جيب الجاكت، فتعانقت وراحت فى النوم. ركب الساحر ودورثى وذيب العربة، واستعدَّ جيم للتوجه بهم إلى المدينة.

سألت الفتاة: "أين سنقيم؟"

ردَّ الساحر: "أعتقد أنى سأستولى على بيت المشعوذ، فالأمير السابق قال أمام المنجابوس إنه سيحتفظ بى حتى يقطف مشعوذًا آخر، سنقيم هناك رغم أن الأميرة الجديدة لا تعرف ذلك!"

وافق الكل على هذه الخطة، وعندما وصلوا إلى الميدان، جر جيم العربة إلى باب القصر الزجاجى الكبير، فقالت دورثى: "هذا المكان لا يبدو مناسبًا كمنزل". ونظرت إلى القاعة الخالية من الأثاث وأكملت: "لكنه يكفى للإقامة على كل حال!"

أشار الصبى إلى فتحات قرب قمة القبة الزجاجية للقصر، واستفسر: "ما هذه الفتحات؟"

قالت دورثى: "تبدو مثل المداخل، لكن لا توجد سلالم توصل إليها!"

نبهها الساحر وقال: "هل نسيتِ أن السلالم ليست ضرورية فى هذه البلدة؟ هيا نرَ إلى أين تقود".

سار الساحر فى الهواء نحو الفتحات أعلى القبة، وتبعه ذيب ودورثى. التسلُّق إلى أعلى مثل الصعود على تل، لذا كادت أنفاسهم تنقطع عندما وصلوا إلى صف الفتحات. اكتشفوا أنها بالفعل مداخل تؤدى إلى ممرات أعلى المنزل، فدخلوها وقادتهم الممرات إلى غرف صغيرة،

بعضها مؤثث بأرائك وموائد وكراسيّ من زجاج. ولكن لا توجد أسرّة على الإطلاق.

قالت الفتاة: "هل هؤلاء الناس ينامون؟"

رد ذيب: "يبدو أنه لا يوجد ليل فى هذه البلاد، هذه الشموس الملونة ما زالت فى مكانها منذ قدومنا، وإذا لم يكن هنا غروب، فلا يوجد ليل!"

قال الساحر موافقًا: "هذا صحيح، لقد مر وقت طويل منذ قدومنا، وأنا متعب، لذا سأتمدد وأنام على واحدة من هذه الأرائك الزجاجية الصلبة".

قالت دورثى: "وأنا أيضًا". واختارت غرفة صغيرة فى نهاية الممر.

أما ذيب فنزل إلى جيم، الذى وجد نفسه طليقًا، فتجوّل فى المكان، واختار مكانًا لينام فيه، وعششت القطة كأنها فرخ صغير بجانب الحصان. وعندما اطمأن الصبى عليهما عاد إلى الغرف العليا، ورغم صلابة الأريكة الزجاجية غرق سريعًا فى الأحلام.



الفصل السادس



المنجابوس خطرون

عندما صحا الساحر من النوم، كانت الشموس الست لا تزال ساطعة على أرض المنجابوس، تمامًا مثلما كانت وقت وصولهم. شعر الساحر بالراحة والانتعاش، فقد نام نومًا عميقًا، ونظر من النافذة الزجاجية فوجد ذيب يجلس على أريكة زجاجية ويتثاءب، فذهب إليه وقال: "يا ذيب، بالونى الذى هبطت به ليست له فائدة فى هذه البلدة الغريبة، وقد تركته حيث هبطت فى الميدان، لكن السلة بها أشياء أود الاحتفاظ بها. فمن فضلك اذهب واجلب حقيبتى، والفانوسين، وعلبة من الكيروسين تحت المقعد. لا يوجد شىء آخر يهمنى".

فذهب الصبى عن طيب خاطر لهذه المهمة، وعندما رجع كانت دورثى مستيقظة، فاجتمع الثلاثة لتقرير ماذا سيفعلون، ولكنهم لم يتوصَّلوا إلى شىء.

قالـت الفتـاة: "أنـا لسـت مرتاحـة لهـؤلاء الأشـخاص المصنوعـين مـن النباتـات، فهـم بـاردون ومترهلـون مثـل الكرنـب، عـلى الرغـم مـن جمـال مظهرهـم!"

قـال السـاحر: "أوافقـك، فليسـت لديهـم دمـاء حـارة تجـرى فى أجسـادهم".

قـال الصبى: "وليسـت لديهـم قلـوب ليحبـوا أى شـخص، حـتى إنهـم لا يحبـون أنفسـهم!"

أكملـت دورثى، بعـد تفكـير: "تبـدو الأمـيرة فاتنـة الجمـال، ولكـنى لا أثـق بهـا. إذا كان هنـاك طريـق آخـر لمغـادرة هـذا المـكان، فأنـا أتمـنى الذهـاب إليه".

سأل الساحر: "لكن هل هناك مكان آخر؟"

أجابت الفتاة: "لا أعرف!"

قاطـع اجتماعهـم صـوت جيـم ينـادى عليهـم مـن الخـارج، وعندمـا أطلّـوا مـن المدخـل وجـدوا الأمـيرة وحشـدًا مـن النـاس قـد دخلـوا بيـت المشـعوذ، فـنزل الأصدقـاء ليقابلـوا الأمـيرة الجميلـة الـتى قالـت لهـم: "لقـد تحدثـت مـع المستشـارين عـن وضعكـم، وقررنـا أنكـم لا تنتمـون إلى أرض المنجابـوس، ولا ينبغـى لكـم أن تظلـوا بهـا".

سألت دورثى: "إذًا، كيف يمكن أن نذهب من هنا؟"

أجابـت الأمـيرة: "أوه، بالطبـع لا يمكنكـم الذهـاب إلى أى مـكان، بـل علينـا تدميركـم!"

استفسر الساحر: "وبأى طريقة؟"

قالـت الأمـيرة: "سـنرميكم أنتـم الثلاثـة فى حديقـة النباتـات آكلـة اللحـوم[1]، وسـوف تفـترس أجسـادكم وتتغـذى عليهـا لتنمـو أكـثر. أمـا

(1) Twining vines هو نوع من النباتات المتسلقة.

الحيوانات فسنأخذها إلى الجبال ونرميها في الهاوية السوداء. وبذلك تتخلص بلادنا من الزوار غير المرحب بهم".

قال الساحر: "ولكنكم في حاجة إلى مشعوذ، ولا يوجد واحد ناضج كفاية للقطف، أنا أفضل من أي مشعوذ مليء بالأشواك ينمو في حديقتك، لماذا ستدمرينني؟"

قالت الأميرة: "هذا صحيح، نحن في حاجة إلى مشعوذ، لكن بلغني أن هناك مشعوذًا جاهزًا للقطف بعد أيامٍ قليلة، ليحل محل جويك، الذي قطعته إلى نصفين قبل أن يحين أوان زراعته مرة أخرى. دعنا نرى فنونك السحرية، والشعوذة التي تقوم بها، عندها سأقرر هل سأدمرك مع الآخرين أم لا".

وعلى الفور، انحنى الساحر بحركة مسرحية أمام الجماهير، وكرر خدعة الخنازير التسعة الصغار مرة أخرى. فعلها بطريقة ذكية وماهرة فعلاً، ولكن الأميرة التي شاهدت الخنازير الصغيرة للمرة الأولى، أصابتها دهشة حقيقية مثل أي شخص آخر من المنجابوس، وقالت: "لقد سمعت عن سحرك الرائع، لكنه غير ذي فائدة لنا، ماذا تستطيع أن تفعل غير ذلك؟"

جاهد الساحر في التفكير في خدعة أخرى، فربط مجموعة من الشفرات الحادة وصنع منها سيفًا، ووضعه بمهارة على طرف أنفه بتوازن مدهش. لكن حتى هذا لم يرضِ الأميرة. وفجأة وقعت عيناه على الفانوسين وعلبة الكيروسين التي أحضرها ذيب من سلة البالون، فجاءته فكرة مبهرة لخدعة أخرى. فقال لها: "يا فخامتك، سأخلق شمسين لم تريهما من قبل، كما سأقيم مدمِّرًا مميتًا أكثر من حديقة النباتات آكلة اللحوم".

وجعل الساحر دورثي تقف إلى جانبه، وذيب إلى جانبه الآخر، وكل واحد منهما يمسك فانوسًا، ووضع الفانوسين على رأسيهما، وهمس لهما: "لا تضحكا وإلا ستفسدان تأثير الخدعة". رسم الساحر كثيرًا

من المهابة بنظرات صارمة على وجهه المليء بالتجاعيد، وأخرج علبة الثقاب، وأشعل الفانوسين. وهج الفانوسين كان ضئيلاً مقارنة بإشعاع الشموس الست الملونة الكبيرة، ولكن وهجهما ظل واضحًا وساطعًا. انبهر المنجابوس بهذه الخدعة، لأنهم لم يروا طوال عمرهم أي شيء يصدر ضوءًا إلا شموسهم الست.

الخدعة الثانية للساحر بدأها بصبٍّ زيتٍ من علبة الكيروسين على الأرض الزجاجية، والتي غطَّت مساحة من الأرضية. وعندما أشعل النار فيها، تصاعدت ألسنة اللهب أعلى، فكان تأثيرها مهيبًا. هتف الساحر: "الآن، أيتها الأميرة، على هؤلاء المستشارين الذين نصحوكِ برمينا في حديقة النباتات آكلة اللحوم، التقدُّم إلى دائرة الضوء. إن كانوا نصحوكِ بالصواب، فسيخرجون منها على ما يرام ولن يصيبهم مكروه. لكن إن كانوا نصحوكِ بالخطأ، فسيصعقهم الضوء!"

مستشارو الأميرة لم يعجبهم ذلك الاختبار، ولكنها أمرتهم بالتقدم إلى النيران، وبالفعل نفذوا أمرها. فأصابتهم حروق شديدة لدرجة أن الهواء تصاعدت فيه رائحة البطاطس المشوية. وقع مستشارو المنجابوس على الأرض، وأصابهم الذبول الشديد، وكان من الضروري أن يُعاد زرعهم على الفور.

قالت الأميرة للساحر: "يا سيد، أنت أفضل من أي مشعوذ عرفناه، وأصبح من الواضح أن المستشارين نصحوني بالخطأ، وعلى هذا لن نرميكم في حديقة النباتات آكلة اللحوم المميتة، ولكن حيواناتكم يجب أن نرميها في الهاوية السوداء في الجبال، فشعبي لن يتحمَّل وجودها في بلدتنا!"

كان الساحر مسرورًا لأنه استطاع إنقاذ نفسه والطفلين، ولهذا لم يرد على قرار الأميرة، التي عندما ذهبت، احتجَّ جيم وإريكا على هذا القرار، فهما لا يريدان الذهاب إلى الهاوية السوداء، فوعدتهما دوروثي بأنها ستفعل كل ما في وسعها لإنقاذهما من هذا المصير.

ولمـدة يومـين أو ثلاثـة بعـد قـرار الأمـيرة -إذا كان بإمكاننـا أن نسـمى اليـوم "الفـترة بـين الاسـتيقاظ مـن النـوم والذهـاب إليـه"، فليـس هنـاك ليـل ليقسِّـم السـاعات إلى أيـام- لـم يزعجهـم أى شـخص. وسُـمح لهـم بالإقامـة فى بيـت المشـعوذ بسـلام، كمـا لـو كانـوا يملكونـه، والتجـول فى الحدائـق بحريـة بحثًـا عـن الطعـام.

اقتربـوا فى يـوم مـن حديقـة النباتـات الآكلـة للحـوم ومشـوا فى الهـواء فوقهـا لـيروا المنظـر بداخلهـا، فشـاهدوا أحجامًـا كبـيرة مـن سـيقان خـضراء كأنهـا ألسـنة ملتفَّـة بعضهـا عـلى بعـض، عـلى شـكل عـشِّ ثعابـين، وكل شىء يمـس الكَـرْم يُسـحَق عـلى الفـور، وكان المغامـرون ممتنـين لأنهـم فـروا مـن هـذا المصـير.

وكلمـا ذهـب السـاحر للنـوم، أطلـق الخنازيـر التسـعة الصغـار مـن جيبـه لتلعـب فى أرضيـة الغرفـة، وتـؤدي بعـض التماريـن الرياضيـة. وفى مـرة وجـدت الخنازيـر الصغـيرة البـاب الزجاجـى مواربًـا، فخرجـت إلى الممـر ومنـه إلى الجـزء السـفلى مـن القبـة، ومشـت فى الهـواء بسـهولة كمـا تفعـل إريـكا. فى هـذا الوقـت كانـت الخنازيـر قـد تعـودت عـلى القطـة الصغـيرة، فركضـت ببـطء فوقهـا وحولهـا وهـي مسـتلقية بجانـب جيـم، وبـدأت الخنازيـر تلعـب وتمـزح معهـا.

لـم يسـتغرق الحصـان فى النـوم طويـلاً هـذه المـرة، فاسـتيقظ سريعًـا، وجلـس عـلى وركـه وهـو يشـاهد لعـب الخنازيـر الصغـيرة والقطـة الصغيرة. كان الحصـان ينـادى عليهـم قائـلاً: "لا تلعبـوا بخشـونة!" عندمـا يشـاهد القطـة تخبـط خنزيـرًا سـمينًا ومـدوَّرًا بكفِّهـا، ولكـن الغريـب أن الخنازيـر الصغـيرة لـم تقلـق، واسـتمتعت باللعـب مـع إريـكا.

فجـأة، نظـروا حولهـم ووجـدوا أنهـم محاطـون بمجموعـة صامتـة مـن المنجابـوس أعينهـم خاليـة مـن أى مشـاعر، وكل واحـد منهـم يحمـل فـرع خشـب غليظًـا ممتلـئ بالشـوك، ومـن الواضـح أنهـم يقصـدون الحصـان والقطـة والخنازيـر الصغـيرة.

زمجـر جيـم وقـال بغضـب: "هـا أنتـم! توقفـوا عـن هـذه الحماقـة!" ولكـن عندمـا لـم يسـتمع أحـد لتحذيـره للمـرة الثانيـة، قـام عـلى أرجلـه الأربـع، ووقـف في طريـق هـراوات حشـد المنجابـوس. ولكنهـم أحاطوهـم بصفـوف ثابتـة تاركـين لهـم ثغـرة تـؤدى إلى الباب الرئيـس للقاعـة، فتراجعت الحيوانـات ببـطء إلى الشـارع، فوجـدت مزيـدًا مـن حشـود المنجابـوس يحملـون الهـراوات المشـوّكة، فواصلـت الحيوانـات التراجـع بطـول الشـارع. وخـلال تراجعـه تفـادى جيـم دهـس الخنازيـر الصغـيرة، الـتى كانـت تهـرول حـول قدميـه تنخـر وتنتحـب. في حـين كانـت إريـكا تخمـش الهـراوات المشـوكة الـتى تقـترب منهـا، كمـا حاولـت حمايـة الخنازيـر الصغـيرة مـن الأذى بقـدر مـا تسـتطيع. وببـطء وثبـات، دفعهـم المنجابـوس القسـاة عبر المدينـة والحدائـق نحـو السـهول الواسـعة المؤديـة إلى الجبـال.

صاح الحصان وهو يقفز للهروب من هراوة: "ماذا يعنى كل هذا؟"

ردت القطـة: "لا تسـأل عـن معـنى، إنهـم يدفعوننـا إلى الهاويـة السـوداء والـتي هددونـا بهـا قبـلا، لـو كنـت كبـيرة مثلـك يـا جيـم، لقاتلـت جـذور اللفـت البائسـة هـذه!"

استفسر الحصان: "ماذا كنتِ ستفعلين؟"

أجابـت إريـكا: "كنـت سـأركلهم بالأرجـلِ الطويلـة وأصيبهـم بالحَـدْوَات الحديديـة".

قال الحصان: "حسنًا، سأفعل هذا!"

وبالفعـل اسـتدار إلى حشـود المنجابـوس، ورفسـهم بأقـصى قـوة برجليـه الخلفيتـين، فحطـم مجموعـة كبـيرة منهـم ووقعـوا عـلى الأرض. فكـرر جيـم الرفـس عندمـا رأى نجـاح ضربتـه، ومـرة بعـد مـرة ظلَّـت ضربـات جيـم تتـوالى في كل اتجـاه، مـا جعـل المنجابـوس يحاولـون تفـادى الحَـدْوَات الحديديـة والفـرار منهـا. سـاعدته إريـكا بالقفـز عـلى وجـوه الأعـداء تخمشـها وتجرحهـا وتعضهـا بـكل غضـب. وأفسـدت القطـة الصغـيرة الوجـوه النباتيـة للمنجابـوس، الذيـن خافـوا منهـا بقـدر خوفهـم مـن الحصـان.

لكـن الأعـداء كانـوا كثيريـن، فلـم يسـتطع جيـم وإريـكا صدهـم طويـلاً. تعـب جيـم وإريـكا، ورغـم أن أرض المعركـة كانـت مغطـاة بأكـوام مـن المنجابـوس المهروسـة والمحطمـة، استسـلم أصدقاؤنـا فى النهايـة لمصيرهـم المحتـوم إلى الجبـال.




https://maktbah.net

الفصل السابع



إلى داخل الهوَّة السوداء والخروج منها ثانية

اكتشفت الحيوانات عندما وصلوا إلى الجبال أنها عبارة عن أكوام شاهقة وعرة من كتل الزجاج الأخضر القاتمة والوعرة، وقد بدت كئيبة ومميتة إلى أقصى حد. في منتصف الطريق المنحدِر نحو الجبال، قبع كهف مفتوح كأنه فم إنسان يتثاءب، أسود كالليل، أبعد من أن تصل إليه أشعة قوس قزح من الشموس الملونة. دفع المنجابوس الحصان والقطة الصغيرة والخنازير الصغار إلى تلك الهوة السوداء، ودفعوا وراءهم العربة -يبدو أن أحدهم جر العربة على طول الطريق من القصر الزجاجي إلى الجبال- وبعدها سدوا المدخل بحجارة كبيرة من الزجاج، كي لا يستطيع السجناء الخروج ثانية.

تأوَّه جيم وقال: "هذا مرعب، أعتقد أنها ستكون نهاية مغامرتنا!"

قال أحد الخنازير الصغار وهو ينتحب: "لو كان الساحر هنا، لما سمح بهذا!"

أضافت إريكا: "كان علينا أن نناديه هو ودورثى عندما هوجمنا، ولكن حدث ما حدث، كونوا شجعان يا أصدقائى، سأذهب وأخبرهم بمكانكم، لينقذونا!"

مدخل الهوة صار مسدودًا بالكامل تقريبًا، ولكن القطة الصغيرة قفزت من ثغرة باقية فى المدخل المسدود، وفرت منها عبر الهواء. رأى المنجابوس فرارها، فتناول بعضهم الهراوات، وصعدوا فى الهواء وراءها لمطاردتها. كانت إريكا أخف من المنجابوس، ففى حين استطاعوا الصعود مِئة متر فقط إلى أعلى، استطاعت هى أن تصعد مِئتى متر. فركضت فوق رءوسهم حتى ابتعدت عنهم بمسافة كبيرة وتوجهت إلى المدينة حيث بيت المشعوذ، ودخلت من نافذة غرفة دورثى أعلى القبة وأيقظتها.

عندما عرفت دورثى من القطة ما حدث، أيقظت الساحر وذيب، وعلى الفور استعدوا لإنقاذ جيم والخنازير الصغار. حمل الساحر حقيبته الثقيلة، وحمل ذيب الفانوسين وعلبة الكيروسين. حقيبة السفر الخاصة بالفتاة كانت تحت مقعد العربة الخلفى، ولحسن الحظ وضع الصبي سرج الحصان داخل العربةَ أيضًا. لهذا لم يكن هناك شيء تحمله دورثي إلا القطة الصغيرة، وضمَّتها إلى صدرها لتطمئنها، فقلبها كان يدق بشدة.

تنبَّه بعض المنجابوس لمغادرة الأصدقاء بيت المشعوذ، وعرفوا أنهم متوجهون إلى الجبال، فسمحوا لهم بالمغادرة ولم يعترضا طريقهم، ولكنهم تبعوهم فى حشدٍ كبير خلفهم. وعندما اقتربوا من الهوة السوداء، وجدوا حشدًا كبيرًا منهم، وعلى رأسهم الأميرة، يسدون المدخل بأحجار الزجاج.



فهتف الساحر بصوت غاضب: "توقفوا، إنى آمركم بالتوقف!" وعلى الفور شرع فى رفع الأحجار عن المدخل لتحرير جيم والخنازير الصغار. وبدلاً من معارضته وقف المنجابوس صامتين، حتى صنع الساحر فتحة معقولة فى الحاجز. وبأوامر من الأميرة، أشهر المنجابوس هراواتهم عاليًا ودفعوا بأشواكها الحادة تجاه المغامرين. قفزت دورثى إلى داخل الفتحة التى صنعوها لتوِّهم، وسرعان ما تبعها ذيب والساحر، بعد تلقِّيهما عددًا من طعنات الهراوات المليئة بالأشواك، وفور دخولهم بدأوا فى إعادة أحجار الزجاج وسد الفتحة التى صنعها الأصدقاء فى المدخل.

أدرك الساحر أنهم صاروا مدفونين فى الجبل، فقال للطفلين: "ماذا سنفعل؟ هل نقفز ونقاتل؟"

ردَّت دورثى: "ما الفائدة؟ أنا أُفضل الموت هنا على العيش مع هؤلاء القساة!"

قال ذيب موافقًا وهو يفرك جروحه: "نعم، لقد نلت كفايتى من هؤلاء المنجابوس!"

قال الساحر: "حسنًا، أنا معكما فى ما تقرران، ولكننا، بالتأكيد، لا نستطيع العيش طويلاً فى هذا الكهف!"

تنبَّه الساحر إلى أن الضوء بدأ يخفت، والظلام يحل داخل الكهف، فالتقط الخنازير التسعة الصغار بحرص، ووضعها داخل جيب الجاكت الداخلى. أشعل ذيب واحدًا من الفانوسين ليضىء المكان، فأشعة الشموس الست اختفت تمامًا، لأنهم سدوا آخر شق فى الجدار الذى يفصلهم عن أرض المنجابوس.

سألت دورثى: "ما عمق هذه الهوة؟"

فرد ذيب: "سأكتشف ذلك حالاً".

تقدم الصبى حاملاً الفانوس إلى داخل الهوة، وتبعته دورثى والساحر. لم يكن للمغارة نهاية مسدودة من الناحية الأخرى كما كانوا يتوقعون، بل كانت تتجه صعودًا داخل الجبل الزجاجى، فى الاتجاه المعاكس لأرض المنجابوس.

قال الساحر: "هذا ليس طريقًا صعبًا، إن مشينا فيه فمن الممكن أن يقودنا إلى مكان آخر مناسب أكثر من هذه المغارة السوداء، أعتقد أن هؤلاء الناس المصنوعين من النباتات كانوا يخافون دخول هذه المغارة لأنها مظلمة، ولكننا نملك فوانيس تضىء لنا الطريق، وأقترح استكشاف هذا النفق داخل الجبل لنرى إلى ماذا يؤدى".

وافق الآخرون على هذا الاقتراح المعقول، وسرعان ما ربط الصبى السرج إلى الحصان، وشدَّه إلى العربة، وعندما استعدَّ الثلاثة، ركبوا العربة وسار جيم بحذر فى الطريق. قاد ذيب العربة وحمل الساحر ودورثى الفانوسين مضيئين على جانبيها، كى يستطيع الحصان رؤية الطريق.

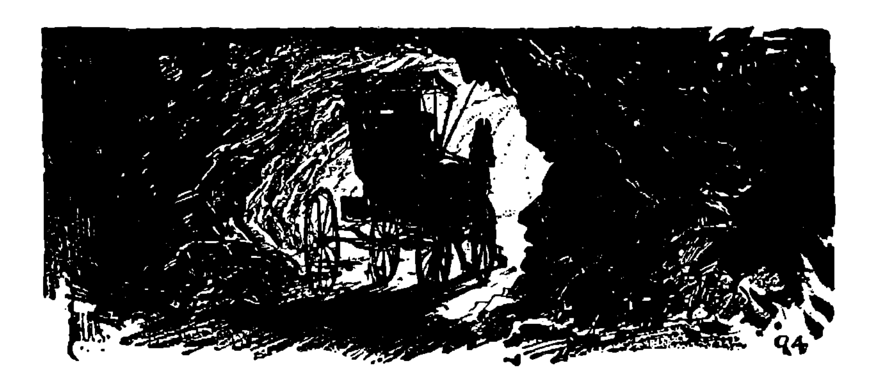
فى بعض الأحيان، كان الطريق داخل النفق يضيق لدرجة أن عجلات العربة تحتك بجانبى النفق، وفى أحيان أخرى يكون الطريق واسعًا كأنه شارع عريض، لكن الطريق كان دائمًا ممهدًا، وأتاح لهم السفر من دون حوادث. كان جيم يقف أحيانًا للراحة، فالطريق صاعد، والسير عليه مرهقٌ ومتعبٌ.

قالت دورثى: "يفترض أن نكون بارتفاع الشموس الست الآن، لم أكن أعرف أن هذا الجبل شاهق الارتفاع!"

أضاف ذيب: "نحن، بالتأكيد، على مبعدة من أرض المنجابوس".

واستمروا فى السير بثبات، وعندما تقطَّعت أنفاس جيم من الرحلة الطويلة، صار الطريق واضحًا ومنيرًا، فأطفأ ذيب المصابيح ليوفر استهلاك الكيروسين. وفرحوا عندما أدركوا أن الضوء الأبيض يشع عليهم وينير الطريق الآن، فقد كانوا متعبين من أضواء قوس قزح

التى أرهقت أعينهم بالتغير المستمر فى الألوان. أصبحت جدران النفق ملساء كأنهم يسيرون في أنبوب طويل لتليسكوب، والطريق أصبح أفقيًّا ومستويًا. تخلَّى جيم عن خطواته المتعثرة عندما تأكَّد لديه الارتياح من ترك الممر المظلم، وخلال دقائق قليلة، خرجوا من الجبل، ووجدوا أنفسهم وجهًا لوجه أمام بلد جديد وجذاب.



الفصل الثامن



وادى الأصوات

بعد رحلتهم داخل جبل الزجاج، وصل المغامرون إلى بلدة مبهجة على شكل قاع كوب كبير، وعلى الجانب الآخر منها توجد جبال وعرة، وعلى الأطراف تلال خضراء ناعمة وجميلة، مقسَّمة إلى مروج وحدائق، ومسارات مرصوفة بالحصى تمر خلالها، وبساتين من أشجار جميلة تنتشر بين المناظر الطبيعية، تحمل ثمارًا فاتنة وغير معروفة فى عالمنا. والجداول المائية الجذابة تتدفق فيها مياه رائقة كريستالية، تتلألأ بين الضفاف المليئة بالزهور. وتتناثر أكواخ أكثر فخامة وأناقة مما قد يراها مسافرونا فى رحلاتهم. ولم تكن فى مجموعات كالقرى أو المدن، بل كل كوخ له مساحة من الأرض بها بستان خاص.

وبينما المسافرون الجدد يحدقون فى المناظر الرائعة، شعروا بالبهجة من كل هذا الجمال، والروائح الذكية التى تنتشر فى الهواء اللطيف والذى استنشقوه بامتنان بعد خروجهم من الجو القاتم للنفق. مرت دقائق من الإعجاب الصامت، قبل أن يتنبَّهوا إلى حقيقتين فريدتين وغير

عاديتين فى هذا الوادى، الأولى أنه مضاء بمصدر غير مرئى، فلم يكن هناك شمس أو قمر فى السماء الزرقاء فوقهم. الحقيقة الثانية -والأكثر أهمية- هى عدم وجود أى سكان لهذا المكان الرائع، فمن موقعهم العالى المطل على الوادى، لم يروا أى شخص يتحرك، فكل شىء بدا مهجورًا على نحو غامض.

الجبل على هذا الجانب لم يكن مصنوعًا من الزجاج، بل من أحجار تشبه الجرانيت. بقليل من الصعوبة نزل جيم بالعربة على أحجار غير ممهدة، حتى وصل إلى سهل أخضر بالأسفل، حيث تبدأ الممرات والبساتين فى الانتشار عبر الوادى، ولكن أقرب كوخ كان لا زال بعيدًا عنهم.

صاحت دورثى بفرح وهى تقفز من العربة: "أليس هذا المكان رائعًا؟"

وسمحت للقطة إريكا بالتجول بمرح فوق العشب المخملى. فرد عليها ذيب: "بالطبع، نحن محظوظون بالابتعاد عن المنجابوس". نظر الساحر حوله وقال: "هذا لم يكن سيئًا تمامًا، فلو لم نكن مجبرين على المغادرة، لما وجدنا هذا المكان، خذ كلامى ثقة". وأخرج الخنازير الصغيرة من جيبه وجعلها تنطلق على العشب. أما جيم فقد تذوَّق العشب الأخضر، وأعلن أنه مسرور بالمكان الجديد.

قالت إريكا: "ولكننا لا نستطيع السير فى الهواء!" وحاولت المشى على الهواء وفشلت، ولكن الآخرين كانوا راضين عن سيرهم على الأرض، فأوضح لهم الساحر أن هذا بسبب قربهم من سطح الأرض، فكل شىء فى هذا المكان يبدو طبيعيًّا مثل وجودهم في الوطن.

قالت دورثى: "ولكن أين الناس؟"

هز الساحر رأسه الأصلع وقال: "لا أعرف يا عزيزتى!"

سمعوا صوت زقزقة عصافير، ولكنهم لم يجدوا أى شخص فى أى مكان، فتمشَّوا بهدوء إلى أقرب كوخ، وجرت الخنازير الصغيرة بمرح ولعبت حولهم، وتوقف جيم فى كل خطوة ليقضم كومة من العشب على الطريق.

قابلوا نباتًا ينمو بالقرب من الأرض، له أوراق عريضة وممتدة، وفى منتصفها ثمرة واحدة بحجم الخوخة، كانت الثمرة ملوَّنة إلى حدٍّ ما ولها رائحة عطرة، وبدت شهية ولذيذة، لدرجة أن دورثى توقفت وقالت: "ما هذا؟"

وسرعان ما شمّت الخنازير الثمرة، وقبل أن تصل إليها يد دورثى، بدأت الخنازير التهامها بنهمٍ شديد.

قال ذيب: "إنها جيدة على أى حال، فهذه العفاريت الصغيرة لن تلتهمها بهذا النهم إلا إن كانت جيدة!"

فجأة سألت دورثى بدهشة: "أين هى؟"

فنظر الكل حوله ولكن الخنازير الصغيرة اختفت. فصاح الساحر: "يا إلهى! هل هربت؟ لكنى لم أرها تذهب؟ هل رأيتماها؟"

رد الصبى والفتاة فى صوتٍ واحد: "لا!"

نادى الساحر بقلق: "تعالوا.. يا خنازيرى.. يا خنزور.. يا خنزورة.. تعالوا!"

سمع الساحر صوت نخير الخنازير ونحيبها عند قدميه، ولكنه لم يستطع أن يكتشف أى واحد منها. فسأل: "أين أنتم؟" فأجاب صوت واحد منها: "نحن بجانبك، هنا، ألا ترانا؟" أجاب الرجل الضئيل متحيرًا: "لا!" فأجاب صوت واحد آخر: "ولكننا نراك!" فتوقف الساحر ومد يده بالقرب من الأرض، وعلى الفور أحس بالجسم السمين الصغير لواحد من الخنازير، فالتقطه ولكنه لم يرَ ما يمسكه.

قـال السـاحر برزانـة: "هـذا غريـب، الخنازيـر الصغـيرة صـارت غـير مرئيـة بطريقـة غامضـة!"

هتفـت إريـكا: "أراهـن أن هـذا بسـبب أكلهـم هـذا الخـوخ!" قالـت دورثى: "إنـه ليـس خوخًـا يـا إريـكا، ولكـن أتمـنى ألا يكـون سـامًّا!"

سـمعوا صـوت واحـد مـن الخنازيـر الصغـيرة يقـول: "إنـه حلـو يـا دورثى".

وقال آخر: "لقد أكلنا كل ما عثرنا عليه من هذا النبات".

قـال السـاحر محـذرًا: "ولكـن يجـب ألا نـأكل منـه، وإلا سـنصير غـير مرئيـين مثـل الخنازيـر، وقـد يتـوه بعضنـا عـن بعـض. فـإن قابلنـا هـذا النبـات الغريـب، علينـا أن نتجنبـه!"

ثـم نـادى الخنازيـر الصغـيرة والتقطهـا فى يـده، واحـدًا بعـد الآخـر، ووضعهـا فى جيبـه، وعندمـا أغلـق جيـب الجاكـت عليهـا، ارتـاح، فقـد عـرف أنهـم فى أمـان.

استـأنف المسـافرون سـيرهم نحـو الكـوخ، وبعـد قليـل وصلـو إليـه، كان مكانًـا جميـلاً، حيـث تنمـو الكـروم بكثافـة عـلى الشرفـة الأماميـة الواسـعة. كان البـاب مفتوحًـا عـلى غرفـة بهـا مائـدة وأربعـة كـراسي حولهـا. عـلى المائـدة تراصّـت أطبـاق وملاعـق وشـوكات وسـكاكين، وطبـق كبـير مـن الخبز وآخـر مـن اللحـم والفواكـه. كان طبـق اللحـم يتصاعـد منـه البخـار السـاخن، وأمـا الملاعـق والشـوكات فكانـت تتحـرك بطريقـة غريبـة ومحـيِّرة، فهـى تتقافـز هنـا وهنـاك، ولا يوجـد شـخص واحـد فى الغرفـة. قالـت دورثى وهـى تقـف مـع ذيـب والسـاحر عـلى مدخـل البـاب: "هـذا غريـب!"

أجابتهـا جلجلـة ضحـكات مرحـة، ونزلـت الشـوكات والملاعـق عـلى الأطبـاق وأصـدرت رنينًـا. ثـم رجـع واحـد مـن مقاعـد المائـدة إلى الخلـف، وكان هذا أكثر غموضًا، لدرجة أن الفتاة الصغيرة كادت تهرب.



صاح صـوتٌ حـاد وطفـولى لشـخص غـير مـرئى: "يـا مامـا، يوجـد هنـا غربـاء!"

أجاب صوتٌ آخر، ناعم وأنثوى: "نعم يا عزيزى، أنا أرى".

ثم قال صوتٌ صارمٌ وأجش: "ماذا تريدون؟"

قال الساحر: "مهلاً، مهلاً، هل هناك أشخاص فى هذه الغرفة؟"

رد الصوت الرجولى: "بالطبع!"

قـال السـاحر: "لكـن اعـذرونى لهـذا السـؤال السـاذج، هـل جميعكـم غـير مـرئى؟"

أجابـت المـرأة: "بالطبـع!" وضحكـت ضحكـة خفيفـة، وأكملـت: "هـل أنتـم مندهشـون لأنكـم لا تسـتطيعون رؤيـة النـاس فى فـو؟"

رد السـاحر بتلعثـم: "نعـم، الأشـخاص الذيـن قابلتهـم فى حيـاتى مـن قبـل كانـوا واضحـين جـدًّا!"

سألت المرأة بفضول: "من أين أتيتم؟"

قـال السـاحر شـارحًا: "نحـن نعيـش فـوق سـطح الأرض، لكـن مؤخـرًا، خـلال زلـزال، وقعنـا فى صـدعٍ كبـير، وهبطنـا إلى أرض المنجابـوس".

هتف صوت المرأة: "إنهم مخلوقاتٌ مروعة، لقد سمعت عنهم!"

أكمـل السـاحر: "لقـد دفنونـا فى الجبـل، ولكننـا وجدنـا نفقًـا يـؤدى إلى هـذا الجانـب، فأتينـا إلى هنـا، إنـه مـكان جميـل، مـاذا تسـمونه؟"

أجابت المرأة: "وادى فو"[1].

فقـال السـاحر: "أشـكرك، لـم نـرَ أى شـخص منـذ وصولنـا، لـذا حضرنـا إلى هـذا المـنزل للاستفسـار عـن هـذا الأمـر".

---

(1) Valley of voe وادى فـو، وكلمـة voe هـى اختصـار أهـل الـوادى لكلمـة voices فى عنـوان هـذا الفصـل.

سأل صوت المرأة: "هل أنتِ جائعة؟"

فقالت دورثى: "نعم".

وقال ذيب: "أنا أيضًا جائع".

وقال الساحر مترددًا: "لكننا لا نريد التطفل عليكم".

رد صوت الرجل بنبرة أكثر ترحيبًا: "لا.. أنتم مرحّب بكم".

صـوت الرجـل كان قريبًـا مـن ذيـب الـذى نـطَّ مـن الفـزع، فضحـك صوتـان طفوليـان عـلى حركـة ذيـب الفجائيـة. دورثى كانـت واثقـة بأنـه لا ضرر مـن هـؤلاء النـاس، عـلى الرغـم مـن أنهـا لا تراهـم.

اسـتفسر الصـوت الرجـولى: "مـا هـذا الحيـوان الـذى يـأكل العشـب مـن حديقـتى؟"

قالت الفتاة: "هذا جيم، إنه حصان".

سأل الرجل: "ما الذى يستطيع فعله؟"

شرحـت دورثى: "إنـه يجـرُّ العربـة الـتى تراهـا هنـاك، فنركـب العربـة بـدلاً من المـشى".

سأل الرجل: "هل يستطيع القتال؟"

ردت الفتـاة: "لا! يسـتطيع الرفـس جيـدًا برجليـه الخلفيتـين، ويسـتطيع العـض، ولكنـه لا يسـتطيع القتـال باحـتراف".

قال صوت طفولى: "إذًا.. ستفترسه الدببة!"

هتفت دورثى فى ذعر: "دببة! هل توجد دببة هنا؟"

أجـاب الرجـل غـير المـرئى: "إنـه أحـد الـشرور فى وادينـا، فالدببـة المتوحشـة تتجـول فى وادى فـو، وعندمـا تمسـك بـأى واحـد منـا، تأكلـه عـلى الفـور، ولحسـن الحـظ أنهـا لا ترانـا، فنـادرًا مـا تمسـك بنـا".

سألت الفتاة: "هل هذه الدببة غير مرئية أيضًا؟"

أجـاب الرجـل: "نعـم، فهـى تـأكل ثمـرة الدامـا، مثلنـا، فتجعلهـا غـير مرئيـة لأى عـين، سـواء عـين إنسـان أو حيـوان".

تسـاءلت دورثى: "هـل ثمـار الدامـا تنمـو فى شـجيرات منخفضـة، وتبـدو مثـل ثمـار الخـوخ؟"

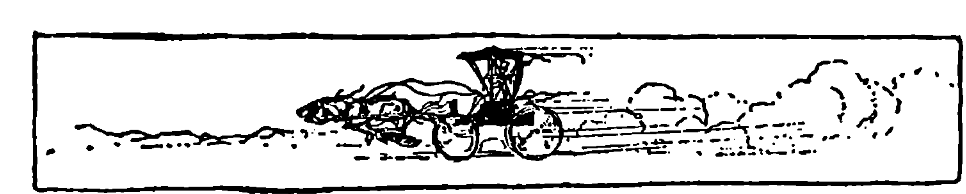
أجابها الرجل المختفى: "نعم".

فسـألته دورثى: "إذا كانـت هـذه الثمـار السـبب فى اختفائكـم، فلمـاذا تأكلونهـا؟"

فأجابهـا: "لسـببين يـا عزيـزتى، لأنهـا ألـذ نبـات ينمـو هنـا، ولأنهـا تخفينـا عـن أعـين الدببـة المتوحشـة. والآن أيهـا المسـافرون، إنـه وقـت الغـداء، تفضلـوا وتناولـوا مـا تشـتهون".



الفصل التاسع



قتال الدببة غير المرئية

جلس الغرباء على المائدة عن طيب خاطر، فقد كانوا جائعين، والأطباق مليئة بطعامٍ طيب. أمام كل طبق ثمرة لذيذة من ثمار الداما، ورائحتها المتصاعدة مغرية بالالتهام. أشبعت دورثي جوعها بأكلات أخرى، كما فعل رفقاؤها، لمقاومة هذا الإغراء.

سأل صوت المرأة: "لماذا لم تأكلوا ثمار الداما؟"

أجابت الفتاة: "لأننا لا نريد أن تكون غير مرئيين!"

قال صوت فتاة صغيرة: "إن ظللتم مرئيين، ستعثر عليكم الدببة وتفترسكم، نحن هنا نُفضِّل أن نكون غير مرئيين، فما زلنا نستطيع تبادل العناق والقبلات، كما أننا نبقى آمنين من الدببة".

أضاف صوت الرجل: "ولن نكون مضطرين إلى هندمة ملابسنا على الدوام".

قال الصوت الطفولى بابتهاج: "وأمى لن تعرف إن كان وجهى متسخًا أم لا".

قالت الأم: "ولكنى أجعلك تغسل وجهك كلما اعتقدت أنه متسخ، ليس هذا عذرًا يا لونا، سواء أرأيت وجهك أم لا!"

ضحكت دورثى ومدَّت ذراعيها وقالت: "تعال هنا يا لونا أنت وأختك، أريد أن أشعر بكما فى حضنى".

حضنها الصغيران عن طيب خاطر، ومررت دورثى يديها على وجهيهما، وعرفت أن الفتاة تقريبًا فى مثل عمرها، والصبى أصغر منها. شعر الفتاة ناعم وطويل، وبشرتها رقيقة مثل الساتان. لمست دورثى أنفها وأذنيها وشفتيها، وأحسَّت بأنها جميلة، فقالت لها: "أنا متأكدة من أنكِ جميلة جدًّا". ضحكت الفتاة وقالت أمها: "نحن لا نشعر بالغرور فى وادى فو، لأننا لا نُظهر جمالنا الخارجى، فالأفعال الطيبة والأخلاق الدمثة هى جمالنا أمام رفقائنا، ولكننا نرى جمال الطبيعة ونقدره، نحن نرى الزهور والأشجار والحقول الخضراء والسماء الصافية".

سأل ذيب: "ماذا عن الطيور والحيوانات والأسماك؟"

قالت المرأة: "نحن لا نرى الطيور، لأنها تحب أكل ثمار الداما مثلنا، على الرغم من أننا نسمع زقزقتها وغناءها ونستمتع به، أما الأسماك التى تسبح فى الجداول المائية، فنراها، وفى بعض الأحيان نصطادها لنأكلها".

قال الساحر: "يبدو أن لديكم أساليب كثيرة للاستمتاع بحياتكم، ولكننا نُفضِّل أن نظل مرئيين ونحن فى واديكم الطيب".

دخلت إريكا عليهم، فقد كانت تتجول مع جيم فى الخارج، وعندما رأت المائدة حافلة بالطعام، هتفت فى دورثى: "الآن يجب أن تطعمينى، فأنا نصف جوعانة". ويبدو أن الأطفال خافوا من رؤية هذا المخلوق

الصغير، فقد ذكَّرهم بالدببة، ولكن دورثى طمأنتهم بأن شرحت لهم أن إريكا قطة أليفة ولا تؤذى أحدًا حتى لو أرادت.

انتهى معظمهم من الأكل وغادر المائدة، فقفزت إريكا على الكرسى، ووضعت كفها على المائدة لترى ماذا ستأكل. لدهشتها أحست بيد غير مرئية تمسكها وتعلِّقها فى الهواء، فأصابها الذعر، وحاولت أن تخمش وتعض تلك اليد، وفى اللحظة التالية وقعت على الأرض، فقالت وهى تلهث: "هل رأيتِ هذا يا دورثى؟"

فردت عليها: "نعم يا عزيزتى، فهنا ناس يعيشون، على الرغم من أننا لا نراهم، وعليك أن تحسنى التصرف، وإلا تستحدث لكِ عواقب وخيمة".

ووضعت طبقًا من الطعام على الأرضية، فأكلته القطة الصغيرة بنهم. وبعدما أكلت كل ما فى الطبق، قالت لدورثى بتوسُّل: "أعطينى من هذه الثمار الشهية". فقالت دورثى: "إنها ثمار الداما، وعليك ألا تتذوَّقيها أبدًا يا إريكا، وإلا ستختفين، ولن نستطيع رؤيتك!"

فحدقت القطة بحزن إلى الفاكهة الممنوعة، وسألت: "هل الاختفاء مؤلم؟"

أجابتها دورثى: "لا أعرف، ولكنه سيكون مؤلمًا لى أن أفقدك!"

قالت القطة: "حسنًا، لن ألمسها، ولكن عليكِ إبعادها عنى، فرائحتها مغرية جدًّا".

قال الساحر لأهل البيت، متوجهًا بكلامه إلى الهواء، حيث لا يعرف أين يقفون: "هل بالإمكان يا أستاذ، أو يا مدام، إخبارنا إن كان يوجد طريق للخروج من واديكم الطيب، إلى سطح الأرض مرة أخرى؟"

أجاب صوت الرجل: "الطريق للخروج من الوادى سهل، لكن عليك دخول بلاد أقل بهجة منا. أما الوصول إلى سطح الأرض، فلم أسمع

بأنه شيء ممكن. فإن نجحتم في الوصول إلى هناك، من المحتمل أن تسقطوا!"

قالت الفتاة: "لا، لقد كنا على سطح الأرض، نحن نعرف المكان هناك". أكمل الساحر حديثه للهواء قائلاً: "وادي ڤو مكان ساحر وجميل، ولكننا لن نرتاح في أي أرض غير أرضنا، حتى لو اضطررنا إلى المرور على مناطق ليست لطيفة في طريقنا. فمن الضروري للوصول إلى سطح الأرض، أن نستمر في التحرك إلى الأمام".

قال الرجل: "في هذه الحالة، الأفضل لكم عبور وادينا وتسلُّق السلالم اللولبية داخل الجبل الهرمي، فقمة الجبل ترتفع إلى السحاب، وعندما تصلون إلى القمة ستجدون أنفسكم في أرض العدم الكريهة[1]، حيث يعيش الجارجوليس[2]".

سأل ذيب: "ما هو الجارجوليس؟"

فأجاب الرجل غير المرئي: "لا أعرف أيها الصبي، فأعظم أبطالنا، أوفرمان[3] أون، تسلق السلالم اللولبية وقاتل الجارجوليس لمدة تسعة

---

(1) Land of naught هي أرض العدم، حيث كلمة naught تعني nothing لا شيء أو صفري (باللهجة الأمريكية القديمة) أو تافه.

(2) Gargoyles هي تماثيل مرعبة لمخلوقات خرافية مجنَّحة على الغالب (لها أشكال كثيرة) تقع أعلى المباني القوطية القديمة، وتُستخدم كالمزراب الذي يوضع على أسطح المنازل لتصريف مياه الأمطار. جاء أصل الكلمة من أسطورة فرنسية قديمة لتنين يسمى La Gargouille، أرهب ودمَّر مدينة فرنسية قديمة لفترات طويلة حتى جاء راهب وعرض على أهل المدينة القضاء على التنين في مقابل دخولهم المسيحية، وبالفعل أخضع التنين وقاده إلى داخل المدينة لإحراقه، ولم يتبقَّ منه غير الرأس الذي وُضع أعلى الكنيسة التي بناها الراهب في المدينة. ويقال إن السبب الرئيس لوضع تلك التماثيل على الكنائس في العصور القديمة، هو جذب القبائل الوثنية لدخول الكنائس والتحول للمسيحية، وقد كانت طريقة فعالة، لذلك استمرت كتقليد معماري حتى وقت قريب.

(3) Overman هو المصطلح القديم المستخدم للدلالة على الإنسان الفائق أو السوبرمان حاليًا، وهي الترجمة الإنجليزية الدقيقة والحرفية للمصطلح الألماني Übermensch الذي سكَّه الفيلسوف الألماني نيتشه عام 1883.

أيـام، قبـل أن يتمكـن مـن الهـرب منهـم والعـودة إلينـا ثانيـة، ولكنـه لـم يتمكّـن مـن وصـف تلـك المخلوقـات المرعبـة، فبعـد فـترة قصـيرة تمكّـن منـه أحـد الدببـة وافترسـه!"

أصـاب الإحبـاط مسـافرينا مـن هـذه الإجابـة الكئيبـة، وقالـت دورثى بعـد تنهيـدة: "إن كان الطريـق الوحيـد للعـودة إلى البيـت هـو مقابلـة الجارجوليـس، فعلينـا مقابلتهـم، فلـن يكونـوا أسـوأ مـن السـاحرة الشريـرة أو ملـك النـووم".

قـال السـاحر: "ولكـن عليـكِ أن تتذكـرى أن خيـال المآتـة والحطـاب الصفيـح سـاعداكِ للتغلـب عـلى هـؤلاء الأعـداء، لكـن الآن يـا عزيـزتى، لا يوجـد مقاتـل واحـد فى صحبتـك!"

التفتـت دورثى إلى الصـبى وقالـت: "أعتقـد أن ذيـب يسـتطيع القتـال، أليـس كذلـك يـا ذيـب؟"

أجاب ذيب بتردد: "يمكن، إذا تحتم علىّ القتال أعتقد أنى سأفعلها".

وقالت للساحر: "وأنت قطعت المشعوذ بالسيف إلى نصفين!"

رد الساحر: "نعم هذا صحيح، وفى حقيبتى أشياء مفيدة لنقاتل بها أيضًا".

قـال صـوت الرجـل: "نقطـة ضعـف الجارجوليـس هـى الصـوت العـالى، بطلنـا قـال لى إنـه عندمـا صرخ صرخـة الحـرب، ابتعـدت تلـك المخلوقـات وتـرددت فى معـاودة القتـال، لكنهـم هجمـوا عليـه بأعـدادٍ كبـيرة، وبطلنـا لـم يسـتطع الـصراخ لمـدة أطـول، فقـد كان عليـه المحافظـة عـلى تنفُّسـه لمواصلـة القتـال".

قـال السـاحر: "هـذا أفضـل، فنحـن نسـتطيع الـصراخ أفضـل مـن القتـال، وبالتأكيـد سـيكون سـهلاً علينـا أن نهـزم الجارجوليـس".

قالـت دورثى: "لكـن أخـبرنى، كيـف لمثـل هـذا البطـل الشـجاع أن يقـع فى قبضـة الدببـة لتفترسـه؟ وإذا كان غـير مـرئى والدببـة غـير مرئيـة، كيـف عرفتـم أن الدببـة أكلتـه حقًّـا؟"

قـال صـوت الرجـل غـير المـرئى: "البطـل قتـل أحـد عـشر دبًّـا خـلال حياتـه، نحـن نعلـم أن ذلـك حقيقـى، لأن أى مخلـوق يمـوت ينحـسر تأثـير ثمـار الدامـا عنـه، ويعـود مرئيًّـا. عندمـا قتـل بطلنـا أحـد الدببـة، أصبـح الـدب مرئيًّـا لنـا. وعندمـا قتلـت الدببـة بطلنـا، رأينـا جسـده المقتـول عـلى الأرض، وبعـد ذلـك اختفـى بالطبـع، لأن الدببـة أكلتـه بالكامـل وهضمتـة في بطونهـا".

بعدمـا ودَّع أصدقاؤنـا العائلـة اللطيفـة غـير المرئيـة، ولفـت الرجـل انتباههـم إلى جبـل عـالٍ عـلى شـكل هـرم فى الناحيـة الأخـرى مـن الـوادى، وقـال لهـم كيـف يسـافرون للوصـول إليـه. فاسـتأنفوا رحلتهـم ثانيـة، وتابعـوا طريقهـم بجانـب مجـرى مـائى، ومـروا بعـددٍ آخـر مـن الأكـواخ الأنيقـة، ولكنهـم بالطبـع لـم يشـاهدوا أى مخلـوق ولـم يتحـدث إليهـم أى صـوت. الفاكهـة والأزهـار نمـت فى كل مـكان، وبينهـا ثمـار الدامـا اللذيـذة الـتى يحبهـا أهـل وادى فـو.

توقـف الأصدقـاء قـرب منتصـف الظهـيرة ليرتـاح جيـم قليـلاً فى ظـلال بسـتان جميـل، وبينمـا هـم يلتقطـون ويأكلـون ثمـار الفراولـة والتـوت، سـمعوا فجـأة صوتًـا رقيقًـا يقـول: "هنـاك دببـة بالقـرب منكـم، احـذروا".

أشـهر السـاحر سيفه عـلى الفـور، وأمسـك ذيـب بسـوط الحصـان الـذى يقـود بـه العربـة، وصعـدت دورثى إلى العربـة، عـلى الرغـم مـن أن جيـم لـم يكـن مربوطًـا بهـا، وكان يرعـى عـلى مقربـة منهـم.

ضحكـت صاحبـة الصـوت وقالـت: "لـن تسـتطيعوا الهـروب مـن الدببـة بهـذه الطريقـة!"

أصعـب مـا تواجهـه دورثى هـو انتظـار خطـر غـير مـرئى، فسـألت بعصبيــة،: "كيـف نهـرب إذًا؟"

رد الصوت: "عليكم النزول إلى النهر، فلن تغامر الدببة بالنزول فى الماء".

هتفت الفتاة: "ولكننا قد نغرق!"



قال الصوت، الذى بدا صوتًا لفتاة شابة: "أوه، ليس ضروريًّا، أنتم غرباء فى وادى ڤو، ولا يبدو أنكم تعرفون أساليبنا، لذا سوف أساعدكم".

فى اللحظة التالية، انتُزِع نبات ذو أوراق عريضة من الأرض، وصار معلقًا فى الهواء أمام وجه الساحر. وقال الصوت للساحر: "يا أستاذ، افرك أوراق هذه النباتات فى باطن قدميك، وبعدها ستتمكّن من المشى على الماء دون الغرق. إنه سر لا تعرفه الدببة، نحن أهل وادى ڤو نمشى على الماء عندما نسافر، وبهذه الطريقة نفر من الأعداء".

صاح الساحر بفرح: "شكرًا!" وعلى الفور فرك أوراق هذا النبات على حذاء دورثى وعلى حذائه، وأخذت دورثى أوراق النبات وفركت بها كفوف القطة الصغيرة، وتناول ذيب بقية أوراق النبات، وبعدما فرك بها قدميه، فرك بها حوافر جيم الأربعة وعجلات العربة. انتهى ذيب من مهمته، وسمعوا صوت زمجرة فجأة، ما أصاب جيم بالذعر فظل يتقافز ويرفس بحوافره بعصبية.

صاح صوت الصديقة غير المرئية: "أسرعوا إلى الماء وإلا ستهلكون!" ودون تردد قاد الساحر العربة من سهل المجرى المائى إلى النهر العريض، وظلت دورثى جالسة على مقعد العربة، وتضم إريكا بين ذراعيها. وبفضل خاصية النبات الغريب الذى استخدموه، لم يغرقوا. وعندما دخلت العربة إلى منتصف المجرى المائى، رجع الساحر ليساعد ذيب وجيم.

كان الحصان يتصرف بجنون، وقد ظهر جرحان أو ثلاثة جروح غائرة على كفليه، ونزفت الدماء منها بغزارة. صرخ الساحر فيه: "أسرع إلى النهر"، وبسرعة رفس جيم المهاجمين غير المرئيين برجليه الخلفيتين، وبعدها أطاع الساحر، وما إن وجد نفسه يمشى على سطح النهر، أحسَّ بأنه أفلت من مطارديه، وجرى ذيب على سطح الماء نحو دورثى. وعندما استدار الساحر ليعود إليهم داخل النهر، أحس بأنفاس

حارة قرب رقبته، وسمع هديرًا قويًّا وشرسًا، وعلى الفور طعن الهواء بالسيف، وعرف أنه أصاب واحدًا من الدببة، لأنه عندما سحب نصل السيف تقاطرت منه دماء. وفى الطعنة الثالثة، سمع زمجرة عالية وصوت سقوط. وفجأة ظهرت عند قدميه هيئة دب أحمر كبير بحجم الحصان، ويبدو أشد قوة وشراسة. مات الدب من طعنات سيف الساحر، وبعد نظرة خاطفة إلى مخالبه الرهيبة وأسنانه الحادة، أصيب الساحر بالذعر، وجرى إلى الماء، وقد سمع هدير المزيد من الدببة.

على سطح النهر، شعر المغامرون بالأمان، وطفت العربة التى تركبها دورثى بهدوء، وسارع الآخرون للحاق بها. وأخرج الساحر ضمادات إسعافات أولية من حقيبته ليعالج ظهر الحصان.

قالت دورثى: "أعتقد أنه من الأفضل الالتزام بخط سير النهر، فلو لم يحذرنا الصديق المجهول غير المرئى، وأخبرنا بما نفعل، لكنا كلنا موتى الآن!"

وافقها الساحر وقال: "هذا صحيح، والنهر يسير فى اتجاه الجبل الهرمى، يبدو أن هذا أسهل طريق لنسافر فيه".

ربط ذيب الحصان فى العربة ثانية، وتبختر الحصان بهدوء على سطح الماء وهو يجر العربة. خافت القطة الصغيرة إريكا فى البداية من أن تبتلَّ، لكن دورثى طمأنتها وحاولت تهدئتها، حتى تجرأت ومشت بجانب العربة دون خوف، لدرجة أنها رأت سمكة تسبح فى الماء بالقرب من السطح، فانقضت عليها بفكيها والتهمتها فى لمح البصر. ولكن دورثى حذرتها من أكل أى شىء فى هذا الوادى المسحور.

بعد رحلة استمرت لساعات على طريق النهر، وصلوا إلى نقطة ينحنى فيها النهر إلى اتجاه آخر غير اتجاه الجبل الهرمى، وكان عليهم أن يعبروا مسافة ميل على الأرض للوصول إلى الجبل. كانت هناك منازل

عدة في هذا الجزء، وعدد قليل من البساتين، لذا خاف الأصدقاء أن يواجهوا المزيد من الدببة المفترسة.

قال الساحر: "يجب أن تجرى بأقصى ما تستطيع يا جيم".

أجاب الحصان: "حاضر، سأفعل ما بوسعى، ولكن يجب أن تتذكروا أني عجوز، وأيام السباق ولَّت".

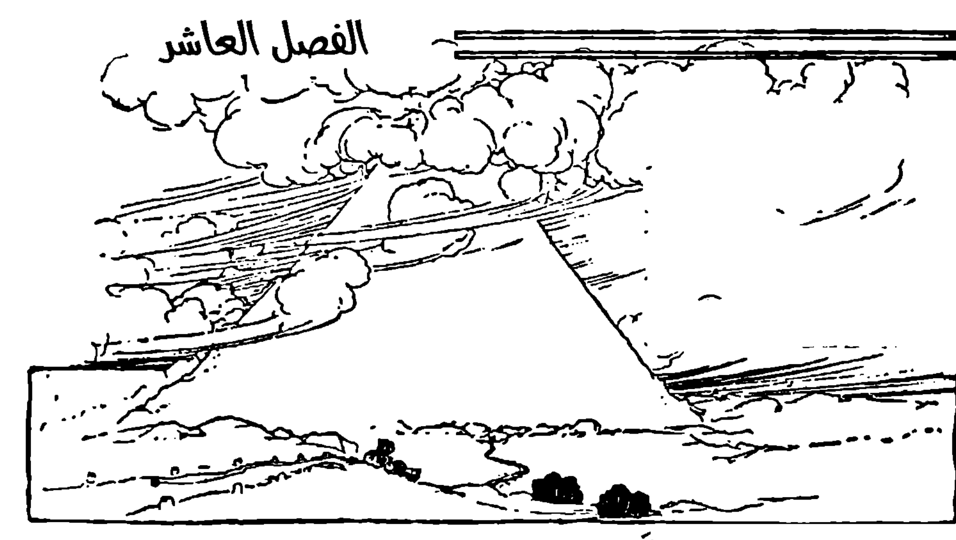
صعد الثلاثة إلى العربة، وتناول ذيب اللجام بيد قوية، على الرغم من أن جيم لا يحتاج إلى توجيه، فهو ما زال يتذكر ألم جروح المخالب الحادة للدببة غير المرئية، فما إن صعد على الأرض، توجه إلى الجبل بسرعة، ففكرة أن هناك دببة مخيفة قريبة دفعته للجرى إلى الأمام بقوة، حتى إن دورثى لم تستطع التقاط أنفاسها.

عمل ذيب مقلبًا مؤذيًا فى جيم، فقلد صوت هدير الدببة، وحينما سمعه الحصان انطلق بسرعة فائقة وكاد يطير على الطريق، فتحركت سيقانه النحيفة بأقصى سرعة، لدرجة أن الساحر تشبَّث فى مقعده، ولهثت دورثى وهى تقول: "أنا.. أنااا.. خا.. خائفة.. من المؤكد أنه يهرب من الدببة!" فرد عليها ذيب: "أنا أعرف أنه يهرب، لكن لن تستطيع الدببة اللحاق بنا وهو يجرى بهذه السرعة، إلا إن انكسر السرج أو عجلات العربة!"

لم يستغرق جيم دقيقة فى هذا الميل، وقبل انتهاء كلامهم كانوا قد وصلوا إلى سفح الجبل، فتوقَّف فجأة، لدرجة أن الساحر وذيب طارا فى الهواء، ووقعا على العشب الأخضر الطرى، وتدحرجا عليه مرات عدة. وكادت دورثى تطير معهما، لولا أنها أمسكت بالمسند الحديدى للمقعد، مما أنقذها. بالرغم من ذلك ضغطت بقوة على إريكا بشكل لا إرادى حتى أن القطة الصغيرة أطلقت صرخة ذعر. أطلق الحصان العجوز أصوات غريبة، فشكت دورثى أنه يضحك عليهم.



الفصل العاشر



الرجل مضفَّر الشعر من الجبل الهرمي

انتصب الجبل أمامهم على شكل مخروط طويل، وقمته تختفى بين السحب. ومباشرة أمام المكان الذى توقف فيه جيم، تقع بوابة مقوسة تؤدى إلى السلالم اللولبية العريضة، المحفورة داخل صخور الجبل. درجات السلم عريضة وواسعة ولم تكن منحدرة بشدة، فهى تدور حول نفسها على شكل حلزونى إلى أعلى. فى بداية الرحلة عند بداية البوابة المقوسة، كانت دائرة الدرج كبيرة للغاية، وعليها لافتة مكتوب عليها:

تحذير:

هذه السلالم تؤدى إلى أرض الجارجوليس

خطر. ابتعد.

قالت دورثى بقلق: "هل يستطيع جيم جرّ العربة على هذه السلالم؟"

قـال الحصـان وهـو يصهـل باسـتهتار: "لا مشـكلة عـلى الإطـلاق، ولكـن لـن يمكنـنى سـحب أى ركاب عليهـا. سـيكون عليكـم المـشى".

اقترح ذيب قائلاً بقليلٍ من الشك: "ماذا إن السلم صار أكثر انحدارًا؟"

أجاب جيم: "عندها سيكون عليك تعزيز ودعم العجلات، هذا كل شيء".

قـال السـاحر: "حسـنًا، سـنحاول، عـلى أى حـال إنهـا الطريقـة الوحيـدة للخـروج مـن وادى ڤـو!"

وبـدؤوا صعـود السـلالم العريضـة. تقدَّمـت دورثى والسـاحر أولاً، وبعدهمـا جيـم يجـر العربـة، وذيـب خلفهـم ليراقـب سرج الحصـان. كان الضـوء خافتًـا، وبعـد فـترة وجـدوا أنفسـهم يصعـدون فى الظـلام الدامـس، لـذا أخـرج السـاحر الفانوسـين مـن العربـة وأشـعلهما ليـضىء بهمـا الطريق، حـتى وصلـوا إلى رصيـف مسـطَّح بـين السـلالم يطـل عـلى شـقٍّ فى جانـب الجبـل، سـمح بدخـول الهـواء والنـور إليهـم، وعندمـا نظـروا خـلال هـذا الشـق رأوا وادى ڤـو فى الأسـفل، وبـدت الأكـواخ مـن هـذه المسـافة مثـل المنـازل اللعبـة.

اسـتراحوا قليـلاً، ثـم اسـتأنفوا صعودهـم. ظلـت السـلالم عريضـة ودرجاتهـا منخفضـة، مـا أتـاح لجيـم أن يجـر العربـة بسـهولة. ولكـن الحصـان العجـوز شـحب قليـلاً، وكان عليـه أن يقـف قليـلاً ليلتقـط أنفاسـه. فى مثـل هـذه الأوقـات، كانـوا مسروريـن لانتظـاره، فصعـود هـذه السـلالم الطويلـة باسـتمرار يؤلـم الأقـدام.

السـلالم لفَّـت بهـم إلى أعـلى، فتقدمـوا، وأضـواء الفوانيس بالـكاد أنارت لهـم الطريـق، فكانـت رحلـة كئيبـة داخـل الجبـل. وعندمـا أنـار لهـم شـعاع مـن الضـوء افترضـوا أنهـم وصلـوا إلى الرصيـف الثـانى، ولكنهـم وجـدوا فتحـة كبـيرة فى الجانـب الداخـلى للجبـل، مثـل مدخـل كهـف، وتوقَّفـت السـلالم عنـد الحافـة القريبـة مـن أرضيـة الكهـف، ولكـن درجـات السـلم عـادت للصعـود ثانيـة فى الجهـة المقابلـة.

فتحة الكهف كانت فى الناحية المقابلة لوادى ڤو، ورأى مسافرونا من خلالها منظرًا غريبًا. كان مدخل الكهف يطل على فراغ شاسع، يقع أسفله بحر أسود، ينتشر على سطحه زَبَد كثيف، وتتصاعد منه أبخرة الماء كألسنة اللهب. وعلى مستوى وقوفهم تجمعت كتل من السحب، تتغير أشكالها وألوانها باستمرار.

تكوينات الأزرق مع الرمادى للسحب كانت جميلة للغاية، ولاحظت دورثى أن هناك أشكالاً مظلَّلة لمخلوقات جميلة اتَّكأت على كومة السحب، لا بد أنها "جنيات السحب". فى كثير من الأحيان لا يستطيع البشر على سطح الأرض تمييز تلك المخلوقات أو إدراك وجودها حين ينظرون إلى السماء، ولكن دورثى -التى كانت فى مستوى قريب من السحب- استطاعت رؤية الجنيات اللطيفات بوضوح.

سأل ذيب بصوت ملىء بالهلع: "هل هن حقيقيات؟"

ردَّت دورثى، بنعومة: "بالطبع، إنهن جنيات السحب!"

علَّق الصبى وهو يحدق باهتمام: "إنهن أشبه بمشغولات فنية من الغيوم، إن ضغطت عليها بين أصابعى، فلن يتبقى منها شىء!"

فى الفضاء المفتوح بين السحب والسواد، الذى يتدفق فيه البحر تحتهم، رأوا طائرًا غريبًا على مبعدة، يطير بنعومة فى الهواء. كان الطائر هائل الحجم، ذكَّر ذيب بطائر الرُّخ الذى قرأ عنه فى "ألف ليلة وليلة"، له عينان وحشيتان ومنقار ومخالب حادة.

صاح الساحر: "حسنًا، ما هذا العالم؟"

التفت المسافرون حولهم، فرأوا رجلاً يقف على الأرض فى وسط الكهف. انحنى لهم بأدب عندما نظروا إليه. كان رجلاً عجوزًا جدًّا، وأغرب شىء فيه هو شعره ولحيته البيضاء الطويلة التى تصل إلى قدميه، والعجيب أنها مضفَّرة بعناية فى جدائل كثيرة، ونهاية كل جديلة مربوط فيها شريط ملوَّن.

قالت دورثى بتعجُّب: "من أين أتيت؟"

أجـاب الرجـل: "حاليًّـا.. لا مـكان عـلى الإطـلاق، منـذ زمـن كنـت أعيـش فــوق الأرض، أمــا الآن، ومنــذ ســنوات طويلــة، أملــك مصنعًــا فى هــذه البقعـة، فى منتصـف الطريـق داخـل الجبـل الهرمـى".

استغرب الصبى وسأل: "هل نحن فى منتصف الطريق؟"

رد الرجـل مضفَّـر الشـعر: "أعتقـد هـذا يـا فـتى، ولكـنى لـم أنـزل أو أصعـد منـذ وصـولى إلى هـذا المـكان، لـذا لسـت واثقًـا بـأن هـذا هـو منتصــف الطريــق".

سأل السـاحر وهـو يتفحَّـص هـذه الشـخصية الغريبـة باهتمـام: "هـل عنـدك مصنـع فى هـذا المـكان؟"

قـال الرجـل: "بالطبـع، أنـا مخـترع كبـير، يجـب أن تعرفـنى، فأنـا أصنـع منتجـاتى فى هـذا المـكان".

استفسر الساحر: "وما هذه المنتجات؟"

أجابـه الرجـل: "أنـا أصنـع رفرفـات متنوعـة للأعـلام والرايـات، كمـا أنى خبـير فى صناعـة حفيـف ملابـس النسـاء الحريريـة".

تنهد الساحر وقال: "هذا ما اعتقدته، هل يمكن أن ترينا مصنوعاتك؟"

اسـتدار الرجـل مضفـر الشـعر، وقادهـم إلى كهـف آخـر أصغـر وهـو يقـول: "نعـم، بالطبـع، تعالـوا إلى متجـرى".

كان مـن الواضـح أنـه المـكان الـذى يعيـش فيـه أيضًـا. رأى المسـافرون فيــه رفًّــا عريضًــا، وعليــه علــب كرتونيــة مــن مختلــف الأحجــام، كل منهــا مربـوط بخيـط قطـنى، تنـاول الرجـل واحـدًا منهـا فى يـده برفـق شـديد وقـال: "هـذه العلبـة تحتـوى عـلى اثـنى عـشر زوجًـا مـن الحفيـف. إنـه يكفـى سـيدة لمـدة عـام. هـل تشـترينه يـا عزيـزتى؟"

قالت دورثى بابتسامة: "ردائى ليس من الحرير!"



قال الرجل بجدية: "ليس مهمًّا، فحين تفتحين العلبة ستهرب أنواع الحفيف، وستتبعك أينما كنتِ، سواء ألبست رداء حريريًّا أم قطنيًّا" وتناول علبة أخرى وقدَّمها للساحر وقال: "فى هذه العلبة ستجد مجموعة متنوعة من الرفرفات، إنها قادرة على رفرفة الأعلام فى وضح النهار، حتى مع عدم وجود رياح، تفضَّل يا أستاذ، يجب أن تحصل عليها، بمجرد أن تجرِّب مصنوعاتى لن تستطيع أن تستغنى عنها".

حاول الساحر المراوغة فقال: "أنا لا أملك مالاً!"

ردّ الرجل مضفر الشعر: "أنا لا أريد مالاً، فبم سأستفيد به فى هذا المكان المنعزل؟ ولكنى أريد شريطًا أزرق لجديلة شعرى، فأكيد أنكم لاحظتم أن جدائلى مربوطة بشرائط من اللون الأصفر والوردى والبنى والأحمر والأخضر والأبيض والأسود، ولكنى لا أملك شرائط باللون الأزرق!"

قالت دورثى: "سأحضر لك واحدًا".

لقد شعرت دورثى بالأسف للرجل المسكين، فعادت إلى العربة وأخرجت من حقيبة السفر شريطًا أزرق جميلاً. وشعرت بالسعادة عندما رأت عينيه تلمعان وهو يتلقى منها هذه الهدية الثمينة. وقال: "لقد جعلتنى سعيدًا جدًّا يا عزيزتى!"

قَبِلت دورثى علبة الحفيف، وأصرَّ الرجل على أن يأخذ الساحر علبة الرفرفات، وقال: "قد تحتاج إليها فى يوم من الأيام، لا فائدة من تصنيعى هذه الأشياء إن لم يستخدمها أحد". فسألت دورثى: "ولكن لماذا تركت سطح الأرض؟"

قال الرجل مضفر الشعر: "لم تكن باليد حيلة، إنها قصة حزينة، ولكن سأحكيها لكم إن كنتم تستطيعون السيطرة على دموعكم. على الأرض، كنت أصنع فجوات مستوردة للجبن السويسرى[1] الأمريكى، ويجب أن أعترف بأنى كنت متفوقًا فى هذا المجال، فقد كان على منتجاتى طلب كبير. كما أنى كنت أصنع المسامَّ فى اللصقات المساميَّة[2] والثقوب عالية الجودة فى الدونات[3] والأزرار[4]. أخيرًا اخترعتُ حفرة قليلة العمق[5] فى الأرض قابلة للتعديل، واعتقدت أنى سأحقّق منها ثروة، فصنعت عددًا كبيرًا من تلك الحفر، ولم يعد لدى مكان لتخزينها، لذا وضعتها بعضها فوق بعض فى الأرض، ما أدى إلى تعميق الحفرة جدًّا، لدرجة أنى حاولت أن أنظر داخلها لأرى قاعها، ففقدت توازنى ووقعت. لسوء الحظ، وصلت هذه الحفرة إلى الفضاء الشاسع الذى رأيتموه خارج الكهف، لكنى تعلّقت بنتوء فى الصخور البارزة من هذا الكهف، فأنقذت نفسى من الوقوع فى البحر الأسود بالأسفل. بعد ذلك قررت أن أجعل هذا المكان بيتى، رغم أنه مكان منعزل، وأصبحت أسلِّى نفسى بصنع الرفرفات والحفيف، ولذا فالوحدة كانت جيدة بالنسبة لى".

---

(1) باوم يسخر من تصنيع الأمريكان للجبن السويسرى، فـ Swiss cheese أصله من قرية فى سويسرا، وهو مشهور بالثقوب الكثيرة والفراغات فى الجبن الأصفر، والأمريكان يصنعون نوع الجبن نفسه من ألبان الأبقار بإضافة فجوات إليه، لذلك يسمى American Swiss Cheese، فالرجل مضفر الشعر يصنع الفجوات لإضافتها إلى الجبن الأصفر الأمريكى ليصير جبنًا سويسريًّا. يذكر أن سبب الفجوات المشهور بها ذلك النوع من الجبن السويسرى هو فقاعات من غاز ثانى أكسيد الكربون تنشأ من تفاعلات بكتيرية فى الجبن.

(2) porous plasters المعروف عندنا باللصقات الأمريكية، وهى تُستخدم لعلاج آلام الظهر.

(3) Doughnut هى المعروفة فى اللهجة الأمريكية الحديثة بـ donut، وهى حلوى أمريكية.

(4) على الرغم من أن الأزرار Buttons أصلها صينى، فإن الأمريكان هم الذين نشروها على مستوى العالم بموضة الأزياء.

(5) Post-hole هو مصطلح فى الزراعة يعنى حفرة قليلة العمق لغرس النباتات.

حين أنهى الرجل مضفر الشعر حكايته الغريبة، كادت دورثي تضحك لأنها وجدت الحكاية سخيفة، لكن الساحر أشار بجبهته بطريقة معينة، ليخبر دورثي أن الرجل المسكين مجنون. لذا ودّعوه بأدب وغادروا الكهف ليستأنفوا رحلتهم.



الفصل الحادى عشر



مقابلة الجارجوليس الخشبية

استمر المسافرون فى الصعود حتى تقطَّعت أنفاسهم، ووصلوا إلى الرصيف الثالث، حيث وجدوا جرفًا فى الجبل. كان كل ما استطاعوا رؤيته حين نظروا فيه، كتلاً سميكة من السحب، حجبت كل شىء.

احتاج المسافرون إلى الراحة، فجلسوا على الرصيف الصخرى، وعندها شعر الساحر بحركة فى جيبه الداخلى، فأخرج الخنازير التسعة الصغار. وفرح كثيرًا لأنه استطاع أن يراها بوضوح، ما يثبت أنهم خرجوا من النطاق السحرى لوادى ڤو. صاح واحد من الخنازير: "هييه، نحن نستطيع رؤية أنفسنا ثانية!"

تنهدت إريكا وقالت: "نعم، أستطيع رؤيتكم أيضًا، لكن هذا الصعود الطويل جعلنى أتلوَّى من الجوع، فمن فضلك يا أستاذ ساحر، اسمح لى بأكل واحد من هذه الخنازير! لن تفتقد واحدًا منها، ولن تشعر بغيابه، أنا متأكدة".

هتف أحد الخنازير: "ما هذا الرعب؟ أنتِ وحش مفترس، أتقولين هذا بعد أن صرنا أصدقاء ولعبنا معًا؟"

قالت إريكا برزانة: "عندما لا أكون جائعة، أكون سعيدة باللعب معكم، ولكن عندما تصبح معدتى فارغة، يكون من الممتع مَلؤها بخنزير صغير سمين".

قال خنزير آخر بنبرة تأنيب: "ونحن وثقنا بكِ!"

وقال ثالث: "واعتقدنا أنكِ محترمة!"

وقال رابع بصوتٍ ملىء بالرهبة: "يبدو أننا كنا مخطئين، المفترض ألا ينضم إلى صحبتنا شخص لديه رغبات قاتلة مثلكِ!"

قالت دورثى بنبرة توبيخ: "عندهم حق يا إريكا، أنتِ تجعلين نفسك مكروهة، هناك أشياء مناسبة لتأكليها، لم أسمع عن قطة تأكل خنزيرًا تحت أى ظرف!"

قالت إريكا: "هل رأيتِ خنازير فى حجم مثل هذا؟ إنهم صغار جدًّا، ليسوا أكبر من فأر، وأنا واثقة بأن الفئران طعام مناسب للقطط".

ردت الفتاة: "ليست المسألة فى الحجم يا عزيزتى، إنما فى النوع، إنهم الحيوانات الأليفة للساحر، مثلما أنتِ حيوانى الأليف، وليس معقولاً أن تأكليهم إلا إن كان من اللائق أن يأكلك جيم!"

قال جيم محدقًا فيها بغضب بعيونه الواسعة الكبيرة والمستديرة: "وهذا بالضبط ما سأفعله إن لم تتركى هذه الحيوانات اللطيفة فى حالها.. سأمضغك فى الحال".

نظرت القطة إلى الحصان وهى تفكر فى ما إن كان يعنى ما يقول، وقالت: "فى هذه الحالة، سأتركهم فى حالهم، أنت عجوز، ولم يتبقَّ فى فمك الكثير من الأسنان يا جيم، ولكن هناك أسنان باقية، وهى حادة

كفاية لتجعلنى أرتجف من التفكير فى تهديدك. فى هذه الحالة، الخنازير ستكون فى أمان، حتى النهاية، ما دمت مهتمًّا بالأمر".

قال الساحر بأمانة: "حسنًا يا إريكا، هيا نكن عائلة سعيدة، ويحب بعضنا بعضًا".

تثاءبت إريكا وتمطَّت وقالت: "أنا أحب تلك الخنازير الصغيرة، ولكنها لا تحبنى!"

قالت دورثى، مؤكِّدة: "لا أحد يحبُّ شخصًا يخيفه، إن أحسنتِ التصرُّف ولم تثيرى خوف الخنازير الصغيرة، أنا واثقة بأنها ستُغرَم بكِ".

أعاد الساحر الخنازير الصغيرة إلى جيب الجاكت الداخلى، واستأنف المغامرون رحلتهم. وبينما هم يصعدون فى الظلام على السلالم الحلزونية، قال الصبى بضجر: "من المفترض أن نكون الآن بالقرب من القمة". قالت دورثى: "أعتقد أن أرض الجرغولس[1] ليست بعيدة عن سطح الأرض، فالمكان بالأسفل ليس لطيفًا على الإطلاق، وأرغب من كل قلبى فى العودة إلى البيت ثانية". لم يرد عليها أحد، لأن أنفاسهم تقطَّعت من الصعود.

شيئًا فشيئًا، صارت السلالم أضيق، فاضطر الساحر وذيب إلى مساعدة جيم ليتمكَّن من جرِّ العربة التى كانت تنحشر بين الجدران الصخرية أحيانًا. بعد فترة، بدأ ضوء خافت يظهر أمامهم، ويتضح أكثر كلما تقدموا. قال الساحر وهو يلهث: "يا إلهى! لقد اقتربنا".

كان جيم فى المقدمة، وهو مَن رأى آخر درجة من السلم، فداس عليها وأخرج رأسه من الجوانب الصخرية ونظر إلى الخارج. ولكنه توقف وتقهقر إلى الخلف، فكاد يدهس الآخرين وراءه بعربة الحنطور.

---

(1) دورثى تنطق كلمة Gargoyles الجارجوليس بلهجة مختلفة: Gurgles الجرغولس. وهناك كثير من الكلمات تنطقها بطريقة مختلف، فتُسقِط حرفًا أو حرفين.

صهل الحصان وقال: "فلنرجع وننزل ثانية!"

قال الساحر المتعب بنفاد صبر: "ما هذا الكلام الفارغ؟ ماذا دهاك أيها الحصان العجوز؟"

قال الحصان متذمِّرًا: "كل شيء.. كل شيء ميت.. لقد ألقيت نظرة على هذا المكان، إنه ليس مكانًا مناسبًا لمخلوقات من لحم ودم، لا يوجد أحياء أو أى شيء ينمو!"

قالت دورثى: "ولو.. نحن لن نستطيع العودة إلى الخلف، وفى كل الأحوال لن نظل واقفين هنا".

زمجر الحصان وقال بعناد: "إنه خطر!"

حاول الساحر أن يثنيه عن عناده، فقال بهدوء: "أيها الحصان الطيب، اسمع منى، الصغيرة دورثى وأنا سافرنا إلى بلاد عجيبة وغريبة فى رحلاتنا، وكنا دائمًا ما نفلت من الأخطار بلا إصابات مؤذية، لقد سافرنا إلى أرض أوز العجيبة، أليس كذلك يا دورثى؟ لذلك لن يهمنا شكل بلاد الجارجوليس. تقدَّم يا جيم، ومهما حدث سنفعل ما بوسعنا للخروج سالمين".

أجابه الحصان: "حسنًا، إنه قراركم، ليس قرارى، فلا تلوموني إن وقعنا فى مشكلات!"

بهذا الحديث، انحنى الحصان إلى الأمام، وجر عربة الحنطور على درجات السلم المتبقية، وتبعه الآخرون، وسرعان ما وقف الكل على رصيف عريض يحدقون فى أكثر المناظر التى رأوها غرابة، وأشدها هولاً.

هتف ذيب: "بلاد الجارجوليس كلها خشبية!"

وبالفعل هى كذلك. التراب من نشارة الخشب، والحصوات المتناثرة عليه مجرد عقد خشبية من الأشجار. العشب من شظايا الخشب السميكة، ومساحات الأرض الخالية من التراب العشب مجرد أرضيات خشبية صلبة. والبيوت الخشبية الغريبة مزروع فى حدائقها الأمامية

زهـور محفـورة مـن الخشـب. جـذوع الأشـجار كانـت بالطبـع مـن الخشـب، ولكـن أوراق الشـجر مصنوعـة مـن رقائـق خشـبية أيضًـا. وتطـير عصافـير خشـبية بـين الأشـجار، وترعـى أبقـار خشـبية عـلى العشـب الخشـبى، ولكـن الأكـثر إثـارة للدهشـة أن النـاس أيضًـا مصنوعـون مـن الخشـب، هـؤلاء هـم المخلوقـات المسـماة بالجارجوليـس.

كان المـكان مزدحمًـا بأعـداد هائلـة مـن هـذه المخلوقـات. تجمَّـع عـدد كبـير منهـم يحدِّقـون بحـدة فى الغربـاء. الجارجوليـس هـم تماثيـل خشـبية صغـيرة، طولهـا لا يتعـدى المـتر، أجسـامهم مـدورة، أرجلهـم قصـيرة وثخينـة، وأذرعهـم سـميكة وطويلـة عـلى نحـو غـير عـادى، رءوسـهم ضخمـة بالنسـبة إلى حجـم أجسـادهم، ووجوههـم قبيحـة، بعضهـم لـه أنـف معقـوف وذقـون طويلـة وأعـين صغـيرة وعريضـة، والبعـض الآخـر لـه أنـوف مفلطحـة وأعـين جاحظـة، وآذان مثـل آذان الأفيـال. كانـت أشـكالهم كثـيرة، وبالـكاد تجـد اثنـين يشـبه كلاهمـا الآخـر، ولكـن كلهـم لـه المنظـر الكريـه ذاتـه، فلـم يكـن لهـم شـعر، ولكـن رءوسـهم منحوتـة عليهـا أشـكال متنوعـة، ويرتـدون أجنحـة خشـبية مثبتـة فى أجسـادهم الخشـبية بصواميـل ومفصـلات خشـبية، ورغـم ذلـك فهـذه الأجنحـة ترفـرف بنعومـة ودون صـوت، ولـم يكونـوا يسـتخدمون أقدامهـم بكـثرة.

الحركـة الصامتـة هـى أكـثر شىء لافـت للنظـر فى هـذه المخلوقـات، فهـم لا يصـدرون أى صـوت عـلى الإطـلاق، خـلال الطـيران أو الـكلام، فهـم يتحدثـون ويتواصلـون عـن طريـق إشـارات سريعـة بأصابعهـم أو شـفاهم الخشـبية. كمـا لا يصـدر أى صـوت يمكـن سـماعه فى كل أنحـاء تلـك البـلاد. فالطيـور لا تغـرِّد، والأبقـار لا تخـور. وعـلى الرغـم مـن ذلـك كانـت هنـاك حركـة غـير عاديـة فى المـكان.

ظلـت مجموعـة مـن المخلوقـات الشـاذَّة صامتـة وبـدون حركـة فى البدايـة، تـصرخ أعينهـا بالـشر عـلى هـؤلاء الدخـلاء. فى المقابـل، تفحَّـص المغامـرون هـؤلاء الجارجوليـس بالاهتمـام الصامـت نفسـه.

أخيرًا قال الحصان: "المشكلات آتية، أنا متأكد من هذا، فكّوا هذا السرج عن عربة الحنطور، لكى أستطيع القتال بحرية".

تنهد الساحر وقال: "كلام جيم صحيح، ستكون هناك مشكلات، وسَيْفى لن يكون حادًّا كفاية ليقطع هذه الأجساد الخشبية، لذا سأستخدم بندقيتى".

وأخرج حقيبته من عربة الحنطور وفتحها، وأخرج بندقيتين شكلهما مميت لدرجة أن الطفلين ارتجفا وتراجعا لمجرد رؤيتهما. سألته دورثى: "ما الضرر الذى سيصيبنا من الجرغولس؟ فهم لا يمتلكون أسلحة يؤذوننا بها!"

أجاب الساحر: "كل ذراع من أذرع هذه المخلوقات تعمل مثل الهراوة الخشبية، وأنا واثق بأنها مخلوقات مؤذية، وبنادق قد تنجح بالكاد فى تدمير بعضها، وبعد ذلك سنكون تحت رحمتهم".

سألته دورثى: "فى هذه الحالة، لماذا القتال من الأساس؟"

رد الساحر برزانة: "لكى أموت بضمير مرتاح، فالواجب على أى رجل محترم أن يقدم أفضل ما يستطيع".

قال ذيب، الذى فك الحصان عن عربة الحنطور: "يا ليت معى بلطة!"

علَّق الساحر قائلاً: "لو كنا نعرف على ماذا نحن مقدمون، لكنا أحضرنا العديد من الأشياء المفيدة لنستخدمها، ولكننا سقطنا فى هذه المغامرة فجأة".

تراجع الجارجوليس قليلاً إلى الوراء عندما سمعوا حديثهم، فرغم أن أصدقاءنا كانوا يتكلمون بصوت منخفض، بدا صوتهم عاليًا فى صمت هذا المكان. وحين خفّ صوت الحديث، عادت المخلوقات القبيحة تتقدم فى أسراب تجاه المغامرين. امتدَّت أذرعهم الطويلة كصوارى

المراكـب، ولفـت انتباههـم الحصـان، لأنـه أكـبر وأكـثر غرابـة مـن أى مخلـوق سـبق لهـم أن رأوه، لـذا فهجمتهـم الأولى تركـزت عليـه.

جيـم كان مسـتعدًّا لهـم، وعندمـا رآهـم قادمـين، اسـتدار وواجههـم بحدواتـه الحديديـة فى حوافـره، وعـلى الفـور بـدأ يرفـس ويـركل بأقـصى مـا يسـتطيع مـن قـوة. طـاخ.. طيـخ.. طـوخ. ضربـت الحـدوات الحديديـة المخلوقـات بقـوة وعنـف، وتناثـروا يمينًـا وشـمالاً كنشـارة خشـب فى الهـواء. الغريـب أن ضجيـج وقعقعـة الضربـات بـدت مروِّعـة لهـم مثـل حـدوات جيـم، فالجارجوليـس تراجعـوا وحلّقـوا مبتعديـن لمسـافة كبـيرة، وجمـع الآخـرون أشـلاءهم المتناثـرة وانسـحبوا معهـم. للوهلـة الأولى ظـنَّ الحصان أنـه فـاز فى القتـال بسـهولة، ولكـن هـذا النـصر لـم يقنـع السـاحر الـذى قـال: "مـن المسـتحيل إصابـة هـذه الأشـياء الخشـبية بـالأذى، وكل التدمـير الـذى فعلـه جيـم هـو كـسر بعـض الأنـوف والآذان، وهـو مـا جعلهـم أكـثر قبحًـا فقـط، خـذ كلامـى ثقـة، رأيى أنهـم سـيعاودون الهجـوم".

سألت دورثى: "إذًا ما الذى جعلهم يطيرون بعيدًا؟"

قـال السـاحر: "الضوضـاء بالطبـع يـا عزيـزتى، ألا تتذكريـن كيـف هـرب منهـم البطـل عندمـا صرخ فيهـم صرخـة الحـرب؟"

قـال الصـبى مقترحًـا: "إن أردنـا الهـروب عـبر السـلالم ثانيـة، فالفرصـة متاحـة الآن، فمعنـا وقـت حـتى يعـاودوا الهجـوم.. أنـا أُفضِّـل مواجهـة الدببـة غـير المرئيـة عـلى مقاتلـة هـذه العفاريـت الخشـبية!"

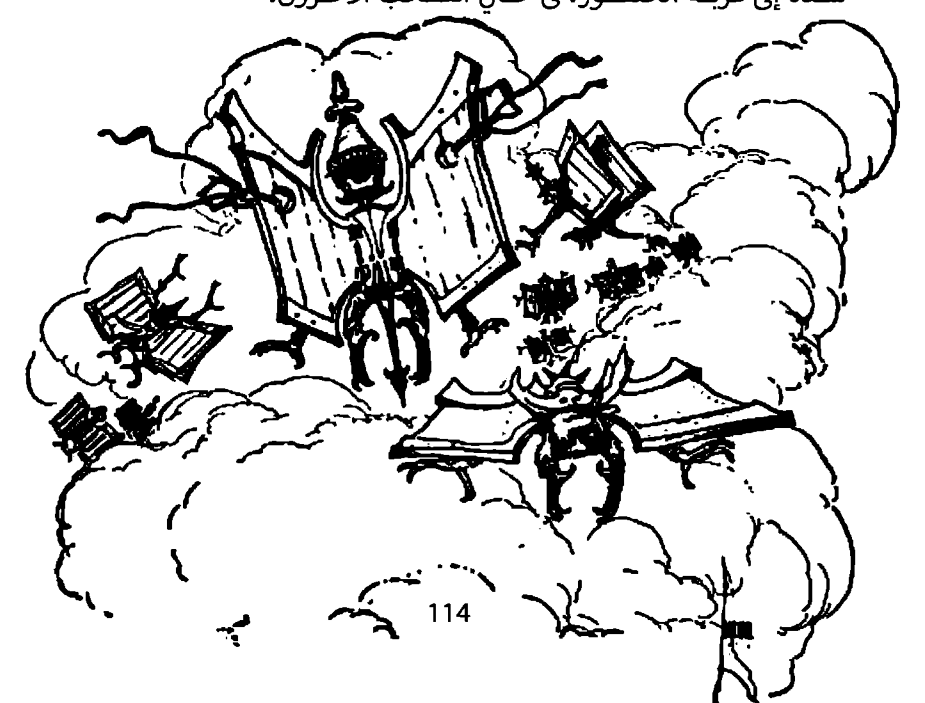
ردت الفتـاة بشـجاعة: "لا.. لـن نعـود إلى الخلـف، لأننـا حينهـا لـن نسـتطيع الرجـوع إلى البيـت أبـدًا، هيـا لنقاتـل!"

قـال السـاحر: "هـذا مـا أنصـح بـه، إنهـم لـم يهزمونـا بعـد، وجيـم يسـاوى جيشًـا كامـلاً".

ولكـن الجارجوليـس كانـوا أذكيـاء كفايـة كى لا يهاجمـوا الحصـان فى الهجمـة الثانيـة، فتقدمـوا فى سرب كبـير، وقـد انضـم إليهـم عـدد آخـر مـن نفـس الفصيلـة، وطـاروا مبـاشرة فـوق رأس جيـم، حيـث يقـف المغامـرون.

صـوَّب الساحر بندقيتـه، وأطلـق النـار عـلى حشـد الأعـداء، وكان صـوت الطلقـة مثـل صاعقـة الرعـد فى هـذا المـكان الصامـت. انبطـح بعـض تلـك المخلوقـات الخشـبية عـلى الأرض، حيـث ارتجفـت وارتعدت أطرافهـم، ولكن البعـض الآخـر دار عـلى عقبيـه، وتمكَّـن مـن الفـرار ثانيـة لمسـافة بعيـدة.

أسرع ذيـب بالقبـض عـلى واحـد مـن الجارجوليـس كان ملقـى بالقـرب منـه، كان عـلى رأسـه تـاج محفـور، وقـد اخترقـت رصاصـة السـاحر عينـه اليـسرى المصنوعـة مـن عقـدة خشـبية صلبـة، وكان نصـف الطلقـة مغروسًـا فى الخشـب، والنصـف الآخـر خارجًـا، لـذا فمـن الواضـح أن مـا قـضى عـلى المخلـوق هـو صدمـة الضوضـاء المفاجئـة، وليسـت الطلقـة. وقبـل أن يفيـق الجارجـول المتـوَّج، لـف ذيـب جسـده بالحبـالٍ مـرات عـدة، وحبـس أجنحتـه وذراعيـه كى لا يتمكَّـن مـن الحركـة. وبعـد أن أحكـم ذيـب ربطـه، شـدَّه إلى عربـة الحنطـور، فى حـني انسـحب الآخـرون.



الفصل الثانى عشر



الهروب المدهش

لوهلة، تردَّد الأعداء فى معاودة الهجوم. تقدمت مجموعة قليلة منهم ثانية، فأوقفها الساحر بطلقة ثانية من بندقيته، جعلتهم يتقهقرون. قال ذيب: "هذا أمر جيد، جعلناهم يهربون لمسافة بعيدة". هز الساحر رأسه ورد مكتئبًا: "لكن هذا وضع مؤقت، فكل من هاتين البندقيتين تطلق ست طلقات فقط، بعدها سنكون بلا حول ولا قوة!"

ويبدو أن الجارجوليس أدركوا هذا، فصاروا يرسلون مجموعات مرة بعد مرة لمهاجمة الغرباء، وفى كل مرة يطلق الساحر رصاصة، وبهذه الطريقة لا يصيبهم الضرر من الطلقات المميتة إلا مرة واحدة فى كل هجمة. وحين أنهى الساحر الاثنتى عشرة طلقة من كلتا البندقيتين، وعليه لم يكن قريب من النصر أكثر مما كان عليه في بداية المعركة.

سألت دورثى بقلق: "ماذا سنفعل الآن؟"

قال ذيب: "نصرخ، فلنصرخ معًا فى نَفَسٍ واحد".

وأضاف الساحر: "ونقاتل فى الوقت نفسه، ولنقترب كلنا من جيم، فقد يستطيع مساعدتنا فى القتال، وعلى كل منا الحصول على سلاح لاستخدامه فى المعركة. على دورثى الإمساك بمظلتها جيدًا، وفتحها بطريقة فجائية فى وجه تلك المخلوقات عندما تهاجمها، أما أنت يا ذيب، فليس لدى شىء لك!"

قال الصبى: "سأرى ما يمكننى فعله بهذا الملك".

سحب ذيب السجين من عربة الحنطور. كانت أذرع الجارجول[1] المربوط طويلة وممتدة أعلى رأسه، فقبض ذيب على أذرع ومفاصل الملك السجين، ووجد أنه يصلح كهراوة جيدة. كان الصبى قوى البنية بالنسبة إلى سِنّه، فهو يعمل دائمًا فى مزرعة، لذا فهو أكثر خطورة على الأعداء من الساحر.

عندما تقدمت المجموعة الثانية من الجارجوليس، صرخ فيها مغامرونا كما لو كانوا أصيبوا بالجنون، وحتى القطة أطلقت صرخات غاضبة بشكل مخيف، وفى الوقت نفسه صهل جيم بقوة فى الأعداء. هذه الصرخات أرهبت الجارجوليس لبعض الوقت، ولكن مغامرينا تقطَّعت أنفاسهم. فأدرك الجارجوليس موقفهم، إضافة إلى أنهم لم يسمعوا انفجارات مدوية من بندقية الساحر. فهجموا كلهم فى أسراب كثيفة كالنحل، فامتلأ الهواء بهم.

قرفصت دورثى على الأرض وفتحت مظلتها، التى كانت كبيرة كفاية لتغطيها وتحميها، أما نصل سيف الساحر فتكسر إلى شظايا صغيرة مع الهجمة الأولى. أما ذيب فقد دق بالجراجول الذى يستخدمه كهراوة وضرب به عددًا منهم، حتى انقض عليه عدد أكبر من الأعداء، وفى

(1) مفرد الجارجوليس.

النهايـة تجمَّـع عليـه عـدد كثيـف لدرجـة أنـه لـم يجـد مسـاحة ليؤرجـح فيهـا هراوتـه ليـضرب بهـا. وأمـا الحصـان فاسـتمر في الرفـس.

ولكـن كل هـذا القـدر مـن الشـجاعة لـم يكـن مجديًـا عـلى الإطـلاق، فالمخلوقـات الخشـبية لفَّـت أذرعهـا الطويلـة حـول ذيـب والسـاحر وحملتهمـا سريعًـا، وأُلقِـى القبـض عـلى دورثى بالطريقـة ذاتهـا، وتشـبثت أعـداد كبـيرة منهـم بأرجـل الحصـان وثبتتـه عـلى الأرض. أمـا إريـكا فهربـت بيـأس وتسـللت عـلى الأرض كالثعبـان، لكـن أحـد الجارجوليـس طـار وراءهـا وقبـض عليهـا قبـل أن تبتعـد.

توقـع المغامـرون أن الجارجوليـس سـيقتلونهم عـلى الفـور، لكـن لدهشـتهم طـارت بهـم المخلوقـات الخشـبية فى الهـواء ونقلتهـم إلى مـكانٍ بعيـد بمئـات الأميـال، حـتى وصلـوا إلى مدينـة خشـبية. منـازل المدينـة بهـا كثـيرٌ مـن الأركان، بعضهـا عـلى شـكل مربعـات لهـا أربعـة أركان، والبعـض الآخـر مسدّسـات لهـا سـتة أركان، وأخـرى مخمَّسـات لهـا خمسـة أركان، وكان أفضلهـا عـلى شـكل أبـراج قديمـة وعتيقـة، ولكنهـا قويـة ومتينـة.

حملوهـم إلى واحـد مـن الأبـراج الـتى ليسـت لـه نوافـذ أو أبـواب، بـل مجـرد فتحـة واسـعة تحـت السـقف. دفـع الجارجوليـس السـجناء بعنـف إلى الفتحـة الواسـعة، وبعدهـا طـاروا بعيـدًا. ولحسـن الحـظ، وقـف المغامرون عـلى إفريـز يـبرز مـن الفتحـة، وبمـا أن أصدقاءنـا لا يملكـون أجنحـة، فهـم لا يسـتطيعون الطـيران، وإن قفـزوا مـن هـذا الارتفـاع، فبالتأكيـد سـيموتون. بـدت هـذه المخلوقـات عاقلـة نوعًـا مـا. خطؤهـم الوحيـد أنهـم ظنـوا أن سـكان سـطح الأرض لا يسـتطيعون التغلُّـب عـلى هـذه المصاعـب العاديـة.

حمـل آخـرون جيـم، ولكنهـم احتاجـوا إلى عـدد كبـير منهـم ليطـيروا بالحيـوان الكبـير فى الهـواء، ووضعـوه عـلى إفريـز عـالٍ مثـل بقيـة الأصدقـاء المغامـرون، كمـا حملـوا عربـة الحنطـور أيضًـا بعـده، لأنهـم لـم يعرفـوا فيـم تُسـتخدم. وكانـت آخـر واحـدة هـى إريـكا، الـتى رماهـا الجارجوليـس

وراءهـم، وبعدهـا اختفـوا تمامًـا، وتركـوا المغامريـن يلتقطـون أنفاسـهم بحريـة.

قالت دورثى وهى تلتقط أنفاسها: "يا لها من معركةٍ مروعة!"

قالـت إريـكا وهـى تمسـح فراءهـا بكفهـا: "أوه، لا أعتقـد يـا دورثى، فلـم نتمكَّن مـن أذيـة أى واحـد منهـم، وهـم لـم يؤذونـا أيضًـا حـتى الآن".

تنهَّـدت الفتـاة وقالـت: "حمـدًا لله، نحـن معًـا ثانيـة، حـتى لـو كنـا سـجناء!"

تساءل ذيب: "ما يثير تعجُّبى هو لماذا لم يقتلونا فى أرض المعركة؟"

أجـاب السـاحر متأمـلاً: "لعلهـم يحتفظـون بنـا مـن أجـل بعـض الطقـوس. ولكنهـم ينـوون قتلنـا فى أقـرب وقـت دون شـك!"

اسـتفسرت دورثى: "قتلنـا فى أقـرب وقـت يعـنى ميتـة سريعـة، أليـس كذلـك؟"

قـال السـاحر: "نعـم يـا عزيـزتى، لكـن دعونـا لا نقلـق مـن هـذا الآن، دعونـا نتفحَّـص سـجننا ونـرى مـا شـكله".

أتـاح لهـم موقعهـم فـوق الإفريـز رؤيـة كل جوانـب المبـنى الطويـل، وفـراغ المبـنى الداخـلى تحـت السـقف. كمـا أنهـم نظـروا بفضـول إلى المدينـة الـتى تمتـد خـارج المبـنى. كان كل شىء مصنوعًـا مـن الخشـب. بـدا المنظـر متيبِّسًـا وغـير طبيعـى تمامًـا.

مـن فـوق إفريـز المبـنى الطويـل، عـثروا عـلى درجـات سـلم يـنزل إلى داخـل المـنزل، فحـاول السـاحر والطفـلان استكشـاف مـا تـؤدى إليـه، بعدمـا أشـعلوا فانوسًـا ليـضىء لهـم الطريـق، فوجـدوا مجموعـة مـن الغـرف الفارغـة ولا شىء آخـر. فلـم تكـن هنـاك أبـواب أو نوافـذ فى الغـرف، وكانـت جدرانهـا سـميكة ومتينـة، والهـروب منهـا صعـب، فرجعـوا إلى الإفريـز ثانيـة، فالبقـاء فى الأسـفل مثـل الاحتجـاز فى سرداب أو قبـو سـفينة. كمـا لـم يعجبهـم الظـلام الدامـس والرائحـة الرطبـة الخانقـة.

فى هـذه البلـدة، كمـا هـى الحـال فى البلـدات الأخـرى الـتى زاروهـا تحـت سـطح الأرض، لـم يكـن هنـاك ليـل. فالضـوء ثابـت وقـوى ويـأتى مـن مصـدر مجهـول. بمجـرد النظـر، كان بإمكانهـم أن يـروا بعـض البيـوت القريبـة منهـم، حيـث كانـت هنـاك نوافـذ مفتوحـة بكـثرة، وكانـوا قادريـن علـى تمييـز أشـكال الجارجوليـس الخشـبية بداخلهـا.

قـال السـاحر: "يبـدو أن هـذا هـو وقـت الراحـة، النـاس كلهـم يحتاجـون إلى وقـت للراحـة، حـتى لـو كانـوا مصنوعـين مـن الخشـب، وبمـا أنـه ليـس هنـا ليـلٌ، فهـم يختـارون فـترة محـدَّدة مـن اليـوم ليناموا فيهـا".

تثاءب ذيب وقال: "عن نفسى، أشعر بالنعاس أيضًا".

صاحت دورثى فى فزعٍ: "أين إريكا؟"

بحثـوا عنهـا ولـم يجدوهـا، فقـال جيـم بخشـونة: "لقـد ذهبـت لتتمـشى".

سألت الفتاة باستغراب: "أين؟ على السقف؟"

أجـاب جيـم: "لا.. لقـد غرسـت مخالبهـا فى الخشـب وتسـلَّقت إلى أسـفل[1] عـلى جانـب المبـنى لـلأرض".

قالـت دورثى: "لا يمكـن أن تتسلق إلى أسـفل يـا جيـم، فمعـنى التسلُّق هـو الصعـود إلى أعـلى".

قال الحصان محتجًّا: "مَن قال هذا؟"

ردت دورثى: "مدرِّستى قالت هذا، وهى تعرف الكثير يا جيم".

قـال السـاحر: "تعبـير (التسـلُّق إلى أسـفل) يُسـتخدم أحيانًـا كتعبـير مجـازى".

(1) جيـم اسـتخدم phrasal verb تعبـير الأفعـال للفعـل climb تسـلق، وهـو climb down، وهـو يعنـى تسـلق لأسـفل، أو نـزل، والتعبـير grammatically نحويًـا صحيـح، لكـن logical منطقيًـا غـير صحيـح تمامًـا، كـما تعـترض دورثى. وفى كثـير الأحيـان يعنـى تعبـير climb down الخـروج مـن سـياج أو حصـار، وهـو مـا يعنيـه الحصـان أيضًـا.

قـال جيـم: "حسـنًا، هـذه هـى شـخصية القطـة، لقـد ذهبت إلى أسـفل، سـواء أتسـلقت أم زحفت".

هتفـت دورثى بلوعـة: "يـا إلهـى، كـم أنـتِ مهملـة يـا إريـكا، الجرغولـس سـوف يقبضـون عليـكِ!"

صهـل الحصـان كأنـه يضحـك وقال: "هـا ها هـا.. اسـمهم (الجارجوليس) وليس (الجرغولس)".

قالت دورثى: "لا يهم.. سوف يقبضون على إريكا، مهما كان اسمهم!"

فجأة ظهر صوت إريكا يرد عليها: "لا لم يقبضوا على!"

ثم ظهرت من طرف الإفريز، وجلست بهدوء بينهم.

سألتها دورثى بصرامة: "أين ذهبتِ يا إريكا؟"

ردت القطـة: "كنـت أراقـب هـؤلاء المخلوقـات الخشـبية، إنهـم قـومٌ مضحكـون جـدًّا فى كل شىء، مثـلاً وهـم يخلـدون إلى النـوم، أتدريـن مـاذا يفعلـون؟ إنهـم يخلعـون مفصَّـلات الأجنحـة ويعلقونهـا فى أحـد الأركان حـتى يصحـون ثانيـة!"

قالت دورثى: "ماذا؟ يخلعون المفصلات!"

صحَّحت إريكا: "لا.. بل يخلعون الأجنحة[1]"

قـال ذيـب: "إذًا هـذا يفـسر لمـاذا يُسـتخدم هـذا الـبرج كسـجن! فـإن أسـاء واحـد منهـم التـصرف، وأرادوا وضعـه فى السـجن، يقبضـون عليـه ويخلعـون أجنحتـه ويرمونـه هنـا، حـتى تنتهـى فـترة عقوبتـه".

استمع السـاحر بانتبـاه لمـا قالتـه إريـكا، وعلّـق: "أتمـنى أن نحصـل عـلى هـذه الأجنحـة المفكوكـة منهـم!"

سألته دورثى: "وهل نستطيع الطيران بها؟"

---

(1) Hinges تعنـى المفصـلات، وwings تعنـى الأجنحـة، وهـما متشـابهتان فى النطـق فى اللغـة الإنجليزيـة، ولهـذا اسـتفسرت دورثى عـن الكلمـة، لأنهـا سـمعتها خطـأً.

قال الساحر: "أعتقد ذلك، فما دام الجارجوليس يفكون الأجنحة، فإن قوة الطيران تكمن فى الأجنحة ذاتها، وليست فى الأجساد الخشبية التى تلبسها. فإن حصلنا على تلك الأجنحة، فاحتمال كبير أن نستطيع الطيران بها مثلما يفعلون، على الأقل فى هذه البلدة وتحت تأثير السحر الموجود بها".

استفهمت الفتاة الصغيرة: "ولكن بمَ سيفيدنا الطيران؟"

قال الساحر: "تعالى معى!"

وأخذها إلى أحد أركان المبنى، وأكمل كلامه وهو يشير بإصبعه إلى اتجاه معين، وقال: "هل ترين تلك الصخرة الكبيرة بجانب التل؟"

ردَّت الفتاة: "نعم، إنها بعيدة، ولكنى أستطيع رؤيتها".

أكمل الساحر: "حسنًا، فى هذه الصخرة التى تصل عنان السماء إلى السحب، مدخل مقوَّس يشبه المدخل الذى دخلناه لنتسلق السلالم الحلزونية من وادى فُو. انتظرى، سأحضر لكِ تلسكوبًا لترَىْ بوضوح أكثر".

أحضر الساحر من حقيبته تلسكوبًا صغيرًا ولكنه قوى، واستطاعت الفتاة رؤية المدخل المقوَّس الذى يخبرها به الساحر، فسألته بدهشة: "إلى ماذا يؤدى؟"

قال الساحر: "هذا ما لا أعرفه! ولكنى أعتقد أننا لسنا بعيدين عن سطح الأرض، والمدخل قد يؤدى إلى سلالم حلزونية أخرى تقودنا إلى سطح الأرض ثانية. وإن حصلنا على تلك الأجنحة، سنستطيع الفرار من الجارجوليس، ونطير إلى تلك الصخرة وننقذ أنفسنا".

قال ذيب، الذى كان يستمع لهما بتمعُّن: "أنا سأحصل لكم على تلك الأجنحة، إن أرتنى إريكا الطريق إلى مكانها".

استفسرت دورثى بتعجب: "ولكن كيف ستنزل؟"

كانت إجابة ذيب هى أنه نزع اللجام عن الحصان جيم، وفكَّ الأحزمة الموجودة اللجام، وشبّك كل قطعة من السرج مرة ثانية بطريقة مختلفة، حتى صنع حبلاً من الأحزمة الجلدية يصل إلى الأرض. وقال: "أستطيع أن أتسلق إلى الأسفل".

قدم جيم ملحوظة مهمة قائلاً: "لا.. لا تستطيع.. بإمكانك أن تنزل إلى أسفل، فأنت تستطيع التسلُّق إلى أعلى فقط!"[1]

قال الصبى ضاحكًا: "حسنًا، سأتسلق إلى أعلى عندما أعود من مهمتى.. الآن يا إريكا، هل يمكن تريني الطريق إلى هذه الأجنحة؟"

أنذرته إريكا: "يجب أن تكون صامتًا تمامًا، فإن أصدرت أقل صوت سيسمعك الجارجوليس، إنهم فبمقدورهم سماع صوت دبوس عندما يسقط".

قال ذيب: "لن أُسقِط دبوسًا!"

ربط ذيب طرف الحبل الذى صنعه فى عجلة الحنطور، وألقى الطرف الثانى ليتدلَّى على جانب المبنى، فأوصلته دورثى بالحائط، وقالت: "كن حذرًا!" فرد عليها: "حاضر". ونزل على الحبل.

مال الساحر والفتاة إلى الأمام ليشاهدا ذيب ينزل بحرص، حتى وقف على الأرض. وغرست إريكا مخالبها فى الخشب وتبعته. تسللا معًا إلى مدخل منخفض لمنزل مجاور. انتظر الساحر والفتاة وهما يحبسان أنفاسهما من الإثارة خوفًا على ذيب، حتى ظهر ثانية وتحت ذراعيه عددٌ من الأجنحة الخشبية، فربطها فى الحبل، وسحبها الساحر. وبعدما أخذ الأجنحة، ألقى الحبل ثانية إلى ذيب ليصعد به. أسرعت إريكا للصعود بعده، وكان الاثنان يقفان مع بقية الصحبة على الإفريز، ومعهم ثمانية أجنحة خشبية ثمينة.

---

(1) جيم ما زال يقول ملاحظة صحيحة، فالصبى ذيب سيستخدم السلم/ الحبل، وفى هذه الحالة سينزل ولا يتسلق!



لـم يعـد الصبى يشـعر بالنعـاس، بـل صـار مليئًـا بالطاقـة والحيويـة. أعـاد تركيـب الأحزمـة الجلديـة الـتى صنـع منهـا الحبـل ثانيـة إلى لجـام، ووضعـه عـلى جيـم، وأعـاد ربـط الحصـان إلى عربـة الحنطـور. وبمسـاعدة السـاحر، ركَّـب أجنحـة للحصـان العجـوز، ولـم تكـن مهمـة سـهلة، فنصـف مفصـلات الأجنحـة مفقـود، لأنهـا موصولـة بجسـد الجرجـول الخشـبى الـذى يسـتخدمها للطـيران. ففتـح السـاحر حقيبتـه، الـتى يبـدو أنهـا تحتـوى عـلى كثـيرٍ مـن الأشـياء المتنوعـة والمدهشـة، وأحـضر لفـة مـن السـلك القـوى، وبهـا تمكَّـن مـن ربـط أربعـة أجنحـة فى سرج جيـم، اثنـين بالقـرب مـن رأسـه، واثنـين بالقـرب مـن ذيلـه. الأجنحـة كانـت مهـزوزة قليـلاً، ولكنهـا مؤمَّنـة كفايـة إن صمـد السرج عـلى الحصـان.

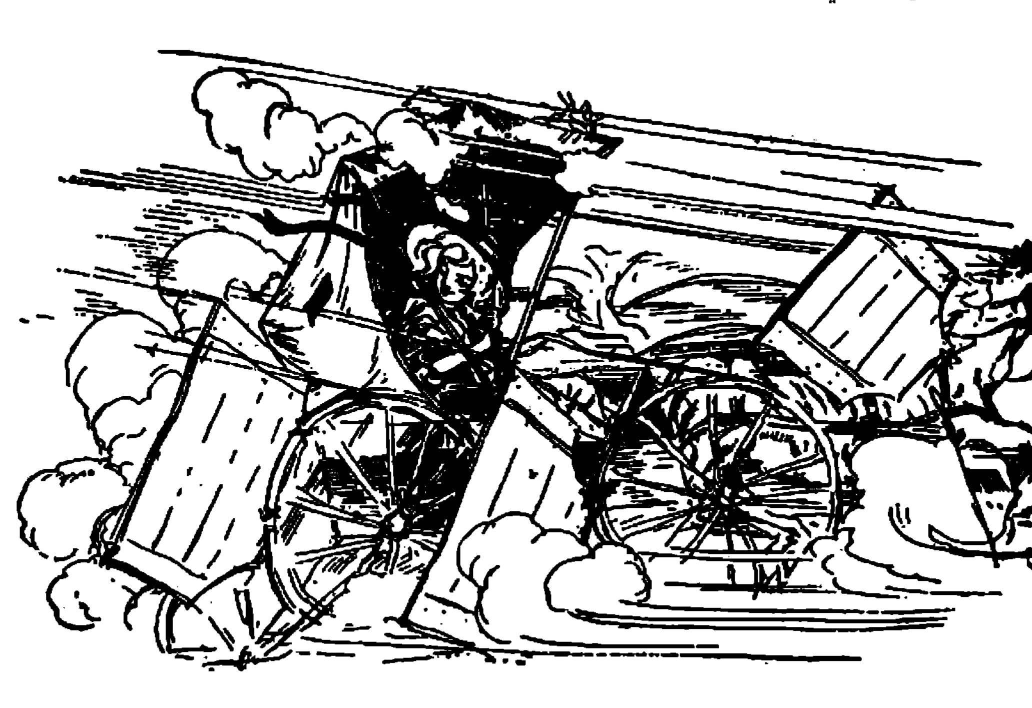
تـم ربـط الأجنحـة الأربعـة الأخـرى فى عربـة الحنطـور، اثنـين عـلى كل جانـب، فعربـة الحنطـور يجـب أن تتحمـل ثقـل الطفلـين والسـاحر عندمـا تطـير فى الهـواء. لـم تسـتغرق هـذه الترتيبـات مـدة طويلـة، ولكـن الجارجوليـس بـدؤوا فى الاسـتيقاظ والتجـول فى المـكان، وبعضهـم بحـث عـن أجنحتـه المفقـودة، فقـرر السـجناء الرحيـل مـن السـجن عـلى الفـور.

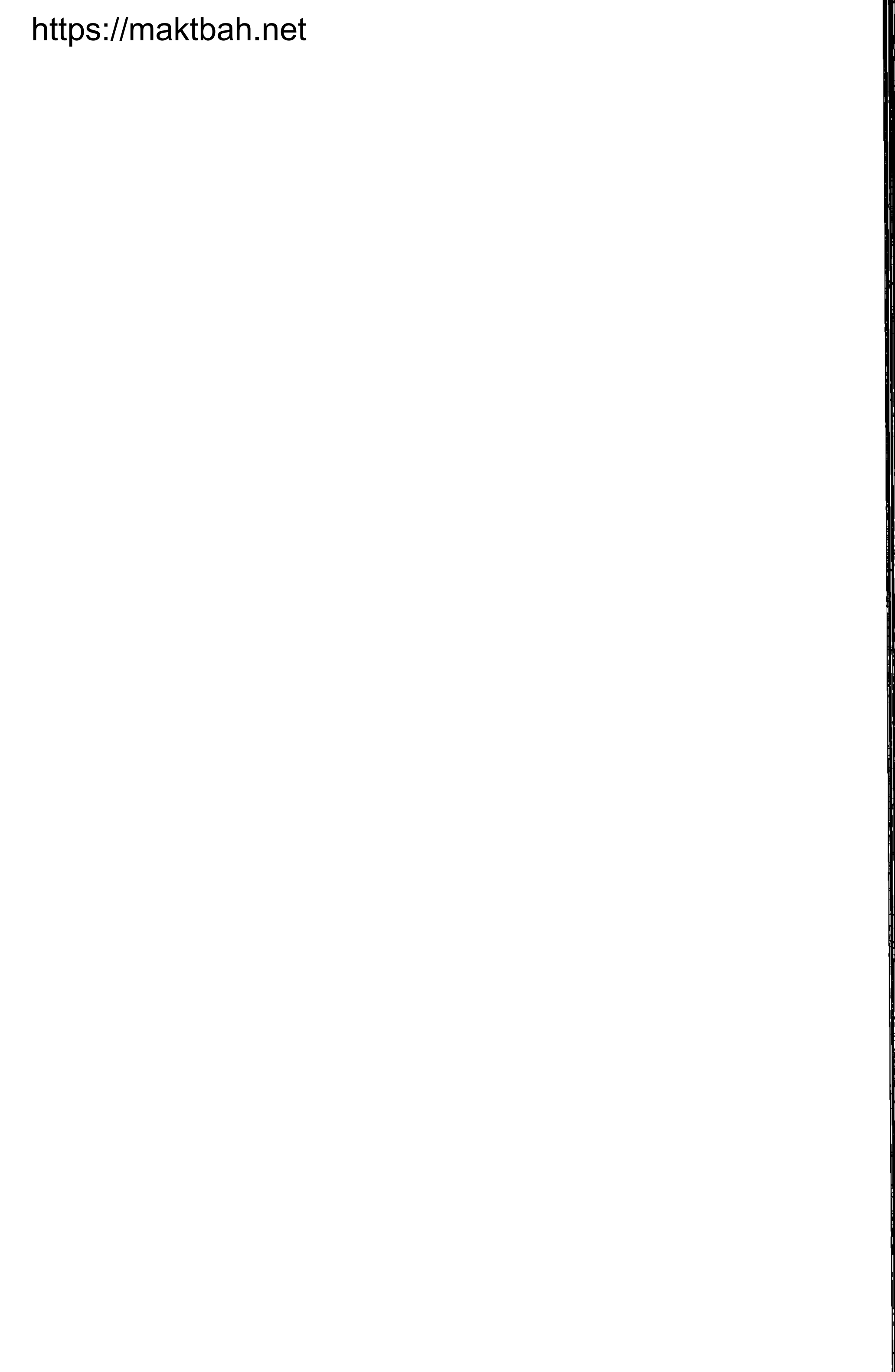
صعـدت الصحبـة إلى عربـة الحنطـور، وحملـت دورثى إريـكا فى حجرهـا، وجلسـت فى منتصـف المقعـد الخلفـى، وإلى جانبيهـا جلـس السـاحر وذيـب. وعندمـا اسـتعدَّ الجميـع، هـز ذيـب اللجـام وصـاح فى الحصـان: "طـر يـا جيـم" فسـأل الحصـان مـترددًا: "أى جنـاح أرفـرف بـه أولاً؟" فاقـترح عليـه السـاحر قائـلاً: "رفـرف بهـا كلهـا" اعـترض الحصـان وقـال: "بعـض هـذه الأجنحـة معـوجّ!" فـردّ ذيـب: "لا يهـم، فسـترفرف مـع الأجنحـة المثبتـة فى العربـة، تقـدم إلى تلـك الصخـرة الكبـيرة ولا تضيـع الوقـت".

أطلـق الحصـان صهيـلاً ورفـرف بأجنحتـه الأربعـة كلهـا فى الوقـت نفسـه، وطـار بعيـدًا عـن الإفريـز. دورثى كانـت قلقـة عـلى نجـاح طيرانهـم، فالطريقـة الـتى حـرَّك بهـا جيـم عنقـه الطويـل ومـد أرجلـه النحيلـة ليطـير ويحلـق فى الهـواء، تجعـل أى شـخص متوتـرًا. أصـدرت الأجنحـة صريـرًا

مزعجًا، فقد نسى الساحر أن يضع عليها زيتًا. فكان طيرانهم كأنهم يسيرون فى طريق ملىء بالصخور، وليس تحليقًا ناعمًا خفيفًا فى الهواء.

رآهم الجارجوليس، ولم يضيعوا الوقت فى تجميع مجموعة كبيرة منهم لملاحقة السجناء الهاربين، وعندما التفتت دورثى إلى الوراء، رأت سربًا كبيرًا منهم كأنهم سحابة سوداء تغطى السماء خلفهم.





الفصل الثالث عشر



عرين الدارجونتس

كان الإقلاع بعربة الحنطور جيدًا، وجعل الأصدقاء يسبقون جحافل المخلوقات الخشبية التى تتبعهم، وبقوة ثمانية أجنحة حصلوا على سرعة أعلى من الجارجوليس، وعندما وصل جيم بهم إلى مدخل الكهف، كان المطارِدون لا يزالون على مسافة بعيدة.

شعرت دورثى بإثارة بالغة وقالت: "أخشى أن يلحقوا بنا!"

طمأنها الساحر وقال: "لا.. يجب أن نوقفهم.. بسرعة يا ذيب، ساعدنى فى خلع هذه الأجنحة الخشبية". انتزع الساحر وذيب الأجنحة، وكدَّسها الساحر فى كومة أمام مدخل الكهف، وصب عليها كل الكيروسين المتبقى من العلبة، وأشعل فيها النيران بعود ثقاب.

اندلعت النيران على الفور، واشتعلت الأجنحة الخشبية، وتصاعد الدخان، وتأججت النار وأصدرت فرقعات، وعندما وصل جيش الجارجوليس، أصابه الذعر من المنظر المخيف للنيران، فهم لم يعرفوها من قبل فى تاريخ الأرض الخشبية.

فى المدخل المقوس أبواب عدة تقود إلى غرف مبنية داخل الجبل، تعاون الساحر وذيب فى خلعها من المفصلات، وإلقائها على النيران المشتعلة لتتأجج أكثر.

قال الساحر والابتسامة تعلو وجهه المجعد، لنجاحه فى تنفيذ هذه الحيلة: "هذا سوف يعوق تقدمهم لفترة طويلة، ويحتمل أن تنتشر النيران فى كل هذه البلدة الخشبية البائسة، وإن أكلتهم النيران فسوف تكون الخسائر قليلة، فلن يفتقد أحد تلك المخلوقات المسماة الجارجوليس.. هيا يا أصدقائي نستكشف الجبل، ونرَ أى طريق يجب أن نسلكه للهروب من هذا الكهف، فدرجة حرارته ترتفع وسيتحول قريبًا إلى فرن".

لخيبة أملهم، لم تكن هناك درجات سلم داخل الجبل، فالطريق مجرد نفق مائل إلى أعلى، وأرضية النفق خشنة ومنحدرة. ساروا فيه حتى قابلهم منحنى مفاجئ يؤدى إلى دهليز ضيق، لم تستطع عربة الحنطور أن تمرَّ منه. عطلهم هذا قليلاً، لأنهم لم يريدوا ترك عربة الحنطور، فهى تحمل أمتعتهم، وكانت مفيدة لهم فى السفر طوال مغامرتهم، كما أنها رافقتهم إلى هذه المرحلة من الرحلة، فشعروا أن من واجبهم الحفاظ عليها.

عمل الساحر وذيب بكل جهدهما على فك العجلات والمظلة الأمامية لعربة الحنطور، لكى تأخذ أقل مساحة. بهذه الطريقة وبمساعدة حصان صبور مثل جيم، تمكنا من دفع العربة عبر الدهليز الضيق. لحسن حظهم كان الدهليز الضيق يمتد لمسافة قصيرة، وعاد الطريق واسعًا كما كان، فأعادا تركيب عربة الحنطور ثانيةً وتابعوا تقدمهم. ولكن الطريق لم يكن أكثر من سلسلة من الشقوق والتصدُّعات فى الجبل، تتعرَّج فى كل اتجاه، مرة يميل إلى أعلى ومرة يميل إلى أسفل.

قالت دورثى: "على أى حال، لقد استطعنا الهرب من هؤلاء الجرغولس القبيحة".

وأضاف الساحر: "على الأرجح، سيظل هؤلاء الجارجوليس مشغولين بإطفاء النيران، وحتى إن نجحوا في إطفائها، سيكون صعبًا عليهم أن يطاردونا بين هذه الصخور، لذا أنا مطمئن".

كل فترة يقابلون شقًّا عميقًا في أرضية النفق، ما جعل تقدمهم في غاية الخطورة. كان هناك ما يكفي من الكيروسين في الفوانيس ليضيء لهم الطريق، الشقوق لم تكن عريضة ليستطيعوا القفز فوقها، وفي بعض الأحيان اضطروا إلى تسلق كومة من الصخور المهلهلة، التي استطاع جيم بالكاد أن يجر عربة الحنطور عليها. في مثل هذه الصعوبات، كان الساحر ودورثي وذيب ينزلون من العربة ويدفعونها من الخلف. الصحبة الصغيرة بدت مرهقة وخائرة القوى، عندما ظهر أخيرًا منعطف حادّ أدى بهم إلى كهف شاسع، له سقفٌ مقوس فوق رءوسهم، وله أرضية ناعمة ومستوية.

الكهف دائري الشكل، وعلى حوافِّه، بالقرب من الأرض، ظهرت مجموعة من الأضواء الصفراء القاتمة، كل اثنين منها متجاوران، في البداية كانت بلا حراك، ولكنها بدأت تومض بسطوع أشد، وتتأرجح ببطء على كل جانب. حاول الصبي أن يرى أوضح في العتمة، وقال: "ما هذا المكان؟" فقال الساحر: "لا أستطيع التخمين!"

أصدرت إريكا مواءً مفزوعًا، وقوست ظهرها حتى وقف شعرها من رأسها حتى الذيل، وقالت: "واوووو، إنه عرين أحد الزواحف أو التماسيح، ألا ترى أعينها الرهيبة؟"

همست دورثي: "إريكا ترى أفضل منا في الظلام، أخبرينا يا عزيزتي، ما شكل هذه المخلوقات؟"

أجابت إريكا وهي ترتجف: "أنا ببساطة لا أستطيع وصفها، فأعينها مثل أطباق الفطائر، وأفواهها مثل كوة الفحم، لكن أجسادها لا تبدو كبيرة جدًّا".

استفسرت الفتاة: "أين هي؟"

أجابـت إريـكا: "إنهـا فى جحـورٍ صغـيرة عـلى حـواف الكهـف، أوه يـا دورثى، لـن تتخيـلى، إنهـا أقبـح مـن الجارجوليـس!"

صـدر صـوت كالصرير بالقـرب منهـم وقـال: "تـروت.. تـوت.. احـترسى عندمـا تنتقديـن جيرانـك، فى واقـع الأمـر، نحـن نراكـم مخلوقـات قبيحـة المظهـر كما تروننـا، ولكـنى متأكـد مـن أن أمـى كثـيرًا مـا تخبرنـا بأننـا أجمـل وألطـف الكائنـات فى كل العالـم!"

حينمـا سـمعوا هـذا الصـوت التفـت أصدقاؤنـا إليـه، وأدار السـاحر الفانـوس فى اتجـاه الصـوت، ليـضىء جحـرًا صغـيرًا فى الصخـور، ويهتـف قائـلاً: "إنـه تنـين!"

أجـاب صاحـب العينـين الصفراويـن الواسـعتين اللتـين تومضـان بثبـات: "لا.. أنـت مخطـئ بشـأننا.. نحـن نتمـنى أن نكـبر لنكـون تنانـين فى يـومٍ مـن الأيـام، لكننـا الآن مجـرد دراجونيتـس[1]". حدَّقـت دورثى فى الـرأس الضخـم والفـم الواسـع والعينـين الكبيرتـين وسـألت: "ومـا هـو الدراجونيـس؟" رد عليهـا: "صغـار التنانـين بالطبـع، لكـن ليـس مسـموحًا لنـا بتسـمية أنفسـنا بالتنانـين، حـتى يكتمـل نموُّنـا. التنانـين الكبـيرة لديهـا كبريـاء، ولا تعتقـد أن صغـار التنانـين لهـا أهميـة، ولكـن أمنـا تخبرنـا بأننـا سـنصير أقويـاء وخطريـن عندمـا نكـبر".

سأل الساحر وهو يلتفّت حوله بقلقٍ: "وأين أمكم؟"

لقـد ذهبـت تصيـد لنـا شـيئًا لنأكلـه فى العشـاء مـن سـطح الأرض، وإن كان حظنـا جيـدًا، سـتحضر لنـا فيـلاً، أو زوجًـا مـن وحيـد القـرن، أو مجموعةً مـن البـشر، لـكى نشـبع جوعنـا!"

تراجعت دورثى خطوات إلى الخلف وقالت: "هل أنتم جوعى؟"

فتح الدراجونى فكيه وقال: "جدًّا!"

قالت دورثى: "و.. هل.. تأكلون.. البشر؟"

---

(1) Dragonette =dragon + -ette.

قال المخلوق بصوت مليء بالحسرة: "بالطبع، عندما نحصل عليهم، لكنهم صاروا نادرين جدًّا في السنوات الماضية، لذا نرضى بالأفيال والثيران!"

سأل ذيب المخلوق وهو يحدق فيه مبهورًا: "كم تبلغ سنك؟"

"ما زلت صغيرًا، أنا حزينٌ لهذا، وكل إخوتي هنا من سني نفسها تقريبًا، إن أسعفتني ذاكرتي، فقد أتممت ستة وستين عامًا منذ يومين".

هتفت دورثي بدهشة: "لكن هذه السن ليست صغيرة!"

قال الدراجوني: "لا! إنها تبدو لي سن طفل رضيع".

فسألت الفتاة: "كم تبلغ سن أمكم؟"

أجاب الدراجوني: "أمي تبلغ من العمر نحو ألفي عام، ولكنها لم تعد تهتم بمعرفة سنها منذ قرون عدة.. أعتقد أنها أكبر بمئات من السنين، إنها قلقة من أن تصير عجوزًا، فهي أرملة في شبابها!"

بعد لحظة تفكير سألته دورثي: "هل تعتبرنا أصدقاء أم أعداء؟ أعني هل ستكون لطيفًا معنا أم في نيّتكم أكلنا؟"

رد الدراجوني: "بالطبع سنكون سعداء بأكلكم يا صغيرة، ولكن للأسف أمنا ربطت ذيولنا في الصخور عند نهايات الجحور، لذا لن نستطيع الزحف لنمسك بكم، لكن إن اقتربتم قليلاً منا، سنبتلعكم في لمح البصر!"

كانت هناك نبرة أسف في صوت المخلوق الصغير، وتنهدت الدراجونيتس الباقية عندما انتهى من كلامه بطريقة مريبة، فشعرت دورثي بالارتياح في الوقت الحالي، وسألته: "ولماذا ربطت أمكم ذيولكم؟"

أجاب الدراجوني: "في بعض الأحيان تذهب أمي للصيد لأسابيع عدة، وإن لم تربط ذيولنا، سنزحف في أنحاء الجبل ونتعارك معًا ونقع في مشكلات كثيرة. فأمي دائمًا تعرف المشكلات التي نقع فيها،

ولكنها أخطأت هذه المرة، فأنتم تستطيعون الفرار منا بسهولة لأننا مربوطون. أم هل ترغبون فى الاقتراب منا؟"

قالت الفتاة الصغيرة: "لا بالطبع، نحن لا نريد أن تأكلنا وحوش قبيحة!"

رد الدراجونى: "اسمحى لى أن أقول، إنه من سوء الأدب أن تشتمينا، وأنتِ تعرفين أننا لا نستطيع رد إهانتك. نحن نعتبر أنفسنا غاية فى الجمال، فأمنا قالت لنا هذا، ونحن عائلة لها أصول عريقة، ولدينا نسب أتحدى أى إنسان أن يملك مثله، فله تاريخ يمتد لأكثر من عشرين ألف سنة مضت، إلى أيام التنين الأخضر الشهير أطلانتس، الذى عاش فى أزمنة لم يكن البشر خلقوا بعد حينها، هل تملكون مثل هذا النسب أيتها الصغيرة؟"

قالت الفتاة: "حسنًا، لقد ولدت فى مزرعة فى كانساس، وأعتقد أن هذا أمر أفخر به، وليس العيش مثلكم فى كهفٍ بذيلٍ مربوطٍ إلى صخرة!"

غمغم الدراجونى: "الوضع مختلف". وبهدوء أغلق جفنيه الحرشفيين على عينيه الصفراوين، حتى بدت كل منهما مثل هلال أصفر.

بعد أن اطمأن الأصدقاء إلى أن التنانين الصغيرة لن تزحف من جحورها، أخذوا الوقت الكافى لتفحُّص هذه المخلوقات باهتمام. رءوس الدراجونيس كبيرة جدًّا كالبراميل، ومغطاة بقشورٍ صلبة مائلة للأخضر، تلمع تحت ضوء الفانوس الذى يحمله الساحر. كانت أرجلهم الأمامية القريبة من رءوسهم قوية وضخمة، لكن أجسادهم كانت أصغر حجمًا من رءوسهم، وتتقلص إلى أن تصير ذيولاً رفيعة كخيوط الأحذية. فكرت دورثى قليلاً، وتنبَّهت إلى أن هذه المخلوقات إذا استغرقت ستة وستين عامًا لتصل إلى هذا النمو، فبالتأكيد ستستغرق مئات السنين لتصف نفسها بأنها تنانين.

قال الساحر: "يبدو أنه من الأنسب مغادرة هذا المكان قبل مجىء الأم".

قال الدراجونى: "تمهل قليلاً، أمى ستكون مسرورة بمقابلتكم، أنا متأكد من ذلك".

رد الساحر: "قد تكون على صواب، ولكننا انتقائيون فى ما يخص مقابلة الغرباء. من فضلكم، هل يمكن أن تخبرونا ما الطريق الذى سلكته أمكم إلى سطح الأرض؟"

قال الدراجونى: "ليس من اللائق سؤالنا هذا السؤال، فإن أجبناكم بصدق، فاحتمال كبير أن تهربوا منا. وإن أجبناكم بالكذب، فسنكون أبناء أشقياء ونستحق العقاب!"

فكرت دورثى وقالت: "إذًا.. يجب أن نعثر على الطريق بأنفسنا".

تجوَّل الأصدقاء بحثًا عن الطريق فى داخل الكهف، محافظين على مسافة بعيدة عن الأعين الصفراء. وأخيرًا اكتشفوا فتحتين فى الكهف فى الجهة المقابلة للفتحة التى دخلوا منها، فاختاروا واحدة منهما وغامروا بالدخول فيها، وأسرعوا بقدر ما يستطيعون، فهم لا يعرفون متى تأتى الأم وهم قلقون من مقابلتها.



الفصل الرابع عشر



الأميرة أوزما تستخدم الحزام السحري

لمسافةٍ معقولةٍ، ظل الطريق يصعد بميلٍ خفيفٍ إلى أعلى، وتقدم المغامرون وهم يشعرون بالأمل في رؤية شعاع الشمس في أي لحظة. ولكن قابلتهم، على غير المتوقع، صخرة هائلة سدت عليهم الطريق، ومنعتهم من التقدم خطوة واحدة.

هذه الصخرة منفصلة عن بقية الجبل، فقد كانت تتحرك يمينًا ويسارًا كأنها على محور. في البداية كانت كالحائط الصلب أمامهم، لكن الآن هي تتأرجح كالبندول وتكشف ممرًّا واسعًا وسلسًا على الجانب الآخر. عندما لاحظوا الممر، قرروا أنه طريقة جيدة للهروب، فانتظروا بصبر حتى ظهر الممر ثانيةً، وعبروا إلى الناحية الأخرى قبل أن تتأرجح الصخرة إلى الجانب الثاني.

وثـب السـاحر والطفـلان عـبر الصخـرة المتحركـة إلى الممـر، وهبطـوا بأمـان عـلى الجانـب الآخـر وهـم يلهثـون قليـلاً. وكاد الحائـط الصخـرى ينغلـق عـلى الحصـان جيـم، الـذى كان آخـر العابريـن. داسـت عجـلات عربـة الحنطـور عـلى صخـور منفصلـة، فتدحرجـت إلى الصـدع الواسـع الـذى تتأرجـح فيـه الصخـرة، فانحـشرت الصخـرة المتحركـة وصـارت ثابتـة مكانهـا، وعندهـا سـمعوا صـوت صريـر وفرقعـة عاليـة، وانغلـق الممـر خلفهـم.

قال ذيب: "لا يهم، فنحن لا نريد الرجوع بأى حالٍ من الأحوال!"

ردَّت دورثى: "لا نضمن ذلك، فيمكن للتنين الأم أن ترجع وتمسك بنا!"

وافقهـا السـاحر قائـلاً: "هـذا ممكـن، إن كان هـذا هـو الممـر الـذى تسـلكه الأم. ولكـنى تفحَّصـتُ الطريـق خـلال سـيرنا فيـه، ولـم أرَ أى آثـار لمخلـوق ضخـم مـر منـه".

قالـت الفتـاة: "هـذا يجعلنـا فى أمـان، فـإذا سـلكت التنـين الأم الطريـق الآخـر، لـن يمكنهـا أن تمسـك بنـا هنـا".

فكَّـر السـاحر قليـلاً وقـال: "بالطبـع لا يـا عزيـزتى، فأنـتِ لـم تفكـرى فى شىء آخـر قـد يكـون موضـع اعتبـار، فـإذا سـلكت التنـين الأم الطريـق الآخـر إلى سـطح الأرض، فنحـن بالتأكيـد نسـير فى الطريـق الخطـأ".

صاحت دورثى: "يا إلهى! هذا سيكون من سوء حظنا، أليس كذلك؟"

قـال ذيـب: "بـلى، إلا إن كان هـذا الممـر يقـود أيضًـا إلى سـطح الأرض. فعـن نفـسى، إن خرجنـا مـن هـذا الممـر سـأكون سـعيدًا لأنـه ليـس الممـر الـذى تسـلكه التنـين الأم!"

ردت دورثى: "وأنـا أيضًـا، فـلا أحـد يعـرف مـاذا سـتفعل بنـا الأم إن قابلتنـا!"

استـمروا فى تقدمهـم، فى الطريـق المائـل إلى أعـلى دون رجـوع. لكـن يبدو أن رحلتهـم كانـت عـلى وشـك الانتهـاء، فبعـد فـترة قصـيرة، وصلـوا إلى كهف

صغير لا يقود إلى أى منفذ آخر. ورغم ذلك لم ينتبهوا إلى سوء حظهم عندما وصلوا، فقد فرحوا بشعاعٍ من ضوء الشمس يدخل من شقٍّ صغيرٍ فى سقف الكهف، والذى يعنى أن عالمهم -العالم الحقيقي- لم يعد بعيدًا عنهم، والذى يعنى أيضًا أن الوطن قريب. ولكن عندما نظر المغامرون حولهم بعناية، اكتشفوا أنهم فى سجن لا مهرب منه.

صاحت دورثى: "ولكننا بالكاد وصلنا إلى سطح الأرض، فالشمس هناك! أجمل شمس تشرق على الأرض!" وأشارت بلهفة إلى الشق فى سقف الكهف.

قالت إريكا بصوتٍ محبط: "(بالكاد وصلنا) لا تعنى أننا وصلنا، فليس من الممكن أن أصل إلى ذلك الشق فى السقف، أو حتى أن أعبر من خلاله إن وصلت إليه".

قال الساحر باكتئاب: "يبدو أن الطريق ينتهى هنا!"

وأضاف ذيب بصوت خافت: "ولا يوجد طريق للرجوع!"

قال جيم: "كنت متأكدًا من أننا سنصل إلى هذه النهاية، الناس لا يسقطون فى جوف الأرض ويرجعون ثانية ليحكوا عن مغامراتهم، لا يحدث هذا فى الحياة الحقيقية، كل ما حدث هو شىء غير عادى، لأنه من غير المعقول أنى والقطة نستطيع التكلُّم بلغتكم، ونفهم كل كلمة مما تقولون!"

أضافت إريكا: "وأيضًا الخنازير التسعة الصغيرة، لا تنسَها، لأنى قد آكل واحدًا منها".

قالت دورثى: "لقد سمعت حيوانات تتكلم من قبل، ولم يحدث لها ضرر أو نهاية سيئة".

قال جيم بجدية: "هل كنتِ من قبل محبوسة فى كهف تحت الأرض، ولا يوجد منفذ للخروج؟"

أجابت دورثى: "لا... لكن لا تفقد الأمل يا جيم، أنا واثقة بأنها ليست نهاية قصتنا".

حديث إريكا عن الخنازير الصغيرة، ذكَّرت الساحر بحيواناته الأليفة التى يضعها فى جيب الجاكت الداخلى، وبأنها فى حاجة إلى تمارين رياضية، فهى بالتأكيد متعبة من البقاء بجيب الجاكت. فجلس على أرضية الكهف وأخرجها واحدًا بعد الآخر، وسمح لها بالتجول فى الأنحاء كما تريد. وقال لها: "يا أعزائى، أنا آسف لأنى ورّطتكم فى هذا الموقف، فليس بمقدورنا مغادرة هذا الكهف القاتم أبدًا!"

فسأل أحد الخنازير الصغيرة: "ماذا حدث؟ فنحن كنا فى ظلمة جيبك، هل يمكن أن تشرح لنا ماذا حدث؟" فأخبرهم الساحر بسوء الحظ الذى أصابهم.

فقال خنزيرٌ صغيرٌ آخر: "حسنًا! أنت ساحر، أليس كذلك؟"

فرد الساحر: "بلى".

فقال الخنزير الصغير بكل ثقة: "إذًا فاصنع بعض السحر، وأخرجنا من هذا الكهف".

ردَّ الساحر بأسف: "أستطيع أن أصنع سحرًا لو كنت ساحرًا حقيقيًّا. ولكنى لست ساحرًا حقيقيًّا يا أعزائى، بل ساحرٌ محتالٌ!"

صاحت خنازير عدة فى صوتٍ واحدٍ: "هراء!"

قال الساحر بصوتٍ مجروح: "اسألوا دورثى!"

ردَّت الفتاة بأمانة: "نعم، هذا صحيح، فصديقنا أوز ليس أكثر من ساحرٍ محتال، لقد أثبت لى هذا من قبل، فهو يستطيع أن يفعل أشياء مدهشة، إذا عرف كيفية عملها. ولكنه لا يستطيع فعل شىء سحرى واحد، إلا إذا كانت معه أدوات وماكينة لفعلها".

رد الساحر بامتنان: "شكرًا لكِ، يا عزيزتى، على الوقوف فى صفى. فاتهامى بأنى ساحرٌ حقيقى، وأنا لست كذلك، هو افتراء لا أستطيع قبوله على نفسى. ولكنى واحد من أفضل السحرة المحتالين على الإطلاق، وسوف تدركون هذا بعد أن نموت من الجوع معًا، وتتبعثر عظامنا على أرضية هذا الكهف المنعزل!"

قالت دورثى: "لا أعتقد أننا سندرك أى شىء إن وصلنا إلى تلك النهاية المؤسفة التى تتحدث عنها!" وفكرت بعمق قليلاً وأضافت: "ولكنى لن أنثر عظامى الآن، لأنى أحتاج إليها، وأنت أيضًا تحتاج إلى عظامك".

تنهَّد الساحر بأسف: "نحن عاجزون عن الهروب!"

ابتسمت دورثى وأجابت: "قد نكون عاجزين حقًّا، لكن هناك آخرين يستطيعون مساعدتنا، ابتهجوا يا أصدقائى، أنا واثقة بأن أوزما سوف تساعدنا!"

اندهش الساحر وقال: "أوزما! من هى أوزما؟"

قالت دورثى: "إنها الفتاة التى تحكم أرض أوز المدهشة، إنها صديقتى، فقد قابلتها فى أرض إيف من فترة ليست طويلة، وذهبت إلى أرض أوز معها".

قال الساحر باهتمام كبير: "هل ذهبتِ إلى أوز مرة ثانية؟"

أجابت الفتاة: "نعم، فى أول مرة ذهبت إلى أرض أوز قابلتك، وكنتَ تحكم مدينة الزمرد. وبعدما طرتَ فى البالون وفررت منا، عدت إلى منزلى فى كنساس بواسطة الحذاء الفضى السحرى".

هز الساحر رأسه وقال: "أتذكر ذلك الحذاء، كان ملكًا للساحرة الشريرة. هل هو معك الآن؟"

قالت الفتاة: "لا، فقد فقدته فى الهواء، ولكن فى الزيارة الثانية إلى أرض أوز، حصلت على الحزام السحرى لملك النووم، وهو أقوى بكثير من الحذاء الفضى".

استفسر الساحر: "وأين هذا الحزام السحرى؟"

أجابت دورثى: "أعطيته للأميرة أوزما، لأن قواه السحرية لا تعمل فى البلاد المتحضِّرة مثل الولايات الأمريكية المتحدة، فأى شخص فى الأراضى الخيالية مثل أرض أوز يفعل به ما يشاء من أعمال السحر، لذلك تركته مع صديقتى الأميرة أوزما، التى استخدمته لتعيدنى ثانية إلى أستراليا مع عمى هنرى".

سأل ذيب، الذى يتابع بدهشة ما يسمعه: "وهل عدتِ إلى العم هنرى؟"

أجابت دورثى: "بالطبع، فى لمح البصر. أوزما تملك أيضًا لوحة سحرية معلقة فى غرفتها، تريها ما يحدث لأى صديق من أصدقائها فى التوّ واللحظة عندما تريد، كل ما تفعله أن تقول (ما الذى يحدث لفلان؟) وعلى الفور تريها اللوحة الصديق وماذا يفعل. هذا هو السحر الحقيقى يا أستاذ! أليس كذلك أيها الساحر؟ لقد وعدتنى الأميرة أوزما بأنها ستنظر إلىّ فى اللوحة كل يوم فى الساعة الرابعة. وإن احتجتُ إلى مساعدة منها سأشير لها بإشارة معينة، وعندها سترتدى الحزام السحرى لملك النووم وتستدعينى إلى قصرها فى أرض أوز".

تعجَّب ذيب وقال: "هل تعنين أن الأميرة أوزما تستطيع أن ترى هذا الكهف فى لوحتها السحرية، وترانا كلنا، وترى ماذا نفعل؟"

ردَّت الفتاة وهى تضحك على تعبير وجهه: "بالطبع، عندما تحين الساعة الرابعة".

أكمل الصبى: "وعندما تشيرين بتلك العلامة ستستدعينا إلى أرض أوز؟"

قالت الفتاة: "نعم، بالضبط كما تقول، بواسطة الحزام السحرى".
قال الساحر: "إذًا، ستنقذك صديقتك يا دورثى، مبارك، أنا مسرور لكِ، والباقون منا سيموتون سعداء عندما نعرف أنكِ نجوت من مصيرنا المظلم!"

احتجّت إريكا قائلة: "أنا لن أموت سعيدة، ليست هناك سعادة في الموت بحسب ما أعرف، رغم أنه يقال إن القطط بسبعة أرواح، فأظن أنه يجب أن أموت تسع مرات!"

سألها الصبى: "هل متِّ من قبل؟"

قالت إريكا: "لا.. ولا أرغب في الموت!"

هتفت دورثى: "لا تقلقى يا عزيزتى، فسوف أحملك بين ذراعى، وآخذك معى".

صرخت الخنازير التسعة الصغيرة دفعة واحدة: "خذينا معك!"

أجابت الفتاة: "ربما.. سأحاول!"

قال جيم: "هل من الممكن أن تأخذينى أنا أيضًا تحت ذراعك؟"

ضحكت دورثى وقالت: "بل سأفعل أفضل من هذا، فبكل سهولة أستطيع إنقاذكم كلكم، بمجرد وصولى إلى أرض أوز".

تساءل جيم: "كيف؟"

أجابت دورثى: "باستخدام الحزام السحرى، فكل ما سأفعله أن أتمنى أن تكونوا معى، وليس هناك مكان أكثر أمانًا إلا القصر الملكى في مدينة الزمرد".

صاح ذيب فرحًا: "هذا جيدٌ".

قال الساحر بنبرة وقار: "لقد بنيتُ هذا القصر، ومدينة الزمرد أيضًا، وسأكون سعيدًا إن أتيحت لى الفرصة لرؤيتها مرة ثانية، فقد كنت سعيدًا بالعيش مع الموشكيين والجودلينج والوينكلز والجليجان".

سأل الصبى: "من هؤلاء؟"

أجابه الساحر: "إنهم أربعة شعوب يسكنون أرض أوز، أتساءل هل سيعاملوننى جيدًا إن عدت إليهم ثانية؟"

قالــت دورثى: "بالطبــع ســيعاملونك جيــدًا، فهــم مــا زالــوا فخوريــن بســاحرهم الســابق، ودائمًــا مــا يذكرونــك بالخــير".

فسألها: "وهل تعرفين ماذا حدث للحطاب الصفيح وخيال المآتة؟"

قالــت الفتــاة: "مــا زالــوا يعيشــون فى أوز، وصــارا شــخصين مهمَّــين فى البــلاط الملــكى".

سألها الساحر: "وماذا عن الأسد الخواف؟"

فأجابتــه "إنــه يعيــش معهمــا أيضًــا، ومــع صديقــه النمــر الجوعــان. وبيلينــا هنــاك أيضًــا، فهــى أحبــت المــكان أكــثر مــن كانســاس، ولــم تعــد معــى إلى أســتراليا".

قــال الســاحر هــازًّا رأســه: "أخــشى أنى لا أعــرف النمــر الجوعــان وبيلينــا، هــل بيلينــا فتــاة؟"

أجابــت دورثى: "لا.. إنهــا دجاجــة صفــراء. وهــى صديقــتى الصــدوق، أنــا متأكــدة مــن أنــك ســتحبها، عندمــا تتعــرف إليهــا".

قــال ذيــب بصعوبــة: "أصدقــاؤك يبــدون لى كحديقــة حيوانــات، هــل يمكــن أن تتمــنى لى الذهــاب إلى مــكان أكــثر أمانًــا مــن أوز؟"

ردَّت الفتــاة: "لا تقلــق، فســتحب النــاس فى أوز، عندمــا تتعــرف إليهــم". والتفتــت إلى الســاحر لتســأله: "كــم الســاعة الآن يــا أســتاذ؟"

أجابها الساحر: "الساعة الثالثة والنصف".

قالــت دورثى: "إذًا يجــب أن ننتظــر نصــف ســاعة، وهــذا ليــس وقتًــا طويــلاً، فبعــده ســنذهب كلنــا إلى مدينــة الزمــرد".

سأل جيم فجأة: "هل هناك أحصنة فى أوز؟"

ردَّت دورثى: "واحد فقط، إنه حصان خشبى".

تساءل جيم بدهشة: "ماذا؟"



قالـت دورثى: "حصـان خشـبى، لقـد أعطتـه الأمـيرة أوزمـا الحيـاة بمســحوق ســحرى، عندمــا كانــت صبيًّــا".

سأل ذيب بتعجب: "هل كانت صبيًّا؟"

قالـت دورثى: "نعـم، السـاحرة الشريـرة سـحرتها، لكيـلا تسـتطيع حكـم مملكـة أرض أوز. لكنهـا فتـاة جميلـة ومحبوبـة الآن، ألطـف فتـاة فى العالم".

شـنَّ الحصـان وقـال: "الحصـان الخشـبى هـو أداة يسـتخدمها النجـار لنـشر وتقطيـع الخشـب".

قالـت الفتـاة: "نعـم، عندمـا لا تكـون حيـة، لكـن الحصـان الخشـبى يسـتطيع الجـرى والسـباق مثلـك تمامًـا، يـا جيـم. كمـا أنـه ذكى جـدًّا!"

هتـف الحصـان باسـتهتار: "هــا، أسـتطيع أن أسـبق ذلـك الحصـان الخشـبى البائـس فى أى وقـت".

لـم تـرد دورثى عـلى كلام الحصـان جيـم، فقـد شـعرت أنـه مـن الأفضـل أن يتعـرَّف إلى الحصـان الخشـبى بنفسـه. مـرَّ الوقـت بطيئًـا عـلى المنتظريـن المتلهِّفـين، ولكـن أخـيرًا أعلـن السـاحر أن السـاعة الآن الرابعـة. فأمسـكت دورثى القطـة الصغـيرة وأشـارت بيدهـا بالعلامـة الـتى اتفقـت عليهـا مـع الأمـيرة أوزمـا.

قال ذيب متشككًا: "لم يحدث شىء!"

فردَّت الفتاة: "أوه، أعطِ أوزما مهلة لكى تلبس الحزام السحرى".

وفـور أن قالـت تلـك الكلمـات اختفـت مـن الكهـف فجـأة، ومعهـا إريـكا. لـم يصـدر صـوت أو تحذيـر مـن أى نـوع. فى لحظـة كانـت دورثى تقـف بينهـم وفى حضنهـا القطـة، وفى اللحظـة التاليـة، كان الحصـان والسـاحر والصـبى والخنازيـر التسـعة الصغـار يقفـون فى السـجن تحـت الأرض مـن دونهـا.

قـال السـاحر فى نـبرة ارتيـاح: "أعتقـد أننـا سـنلحق بهـا قريبًـا، فأنـا أعـرف السـحر فى الأراضى الخياليـة مثـل أرض أوز، فلنكـن مسـتعدين".

ووضع الخنازير فى جيب الجاكت الداخلى، وصعد ذيب إلى الحنطور وجلس على المقعد، وقال بصوتٍ مهزوز بعض الشىء: "هل يؤلم؟"

رد الساحر: "لا، أبدًا، إنه يحدث سريعًا كغمضة عين".

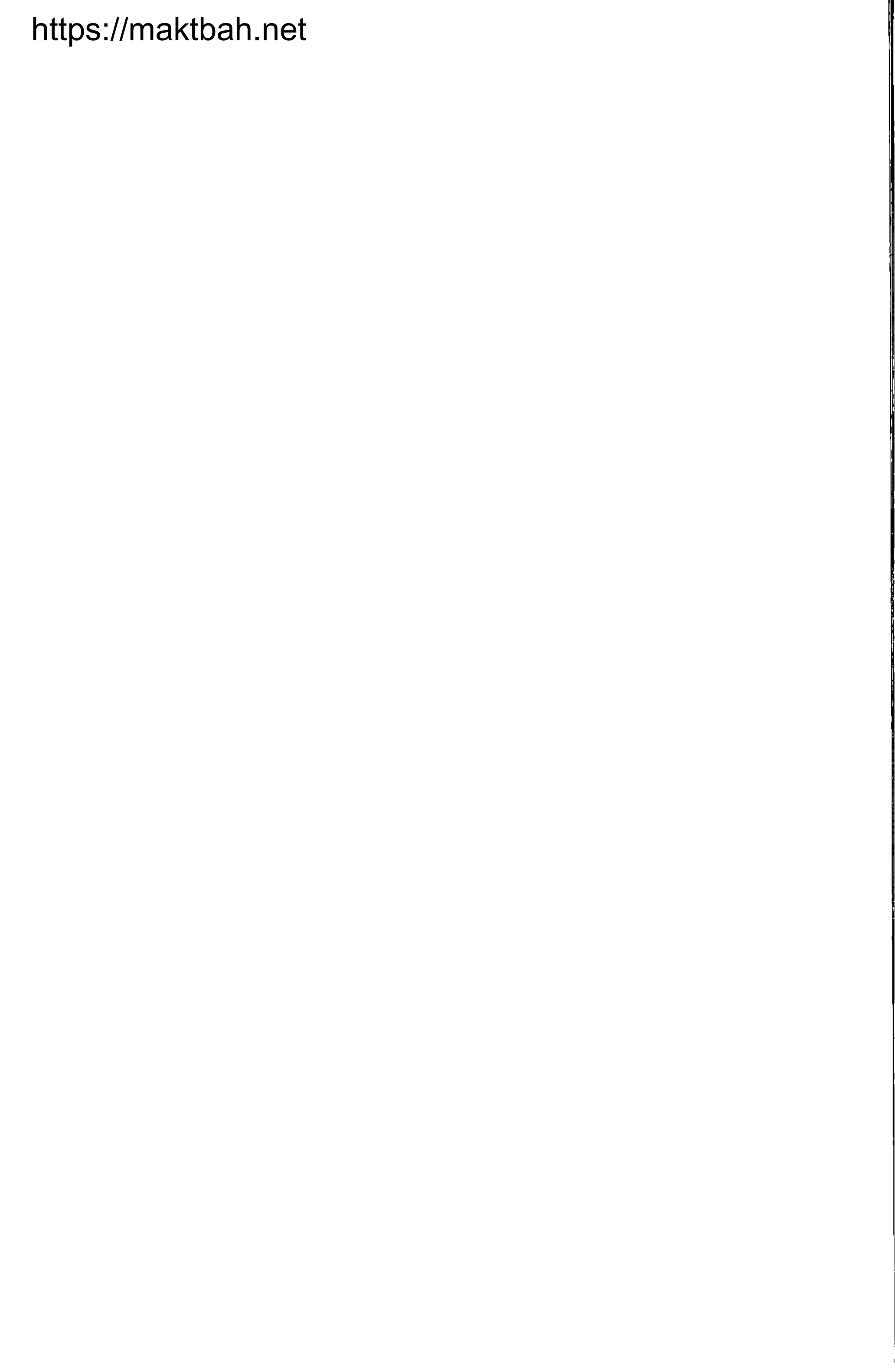
وكان هذا ما حدث بالضبط.

أطلق الحصان صهيلاً عصبيًّا وفرك ذيب عينيه فى دهشة ليتأكد من أنه ليس نائمًا. فهم الآن فى شوارع مدينة الزمرد الخضراء الجميلة، تغرق فى أضواء خضراء براقة ممتعة لأعينهم، وتحيط بهم وجوه مرحة لأشخاص يرتدون أزياء خضراء زاهية، بتصميمات استثنائية.

أمامهم بوابات مرصعة بالجواهر لقصر فخم، فتحت لهم ببطء تدعوهم للدخول إلى ساحة القصر الشاسعة، حيث حدائق بها زهور رائعة تتفتح، ونوافير مدهشة تطلق رشاشات فضية فى الهواء.

هز ذيب لجام جيم ليتحرك الحصان الواقف مكانه من الدهشة، فالناس بدؤوا يتجمعون ويحدِّقون فى الغرباء. صرخ الصبى: "هيا.. حاااا.." فتنبه الحصان وتحرك متبخترًا عبر البوابة المرصعة بالجواهر، وجر الحنطور إلى داخل القصر الملكى.





الفصل الخامس عشر



لم شمل الأصدقاء القدامى

وقف كثير من الخدم يلبسون زيًّا مهندمًا، مستعدين لاستقبال والترحيب بالقادمين، وعندما نزل الساحر من عربة الحنطور، صاحت فتاة جميلة ترتدى ثوبًا أخضر: "يا إلهى! إنه أوز، الساحر العجيب عاد ثانية!"

نظر الرجل الضئيل إليها عن قرب، وأخذ يد الفتاة الصغيرة وصافحها بحماس وقال: "يااااه، أنتِ جوليا جمب، جميلة وبَهِيَّة كما كنتِ دومًا". انحنت جوليا تحية له وردت بأدب: "نعم يا أستاذ، ولكنى أخشى أنك لن تحكم مدينة الزمرد، كما كنت تفعل فى الماضى، لأننا الآن تحكمنا أميرة جميلة والكل يحبها".

وأضاف جندى طويل فى زى جنرال عام: "وكل الشعب يخضع لها عن طيب خاطر".

التفت إليه الساحر وسأله: "ألم يكن لك شارب أخضر؟"

قال الجندى: "نعم، لكنى حلقته منذ فترة طويلة، ومنذ وقتها ترقَّيت من عسكرى إلى جنرال عام فى الجيش الملكى".

قال الساحر: "هذا لطيفٌ جدًّا". وأضاف بأمانة: "ولكنى أؤكد لكم، أيها الشعب الطيب، أنا لا أريد حكم مدينة الزمرد".

صاح جميع الخدم: "فى هذه الحالة أنت مُرحَّبٌ بك".

أسعد الساحر أنه ما زال يحتفظ بالاحترام من الحاشية الملكية التى انحنت له تحية بأدب بالغ، فشهرته لم تختفِ من أرض أوز رغم كل شيء.

نزل ذيب من عربة الحنطور ووقف بجانب الساحر وسأل بقلق: "أين دورثى؟". أجابت جوليا جمب: "مع الأميرة أوزما، داخل القصر، ولكنها أمرت بالترحيب بك وإرشادك إلى غرفتك".

نظر الصبى حوله بتعجب من فخامة وتألق القصر، فقد كان أجمل مما يحلم بمشاهدته، وبالكاد صدق أن البريق البهي حقيقي وليس مجرد بهرجة فارغة.

تساءل الحصان بصعوبة: "وماذا سيحدث لى؟" فقد عاش جيم فى المدن فترة شبابه، ويعرف أن هذا القصر الفخم ليس به مكان له. ارتبكت جوليا جمب، لدقيقة، فهى لا تعرف ماذا تفعل لهذا الحيوان، فالوصيفة الخضراء كانت متعجبة لمنظر هذا المخلوق غير العادى، والأحصنة لم تكن معروفة فى أرض أوز، ولكن الناس فى مدينة الزمرد كانوا معتادين على رؤية المناظر الغريبة. لذلك بعد فحص الحصان لاحظت مظهره المتسامح، فقررت ألا تخاف منه.

قال الساحر: "لا توجد إسطبلات هنا، إلا إن كانوا بنوها فى فترة غيابى!"

أجابت جوليا: "نحن لم نحتجها أبدًا، فالحصان الخشبى يعيش فى غرفة بالقصر، فهو أصغر حجمًا من هذا الوحش الذى أحضرته معك".

سألها الحصان بغضب: "هل تقصدين أنى شخص شاذ؟"

سارعت بالرد: "لا، لا أقصد ذلك، فربما هناك الكثير مثلك في المكان الذى أتيت منه، لكن هنا في أوز، أى حصان غير الحصان الخشبى هو حصان غير عادى!"

هدأ جيم قليلاً بعد هذا الرد. وبعد تفكير قليل، قررت الوصيفة الخضراء تخصيص غرفة في القصر للحصان. ففكَّ ذيب السرج عن جيم، وقاد الخدم الحصان إلى خلف القصر، حيث يوجد مسكن كبير لطيف مخصص له بالكامل.

قالت جوليا للساحر: "غرفتك، التى تقع خلف قاعة العرش، ما زالت شاغرة منذ غادرتها، فهل تريد الإقامة فيها ثانيةً؟"

قال الساحر: "نعم، بالطبع، يبدو كأنى عدت إلى بيتى، فقد عشت في هذه الغرفة سنوات كثيرة".

كان يعرف الطريق إلى هذه الغرفة، فتبعه الخدم يحملون حقيبته. ورافق الخدم ذيب إلى غرفته الكبيرة والجميلة، لدرجة أنه خشى الجلوس على المقاعد أو الاستلقاء على السرير، كى لا يفسد فخامة المكان. كما أنه اكتشف في الدولاب الكثير من الأزياء الفاخرة من المخمل الأنيق والمزركش، وأخبره الخدم أن له الحرية في اختيار ما يريد من الملابس، لأنه مدعو لتناول العشاء مع الأميرة أوزما بعد ساعة.

داخل الغرفة باب يؤدى إلى حمام فخم به حوض رخامى يتدفق منه ماء معطر. ظل الصبى مندهشًا من فخامة الأشياء المحيطة به حتى انغمس في حمام ساخن جيد واختار زيًّا مخمليًّا كستنائيًّا بأزرارٍ فضية بدلاً من ملابسه المتسخة البالية، واختار جوارب حريرية وحذاء من الجلد الناعم بأبزيم من الماس ليتماشى مع زيه الجديد. وحينما ارتدى ذيب كامل ملابسه بدا جليلاً ومبجلاً أكثر من أى وقتٍ مضى.

كان جاهـزًا عندمـا طـرق المضيـف البـاب، ودعـاه ليرافقـه إلى حـضرة الأمـيرة أوزمـا. تبعـه بخجـل إلى قاعـة أكـثر أناقـة ورحابـة، وهنـاك رأى دورثى تجلـس بجانـب فتـاة مبهـرة الجمـال، لدرجـة أن الصـبى توقَّـف لحظـات ليحـدق فيهـا بإعجـاب. ولكـن دورثى قفـزت مـن مكانهـا وشـدت يـد صديقهـا وسـحبته تجـاه الأمـيرة المحبوبـة، الـتى ابتسـمت بكـرم فى وجـه ضيفهـا. بعدهـا دخـل السـاحر، فخفـف مقدمـه قليـلاً مـن إحـراج الصـبى وارتباكـه. كان يرتـدى بدلـة مـن المخمـل الأسـود مزينـة بالعديـد مـن الأوسـمة الزمرديـة البراقـة عـلى صـدره، ولكـن رأسـه الأصلـع والتجاعيـد الـتى تمـلأ وجهـه جعلتـه لافتًـا للانتبـاه.

انتـاب أوزمـا الفضـول لمقابلـة الرجـل الشـهير الـذى بـنى مدينـة الزمـرد، ووحَّـد بـلاد الموشـكيين والجودلينـج والوينكلـز والجليجـان فى شـعب واحـد فى أرض أوز.

فبعـد أن جلـس الأربعـة عـلى مائـدة العشـاء قالـت الأمـيرة أوزمـا: "إذا سـمحت، أخـبرنى، يـا حـضرة السـاحر، هـل اسـمك أوز نسـبة إلى بلدنـا الكبـير، أم هـل بلدنـا الكبـير سـمى تبعًـا لاسـمك؟ هـذا سـؤال حـيرنى كثـيرًا وطالمـا تمنيـت أن أسـتفسر منـك بشـأنه، لأنـك مـن نسـب غريـب عـن هـذه البـلاد، واسـمى أوزمـا -كمـا تعـرف. لا أحـد، يسـتطيع أن يفسـر لى هـذا الغمـوض إلا أنـت".

أجـاب السـاحر: "هـذا صحيـح.. إنـه مـن دواعـى سرورى أن أفـسر لـك العلاقـة بيـنى وبـين بلدكـم. فى البدايـة، يجـب أن أخـبرك أنى ولـدت فى أوهامـا، ووالـدى الـذى كان يعمـل بالسياسـة أسـمانى {أوسـكار زورسـتر فادريـك إسـحق نورمـان هنـكى إيمانويـل أمـبروزى ديجـز[1]}. بالطبـع كان اسمًا طويـلاً ليحملـه طفـل صغـير بـرىء، فواحـد مـن أقسى الـدروس الـتى تعلمتهـا صغـيرًا أن أتذكـر وأحفـظ ذلـك الاسـم الطويـل. عندمـا كـبرت قليـلاً، أسـميت نفـسى O. Z. أوز، وهمـا الحرفـان الأوّلان مـن الاسـمين

(1) Oscar Zoroaster Phadrig Isaac Norman Henkel Emmannuel Ambroise Diggs

الأوَّلَـين، لأن الحـروف الأولى مـن بقيـة الاسـم P.I.N.H.E.A.D وتنطـق بينهد[1] والكلمـة معناهـا يقلـل مـن ذكائى".

قالـت أوزمـا بتعاطـف: "بالتأكيـد لا أحـد يلومـك لأنـك اختـصرت اسـمك الطويـل، ولكـن ألا تعتقـد أنـك اختصرتـه زيـادة عـن اللـزوم؟"

رد السـاحر: "ربمـا.. عندمـا كنـت شـابًّا كنـت أهـرب كثـيرًا مـن البيـت وأذهـب إلى السـيرك، وكنـت دائمًـا أقـدم نفـسى كسـاحر وأؤدى بعـض الخـدع، منهـا التكلـم مـن البطـن[2]".

سألت الأميرة: "وما هذه الخدعة؟"

أجابهـا أوز: "هـى خدعـة أوهـم بهـا النـاس بـأن الأشـياء تتكلـم، فألقـى صـوتى عـلى أى شىء أريـده، فأجعـل هـذا الـشىء يتكلـم بصـوتى بـدلاً مـنى. كما بـدأت خدمـة سـياحية، فأرافـق السـياح ليتنزَّهـوا فى بالـون، وكنـت أطبـع الحـروف الأولى مـن اسـمى OZ عـلى البالـون وأشـيائى الأخـرى الـتى أسـتخدمها فى السـيرك، لـكى أميزهـا ويعـرف الـكل أنهـا ملـكى. ذات يـوم، صعـدت بالبالـون وسـافر البالـون بى بعيـدًا عـبر الصحـراء إلى هـذه البـلاد الجميلـة. اعتقـد أهـل هـذه البـلاد عندمـا رأونى قادمًـا مـن السـماء أنى مخلـوقٌ سـماوى، فانحنـوا أمامـى، وعندمـا أخبرتهـم أنى سـاحر وقدمت لهم بعـض الخـدع السـحرية السـهلة، وشـاهدوا الحـروف الأولى مـن اسـمب على البالـون، أطلقـوا عـلىّ اسـم أوز".

ابتسمت الأميرة وقالت: "الآن بدأت أفهم".

أكمـل السـاحر: "فى أثنـاء ذلـك، كانـت هنـاك أربـع بلـدات منفصلـة عـلى هـذه الأرض، كل بلـدة تحكمهـا سـاحرة. ولكـن النـاس ظنـوا أن قـدراتى تفـوق تلـك السـاحرات، وربمـا ظنـت السـاحرات أنفسـهن كذلـك، فهـن لـم

(1) Pinhead ومعناهـا رأس دبـوس، وتُطلـق عـلى الشـخص الـذى عقلـه صغـير مثـل رأس الدبـوس، بمعنـى الأهبـل أو العبيط!

(2) عمل أوز بمهنة ventriloquist وهى التكلم من البطن.

يجـرؤن عـلى معارضـتى. لـذا أمـرت ببنـاء مدينـة فى المـكان الـذى تتقاطـع فيـه البلـدات الأربـع، أى فى منتصـف أرض أوز، وعندمـا اكتمـل بنـاء المدينة، نصبـت نفـسى حاكمًـا عـلى أرض أوز، وهـذا يتضمـن كل البلـدات الأربـع، الموشـكيين والجودلينـج والوينكلـز والجليجـان. لقـد حكمـت هـذه البـلاد فى سـلام لسـنوات كثـيرة، حـتى كـبرت وحيـدًا واشـتقت إلى رؤيـة وطـنى الأصـلى ثانيـةً، فجـاءت دورثى إلى أرض أوز بواسـطة الإعصـار، فرتبنـا للعـودة معًـا فى البالـون، ولكنـه طـار قبـل أن تلحـق بـه ورجعـت وحـدى. وبعـد مغامـرات عـدة وصلـت إلى أوهامـا، لأعـرف أن أصدقـائى القدامـى ماتـوا أو انتقلـوا بعيـدًا. وهكـذا لـم يكـن لـدى شىء آخـر أفعلـه، فالتحقـت بالسـيرك مـرة أخـرى ورحـت أقـدم خدمـة مرافقـة الجمهـور فى البالـون، حـتى وقعـت فى صـدع الزلـزال".

قالـت أوزمـا: "هـذا تاريـخ مشـوِّق، لكـن هنـاك جانبًـا آخـر مـن تاريـخ أرض أوز، يبـدو أنـك لـم تعرفـه، ربمـا لأن أحـدًا لـم يخـبرك بـه. منـذ سـنوات طويلـة قبـل وصولـك، كانـت هـذه الأرض موحـدة تحـت حاكـم واحـد، مثلمـا هـى الآن، والحاكـم دائمًـا يأخـذ اسـم (أوز)، والـذى يعـنى فى لغتنـا القديمـة (العظيـم والمهيـب)، أمـا إن كانـت الحاكمـة أنـثى فيكـون اسـمها أوزمـا. لكـن فى وقـتٍ مـا، تحالفـت السـاحرات الأربـع معًـا لمعارضـة الملـك، وكل واحـدة منهـن حاولـت حكـم جـزء مـن أرض أوز بمفردهـا. ذات يـوم، كان جـدى حاكـم أرض أوز فى نزهـة صيـد، خطفتـه سـاحرة شريـرة اسـمها بومـبى وسـجنته. فاسـتغلَّت السـاحرات الفرصـة واسـتقلَّت كل منهـن بجـزء مـن الأراضى. حـتى جئـت أنـت مـن السـماء، لذلـك كان النـاس سـعداء برؤيتـك، وظنـوا مـن الأحـرف الأولى مـن اسـمك المرسـومة عـلى البالـون، أنـك حاكمهـم الشرعـى".

قـال السـاحر متذكـرًا: "ولكـن فى ذلـك الوقـت، كانـت هنـاك سـاحرتان طيبتـان وسـاحرتان شريرتـان يحكمـن الأراضى".

ردت أوزما: "نعم، الساحرة الطيبة هزمت مومبى فى الشمال، وهزمت جليندا الطيبة الساحرة الشريرة فى الجنوب[1]. ولكن ظلت مومبى تحتجز جدى فى سجنها، وبعدها صارت سجانة والدى. وعندما وُلدت حولتنى إلى صبى، فقد كانت تأمل ألّا يتعرَّف أحد علىّ ويعرف أنى الحاكمة الشرعية لأرض أوز، ولكنى هربت منها والآن أنا أحكم شعب أرض أوز بالكامل".

قال الساحر: "أنا مسرور بذلك جدًّا، وأتمنى أن تعتبرينى واحدًا من رعاياك الأمناء المخلصين".

أكملت الأميرة: "نحن ندين بالفضل للساحر العجيب، فهو الذى بنى مدينة الزمرد الرائعة".

قال أوز: "شعبك هو الذى بناها، أنا فقط توليت إدارة البناء".

فقالت أوزما: "ولكنك حكمت بحكمة لعدد كبير من السنوات، وجعلت الشعب فخورًا بالفنون السحرية. أنت الآن عجوز على التجوُّل والعمل بالسيرك، أنا أعرض عليك بيتًا هنا لبقية حياتك، وسوف تتولى منصب الساحر الرسمى لمملكتى، وستحظى بكل احترام وتقدير".

قال الساحر بصوتٍ متهدج: "وأنا أقبل عرضك الكريم بكثيرٍ من الامتنان، يا جلالة الأميرة". واستطاع الجميع رؤية دموع التأثر فى عينى الساحر العجوز، فهذا معناه تكريم كبير وتأمين منزل له فى أواخر عمره.

ابتسمت دورثى وقالت: "ولكنه مجرد ساحر محتال!"

أجابت أوزما على الفور: "ولذلك هو أفضل ساحر أثق به".

قال ذيب بوضوح، بعدما شعر بالراحة فى المكان: "أوز يستطيع عمل خدع سحرية جيدة، سواء أكان محتالاً أم لا".

---

(1) باوم ينسى أن دورثى هى التى هزمت الساحرة الشريرة فى الجنوب وليست جليندا.

قالت الأميرة: "وهو سيعرض علينا تلك الخدع غدًا، فقد أرسلت أستدعى أصدقاء دورثى القدامى كافة لمقابلتها والترحيب بها، وسيصلون قريبًا".

بعدما انتهى العشاء، دخل خيال المآتة إلى قاعة الطعام، واندفع ليحضن دورثى بذراعيه المبطنتين بالقش، ويخبرها كم هو سعيد برؤيتها ثانية، كما رحب بكل حرارة بالساحر، فقد كان خيال المآتة شخصية مهمة فى أرض أوز.

صافح الساحر اليد المبطنة لصديقه القديم، وسأله: "كيف حال عقلك؟"

أجاب خيال المآتة: "ممتاز، أنا متأكد من ذلك يا أوز، فأنت أعطيتنى أفضل عقل فى العالم، فأنا أفكر به ليلاً ونهارًا، فى حين أن بقى العقول تنام بالليل".

قال له الساحر: "كم قضيت تحكم مدينة الزمرد بعدما غادرت؟"

أجاب خيال المآتة: "لفترة لا بأس بها، حتى غزت المدينة فتاة تدعى الجنيرال جينجر، ولكن أوزما هزمتها، بمساعدة جليندا الطيبة. وبعد ذلك ذهبت للعيش مع الحطاب الصفيح".

سمعوا صوت نقنقة عاليًا بالخارج، ففتح الخدم الباب مع انحناءة لطيفة للترحيب بالقادم، فتبخترت دجاجة صفراء إلى القاعة، وقفزت دورثى من مقعدها وحضنت الدجاجة المريَّشة، وأطلقت صيحة فرحة.

قالت دورثى: "أوه، بيلينا، كم صرتِ بدينة وناعمة؟"

قالت بيلينا بصوتٍ حادٍّ وواضح: "ولِمَ لا؟ فأنا أعيش فى أخصب مكان فى أرض أوز، أليس كذلك يا أوزما؟"

قالت الأميرة: "لكِ ما تتمنين يا بيلينا".

على رقبة بيلينا تدلَّت سلسلة من اللآلئ الجميلة، وفى قدميها أساور من الزمرد. ارتاحت الدجاجة فى حضن دورثى حتى جاءت إريكا وزمجرت

فيها بغيرة، ووثبت بمخالبها الحادة لتضرب بيلينا ضربة خاطفة، ولكن الفتاة الصغيرة أعطت القطة الغيور الغاضبة نظرة صارمة، لدرجة أن إريكا قفزت على الأرض دون أن تجرؤ على خدش الدجاجة.

صرخت دورثى فيها: "كم أنتِ فظيعة يا إريكا، هل هذه طريقة مؤدبة تعاملين بها أصدقائى؟"

قالت أريكا بصوت فظ: "يبدو لى أنكِ تصاحبين شخصيات غريبة".

ردت بيلينا بازدراء: "يبدو لى الشىء نفسه، إن كانت هذه القطة المتوحشة واحدة منها".

قالت دورثى بصرامة وتهديد: "اسمعا أنتما الاثنين، لن أسمح بحدوث شجار فى أرض أوز، هنا كلنا نعيش فى سلام. وفى حالتكما أنتما، إريكا وبيلينا، إن لم تتصالحا وتصيرا صديقتين، سأستخدم الحزام السحرى وأعيدكما إلى بلديكما".

كلتاهما خافت من التهديد، ووعدتا بخضوع أن تتصرفا بطريقة جيدة، ولكن لم يلحظ أحد أنهما صارتا صديقتين حميمتين، رغم كل شىء. بعدها مباشرة، وصل الحطَّاب الصفيح، جسده كله مطلى بالنيكل، الذى كان يسطع فى الأضواء البراقة لقاعة القصر، وصافح الفتاة الصغيرة بحنان، ورحب فرِحًا بعودة صديقه القديم وقال له: "يا حضرة الساحر، لم تتح لى الفرصة لأشكرك على القلب الممتاز الذى أعطيته لى، فقد منحنى الكثير من الأصدقاء، إنه يدق الآن بحب كما كان يدق منذ أن استقر فى صدرى".

قال الساحر: "أنا سعيد بسماع هذا، فقد كنت أخشى أن يتعفَّن فى جسدك المصنوع من الصفيح".

رد الحطاب الصفيح: "بالعكس، فهو يعمل جيدًا، وهو محفوظ فى قفصى الصدرى بإحكام".

كان ذيب خجلاً قليلاً من استقبال هؤلاء الأصدقاء الغرباء، ولكنهم كانوا ودودين وصادقين، ما جعله ينال إعجابهم بسهولة، حتى إنه لاحظ الصفات الجيدة للدجاجة الصفراء، ولكنه توتر قليلاً لقدوم الزائر التالى.

قالت الأميرة أوزما: "أقدم لكم صديقى الأستاذ م. ج. ووجى بق ت. ع. الذى ساعدنى مرة عندما كنت فى محنة كبيرة، وهو الآن عميد كلية الفنون والتفوق الرياضى الملكية".

قال الساحر: "أها، أنا مسرور بمقابلة هذه الشخصية الاستثنائية".

قال ووجى بق متفاخرًا: "م. ج. تعنى مكبَّرًا جدًّا وت. ع. تعنى تعليمًا عاليًا. فأنا فى الحقيقة حشرة بق كبيرة، وبلا شكٍّ أكثر المخلوقات ثقافة فى كل الأنحاء".

قال الساحر: "أنا لا أنكر هذا، ولا أشك فى كلمة مما تقول على الأقل".

رد ووجى بق: "لا يستطيع أحد أن ينكر هذا".

وسحب كتابًا من جيبه وأدار ظهره للصحبة وجلس بعيدًا يقرأ. لم يهتم أحد لوقاحته، فمن المفترض أن يكون مؤدبًا كشخص متعلم تعليمًا عاليًا. لذا فالأصدقاء نسوا وجوده وانهمكوا فى حديث حميمى حتى جاء موعد النوم.



الفصل السادس عشر



جيم حصان الجر

وجد جيم نفسه فى غرفة كبيرة لها أرضية من الرخام الأخضر، وحوائط من الرخام المنحوت المغطى بالخشب، على درجة كبيرة من الفخامة ترعب أى شخص آخر، ولكن جيم تقبَّلها كأنها مجرد تفاصيل لا تهم. وطلب من الخدم أن يدلكوه جيدًا، فمشطوا عرفه وذيله، وغسلوا حوافره وقصبة أقدامه. ثم أخبروه بأنه مدعو لتناول العشاء، فرد عليهم بأنه يحتاج إلى وقت أطول للراحة من الرحلة الشاقة، وباستطاعتهم تقديم العشاء له هنا. فى البداية قدموا له وعاء حساء تتصاعد منه أبخرة كثيفة، فجفل منه الحصان وقال: "أبعدوا هذا الشىء عنى، هل تظنوننى حيوان سلمندر؟" فأطاعوه فى الحال. وقدموا له سمكة كبيرة على طبق من الفضة وعليها صوص لذيذ، فشنَّ الحصان وصاح: "سمك! هل تظنوننى القط توم[1]؟ أبعدوا هذا الشىء عنى".

---

(1) القط توم tom-cat هو تعبير قديم يطلق على الذكور الكبيرة فى السن من القطط، ومنه

كان الخـدم محبطـين قليـلاً، فقدمـوا لـه صينيـة كبـيرة عليهـا عـشرون زوجًـا مـن السـمَّان المشـوى مـع الخـبز المحمـص. صـاح الحصـان وقـد اسـتُفِزَّ تمامًـا: "حسـنًا، حسـنًا، حسـنًا، هـل تظنونـنى عِرسـة؟ كـم أنتـم جهـلاء وأغبيـاء فى أرض أوز؟ مـا هـذه الأشـياء المقرفـة الـتى تقدمونهـا لى؟ ألا يوجـد طعـام لائـق فى هـذا القـصر؟" فلـم يجـد الخـدم المرتبكـون إلا اسـتدعاء كبـير الخـدم، الـذى جـاء عـلى عجـل. وقـال: مـاذا تريـد سـموُّك للعشـاء؟"

فرد الحصان الذى لم يعتد على هذا اللقب: "سموك!"

فقـال كبـير الخـدم: "حضرتـك طولـك سـتة أقـدام عـلى الأقـل، أطـول مـن أى حيـوان فى هـذه البـلاد!"

فقال الحصان: "حسنًا، سموِّى يرغب فى تناول الشوفان".

رد كبـير الخـدم باحـترام: "شـوفان! ليـس لدينـا شـوفان، ولكـن لدينـا دقيـق شـوفان نقدمـه مطهـوًّا فى وجبـة الإفطـار". وأضـاف بـكل تواضـع: "عصيـدة الشـوفان هـو طبـق للإفطـار يـا سـيدى".

قـال جيـم: "الآن، اجعلـه طبقًـا للعشـاء، أحـضره لى الآن، ولا تطبخـه! إذا كنـت حريصًـا عـلى حياتـك".

كمـا تـرون، الاحـترام الـذى عومـل بـه حصـان الجـر العجـوز، جعلـه متعجرفًـا قليـلاً، ونـسى أنـه مجـرد ضيـف، فلـم يعاملـه أى شـخص إلا كخـادم منـذ يـوم ولادتـه، حـتى وصولـه إلى أرض أوز. ولكـن الخـدم لـم ينتبهـوا للمـزاج السـيئ للحيـوان وأسرعـوا بخلـط دقيـق الشـوفان مـع قليـل مـن المـاء فى حـوض كبـير وقدمـوه للحصـان، الـذى التهمـه بشـهية مفتوحة.

ووضـع الخـدم كثـيرًا مـن لفائـف السـجاد عـلى الأرض، ونـام الحصـان عـلى أنعـم سريـر نـام عليـه طـوال حياتـه. فى الصبـاح، وفى ضـوء النهـار،

تسـمية القـط تـوم الشـهير فى مسلسـل (تـوم وجـيرى) الـذى فى أول ظهـور لـه كان يسـمى كاسـبرت Jaspert فى February1940

قرر أن يتمشى قليلاً ليبحث عن عشبٍ للإفطار، فترجَّل على مهل عبر البوابة المقوَّسة والتفَّ حول القصر، إذ بدا أن الجميع نائم، ولكنه وجد نفسه وجهًا لوجه أمام الحصان الخشبى.

توقَّف جيم فجأة، واندهش لرؤية حصان خشبى أمامه. توقف الحصان الخشبى أيضًا فى اللحظة نفسها، وحدَّق فيه بعينين جاحظتين، كانتا مجرد عقدتين خشبيتين تبرزان من كتلة خشبية. أرجل الحصان الخشبى أربع عِصِىّ مثبتة فى جذع شجرة خشبى تقوم مقام جسده، وذيله مجرد غصن صغير مثبت فى نهاية الجذع بإهمال، وفمه مجرد قطع فى النهاية الأخرى من الجذع الخشبى لجسده، والتى ظهرت كأنها رأس الحصان. نهايات أرجل الحصان مغطاة بطبقة من صفائح الذهب. وعلى ظهر الحصان سرج خاص بالأميرة أوزما مصنوع من الجلد الناعم الأحمر، مرصَّع بقطع الماس البراقة.

جحظت عينا جيم وهو يحدِّق فى الحصان الخشبى، ونظر إلى هذا المخلوق بأذنين منتصبتين، وأرجع رأسه إلى الوراء بعنقه الطويل حتى ظهره المقوس. بدا المشهد مضحكًا عندما دار الحصانان كلاهما حول الآخر ببطء لفترة، فكل منهما غير قادر على إدراك ما هذا الشىء الذى يراه للمرة الأولى.

هتف جيم: "يا إلهى، أى نوع من المخلوقات أنت؟"

رد: "أنا حصان خشبى!"

قال جيم: "أوه، أعتقد أنى سمعت بك، ولكنك لا تشبه أى شىء خطر على بالى".

قال الحصان الخشبى بفخر: "أنا لا أشك فى هذا، فأنا أعتبر نفسى مخلوقًا غير عادى".

قال جيم: "نعم، بالطبع، لكن كتلة خشبية مثلك ليس لها الحق فى الحياة!"

قال الحصان الخشبى: "ما باليد حيلة، أوزما نثرت علىّ مسحوقًا سحريًّا، وصرت حيًّا، أنا أعلم أنى لست ذا قيمة كبيرة، ولكنى الحصان الوحيد فى أرض أوز، لذا يعاملوننى باحترام كبير".

قال جيم باستنكار: "أنت! حصان!"

قال الحصان الخشبى: "أوه، بالطبع لست حصانًا حقيقيًّا. لكن لا توجد أحصنة حقيقية هنا. وأنا تقليد رائع لحصان".

أطلق جيم تنهيدة ساخطة وصاح: "انظر إلىّ، انظر إلى الحصان الحقيقىّ".

تطلَّع إليه الحيوان الخشبى وتفحَّصه عن قرب وقال: "هل من الممكن أن تكون حصانًا حقيقيًّا؟"

رد جيم: "غير ممكن! أنا حقيقى فعلاً!" وأكمل مستمتعًا بالانطباع الذى أحدثه: "انظر إلى تفاصيلى الرائعة! على سبيل المثال، انظر إلى الشعر الطويل فى ذيلى الذى أهشُّ به الذباب".

قال الحصان الخشبى: "الذباب لا يسبب لى أى مضايقة".

أكمل جيم: "وانظر إلى أسنانى الكبيرة القوية، التى أطحن بها العشب".

قال الحصان الخشبى: "أنا لا آكل".

فأكمل جيم: "ولاحظ صدرى العريض، الذى يتيح لى التنفس بعمق".

قال الحصان الخشبى: "أنا لا أحتاج للتنفس".

قال جيم بشفقة: "أنت تفتقد كثيرًا من الملذَّات يا صديقى، أنت لا تعرف الراحة بعد أن تهشَّ الذباب الذى يضايقك، ولا فرحة تناول الطعام اللذيذ، أو الرضا من استنشاق نفس طويل من الهواء النقى. قد تكون تقليدًا لحصان، ولكنك تقليد بائس".



تنهَّد الحصان الخشبى وقال: "أوه، أنا لا أطمح إلى مكانتك، ولكنى أخيرًا سعيدٌ لمقابلة حصان حقيقى، فأنت بالتأكيد أجمل مخلوق رأيته!"

انتشى جيم بهذا المديح على الفور، فوصفه بالجميل هو ألطف شيء حدث له، فقال: "قدرك المحتوم يا صديقى، إنك مصنوعٌ من الخشب، وأعتقد أنك لا حيلة لك فى ذلك. ولكن الحصان الحقيقى، مثلى، مصنوع من اللحم والعظام والدماء".

قال الحصان الخشبى: "أستطيع رؤية العظام، وهى رائعة ومتميزة، وأيضًا أرى اللحم. ولكن الدماء، أعتقد أنها مدسوسة فى الداخل".

قال جيم: "بالضبط".

سأل الحصان الخشبى: "وما فائدتها؟"

لم يعرف جيم الإجابة، ولكنه لم يقُل له إنه لا يعرف، فقال: "لو جرحنى سيء، تجرى الدماء من الجروح لتُظهِر مكان الجرح. أيها المسكين، أنت حتى لا تستطيع النزيف عندما يجرحك شيء".

قال الحصان الخشبى: "ولكنى لا أتعرض للضرر أبدًا، يمكن أن أتعرض للكسر فى بعض الأحيان، ولكنى سهل الإصلاح، وأعود فى حالة جيدة ثانية، ولا أحتاج إلى الراحة، ولا أصاب بمشقة على الإطلاق".

كاد جيم يشعر بالحسد تجاه هذا المخلوق لعدم شعوره بالألم، ولكن الحصان الخشبى كان غير طبيعى لدرجة أن جيم لم يتمنَّ أن يكون مثله.

سأل جيم: "ماذا حدث لك لترتدى هذه الصفائح الذهبية فى أقدامك؟"

قال الحصان الخشبى: "الأميرة أوزما هى التى فعلت ذلك، لتحمى قدمى من التلف، لقد خضنا مغامرات رائعة معًا، وهى تحبنى".

كان جيم على وشك الرد، لكن حدث أمر فجأة، فصهل عاليًا من الفزع، وارتجف كأنه ورقة شجرة. فمن وراء ركن القصر ظهر وحشان

هائلا الحجم، يمشيان بهدوء وخفة حتى ظهرا أمامه قبل أن يدرك وجودهما. وعلى الفور شرع في الهروب والفرار منهما، حينما هتف فيه الحصان الخشبي: "قف يا صديق، انتظر، أيها الحصان الحقيقي، إنهم أصدقائي، ولن يؤذوك".

تردَّد جيم وتطلَّع إلى الوحشين بخوف، كان أحدهما أسدًا هائلاً بعينين صافيتين وذكيتين، ولبدة صفراء معتنى بها، وجسد مثل القطيفة الذهبية. والآخر كان نمرًا مخططًا بشرائطٍ أرجوانية على جسده، غضلاته قوية، وعيناه مثل الجمر المشتعل. كان الحجم الهائل لملوك الغابة والأدغال يكفي لبثِّ الرعب في أقوى القلوب، فليس عجيبًا أن يخشى جيم مواجهتهما.

ولكن الحصان الخشبي قام بمهمة التعريف بصوت هادئ وقال: "هذا، يا صديقي النبيل، هو صديقي الأسد الخوَّاف، ملك الغابة الباسل، وهو في الوقت نفسه تابع مخلص للأميرة أوزما. وهذا هو النمر الجوعان، مرعب الأدغال، الذي كان يفترس الأطفال البُدناء، ولكن ضميره منعه من ذلك. هذان الوحاش الملكيان صديقان مقربان للفتاة الصغيرة دورثي، وحضرا هذا الصباح إلى مدينة الزمرد للترحيب بها في أرض أوز".

هذه الكلمات ساعدت جيم في التغلُّب على ذعره، فانحنى بأكبر قدرٍ من الكرامة تجاه الوحشين، اللذين ردّا التحية بإيماءة خفيفة ودية.

قال الحصان الخشبي بإعجاب: "أليس الحصان الحقيقي هو أجمل حيوان؟"

رد الأسد: "دون شك هذه مسألة أذواق، في الغابة يُعتبر بشعًا للغاية، فوجهه ممدود ورقبته طويلة بلا فائدة. لاحظت أيضًا أن مفاصله منتفخة ومتضخمة، كما أنه يفتقر إلى اللحم والعضلات، وهو كبير في السن".

أضاف النمر الجوعان بصوتٍ حزين: "كما أن لحمه قاسٍ وعجوز، ضميري لن يسمح لي بأكل لحم حصان حقيقي عجوز".

قال جيم: "أنا مسرور بهذا، فأنا أيضًا لدى ضمير، وهو يخبرنى ألا أسحق جمجمتك برفسة من حوافرى القوية".

إذا ظن جيم أنه يخيف الوحش بهذه اللهجة والكلمات، فهو بالتأكيد مخطئ. فالنمر ابتسم وغمز بعينٍ واحدةٍ وقال: "لديك ضمير طيب، يا صديقى الحصان، وإذا سمعت نصيحته فستحمى نفسك من أذى كبير. يومًا ما سأدعك تحاول سحق جمجمتى، وبعدها ستعرف عن النمر أكثر مما تعرف الآن".

حاول الأسد تلطيف الجو فقال: "كل صديق للفتاة الصغيرة دورثى هو صديقٌ لنا. لذا دعنا من الكلام عن سحق الجماجم، ولنتحدث عن موضوعاتٍ مبهجة. هل تناولتَ فطورك يا أستاذ حصان حقيقى؟"

رد جيم: "ليس بعد، ولكنى أرى مساحات ممتازة من العشب هناك، فإذا سمحتم، أستأذنكم لأذهب وأتناول قليلاً من العشب للإفطار".

وذهب الحصان إلى العشب فقال النمر: "إنه نباتى، لو كنت أستطيع أكل العشب مثله، لن أكون بحاجة إلى ضمير، فلن يوجد شىء يغرينى فى أكل الأطفال والحملان!"

ظهرت دورثى التى استيقظت مبكرًا وسمعت أصوات الحيوانات، فجرت إليهم لترحب بأصدقائها القدامى، واحتضنت الأسد والنمر بلهفة وفرحة، ولكن يبدو أنها تحب ملك الحيوانات أكثر قليلاً من النمر، فهى تعرفه منذ مدة أطول.

بمرور الوقت، انهمكوا فى حديث ودِّى، وأخبرتهم دورثى عن الزلزال المُهلِك والمغامرات التى خاضوها. رنَّ جرس الإفطار فى القصر، فذهبت الفتاة لتنضم إلى رفقائها من البشر. وفور أن دخلت القاعة الكبيرة للقصر سمعت صوتًا أجشَّ يناديها: "أنتِ، هل أنتِ هنا ثانية؟" فأجابت وهى تنظر حولها لترى مصدر الصوت: "نعم، أنا هنا!"

صاح الصوت بسؤالٍ ثانٍ: "ما الذى أتى بك ثانية؟" ولاحظت دورثى أن الصوت يصدر من رأس معلق على الحائط فوق المدفأة، فقد شاهدت شفتيه تتحركان، فصاحت: "يا إلهى! لقد ظننت أنك محنط!"

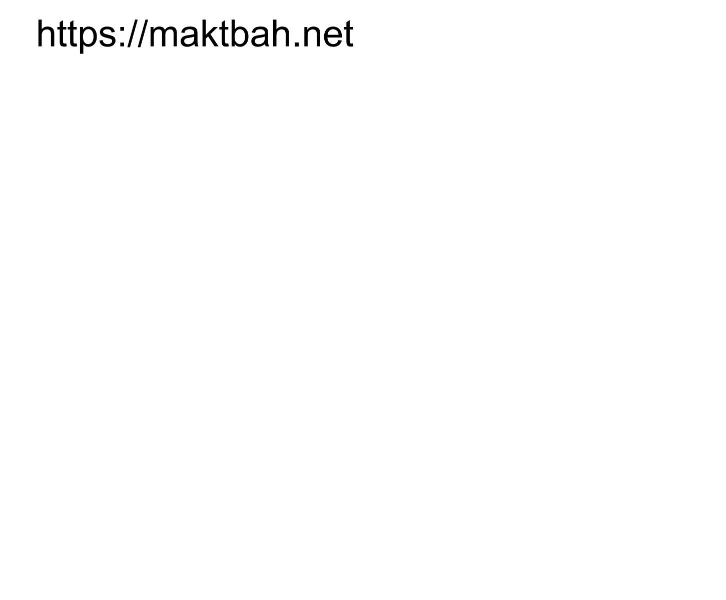
أجابها الرأس: "نعم، أنا كذلك. لكن فى وقت ما كنت جزءًا من جامب، ونثرت أوزما علىّ مسحوق الحياة. كانت هناك أيام كنت فيها رأس أروع ماكينة طيران ظهرت على الأرض. وقمنا بكثير من المغامرات المدهشة، بعد ذلك تفككت هذه الماكينة وعاد الرأس على الحائط فوق المدفأة. ولكنى ما زلت أستطيع الكلام عندما أكون فى مزاجٍ جيد، وهو ما لا يحدث كثيرًا!"

قالت الفتاة: "يا للغرابة! أين كنتَ عندما كنت حيًّا فى المرة الأولى؟"

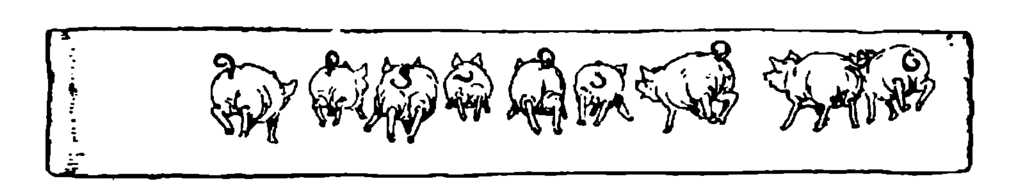
أجاب رأس الجامب: "لقد نسيت، ولا أعتقد أنه شيء له أهمية، ولكن ها هى أوزما قادمة، ويُفضِّل أن أصمت، فالأميرة لا تحب أن أثرثر كثيرًا مع الضيوف منذ أن غيرت اسمها من تيب إلى أوزما".

وفور أن انتهى من كلامه، فتحت الأميرة أوزما الباب ورحَّبت بالفتاة بقبلة الصباح على خدها، وبدا أن الأميرة منتعشة ومتفتحة وفى مزاج جيد، فقالت: "الفطور جاهز يا عزيزتى، هيا فأنا جوعانة، لا تجعلينى أنتظر دقيقة أخرى".





الفصل السابع عشر



الخنازير التسع الصغيرة

بعد الفطار، أعلنت أوزما أنها أمرت بأن يكون اليوم هو إجازة في كل أنحاء مدينة الزمرد تكريمًا للزوار. وعرف شعب مدينة الزمرد أن ساحرهم السابق العجوز رجع لهم، وهم متلهفين لمقابلته ثانية، فهو دائمًا ما كان ساحرهم المفضل. في بداية اليوم سار موكب كبير في الشوارع، بعد ذلك طُلب من الساحر القيام ببعض الأعمال السحرية في قاعة العرش في القصر.

كان الموكب مهيبًا، تقدمت الفرقة الموسيقية الإمبراطورية أرض أوز، ويرتون زيًّا موحدًا من المخمل الزمردي مزين بشرائط ساتان أخضر زرعي مرصع بأزرارٍ من قطع الزمرد، ويعزفوا النشيد الوطني لأوز المسمى (راية أوز الخفاقة) وسار خلفهم حاملو الرايات يرفعون العلم الملكي، المقسم أربع أقسام؛ قسم لونه أزرق سماوي والثاني لونه وردي والثالث لونه لافندر والرابع لونه أبيض، وفى المنتصف نجمة كبيرة بلون أخضر زمردي، والعلم بأكمله مزين بخيوط متلألأ تلمع تحت

أشعة الشمس الباهرة. الألوان الأربعة تمثل المقاطعات الأربعة في أوز والنجمة تمثل مدينة الزمرد.

خلف حمله الرايات، مرت الأميرة أوزما في الكارتة الملكية المذهبة والمرصعة بالزمرد والماس في تصميمات مبهرة، يجرها النمر الجعان والأسد الخواف، يرتدون أوسمة وردية وزرقاء. كانت دورثي تجلس بجانب أوزما في العربة وتلبس الحزام السحري التي استولت عليه من ملك النووم.

ركب خيال المآتة الحصان الخشبي وتبع الكارتة الملكية في الموكب المهيب. هلل الناس في الشوارع له تقريبا بنفس القدر الذى هللوا به للحاكمة الملكية. وسار خلفه الرجل الميكانيكي تيكتوك، فقد شحنت دورثي الماكينة التي يعمل بها لهذه المناسبة خصيصًا. تيكتوك مصنوع بالكامل من النحاس المصقول وهو بلا نفع إلا في الأراضي الخيالية، لذا تركته دورثي في عهدة أوزما لتعتني به في غيابها. سار خلفهم فرقة موسيقية أخرى تسمى (فرقة البلاط الملكى) يرتدون زى موحد أبيض مزين بأزرارٍ من الماس ويعزفون أغنية (ماذا حدث لأرض أوز بدون أوزما؟) بكل عذوبة.

بعدهم تقدم البروفيسور ووجى بق على رأس مجموعة من الشباب من كلية الفنون والتفوق الرياضي الملكية، يرتدون قبعات طويلة وسترات مخططة، ويصيحون باسم جامعتهم كل خطوة يخطونها، مما يرضي الجماهير، التي كانت ترى أن هذا دليل جيد على صحتهم البدنية.

سار الحطاب الصفيح المصقول ببراعة في مقدمة الجيش الملكي لأرض أوز والمكون من ثمانية وعشرين ضابطًا، من أول الجنيرالات إلى الكباتن، ولم يكن هناك جندي واحد في الجيش، فهم كلهم شجعان ومهرة لدرجة أن تم ترقيتهم إلى رتب أعلى ولم يتبقى أى جنود. تبعهم جيم يجر عربة الحنطور ويقودها ذيب ووقف الساحر على المقعد الخلفي يحيى الجماهير، التي التفت بكثافة حوله.

الموكب كله نجح نجاح ساحق، فعندما رجع إلى القصر الملكي، ازدحم المواطنون في قاعة العرش الملكي ليشاهدوا الخدع السحرية التي يقوم بها الساحر.

قام الساحر بعمل خدعة التسع خنازير الصغار، مما أدهش الجماهير التي لم ترى مثل تلك المخلوقات الصغيرة أبدًا. وعندما جعل التسع خنازير تختفي ثانية في جيبه، أعربت الأميرة أوزما عن أسفها أنهم اختفوا، فهي تريد واحد منهم ليكون حيوانها الأليف وتلعب به. فقام الساحر بخدعة أن أخرج لها واحدًا من شعر الأميرة (في الحقيقة هو أخرجه من كم الجاكت). ابتسمت بفرحٍ حينما استقر المخلوق الصغير بين ذراعيها، ووعدت أنها ستصنع طوقًا من الزمرد للعنق السمين للخنزير الصغير، والحفاظ عليه دائمًا في متناول يدها ليسليها. قد تلاحظ أن الساحر أصبح يقوم بخدعته الشهيرة بثمانية خنازير صغيرة فقط، ولكنه مازال قادرًا على إمتاعهم بها رغم ذلك.

عندما استقر الساحر في الغرفة الصغيرة خلف قاعة العرش وجد جميع الأشياء التي تركها قبل سفره بالبالون، فلم يسكنها أحد في غيابه، كان فيها مواد كافية تمكنه من القيام بخدعٍ سحرية جديدة والتي تعلمها من البهلوانات في السيرك. لذلك قضى طوال الليل ليجعلها جاهزة للتقديم. ففي قاعة العرش، بعدما قدم خدعته الشهيرة، قدم عدة خدع أخرى أسعدت الجماهير، التي لم تهتم إذا كان الساحر مجرد محتال أم لا، طالما نجح في تسليتهم. فقد صفقوا بحرارة بعد كل خدعة وفى نهاية العرض رجوه بكل أمانه ألا يذهب بعيدًا مرة ثانية.

قال الساحر بجدية شديدة: "في هذه الحالة، سألغي كل ارتباطاتي التي رتبتها للسفر إلى أميركا وأوروبا، وأكرس نفسي لشعب أوز، فأنا أحبكم كلكم لدرجة أن لن أبخل عليكم بشيء"

بعدما انصرف الحضور بهذا الوعد، انضم الأصدقاء إلى الأميرة أوزما لتناول الغذاء في قاعة القصر الكبرى، حضر الأسد والنمر هذه

المأدبة وتم إطعامهم بسخاء وكذلك الحصان جيم الذي تناول الشوفان في وعاءٍ ذهبي مزين بسبع صفوف من الياقوت والزفير والماس على الحواف.

بعد الظهيرة، ذهب الجميع إلى ميدان كبير خارج المدينة حيث تقام المسابقات والألعاب. وجلست أوزما مع ضيوفها تحت مظلة جميلة ليشاهدوا المتسابقين يتصارعون ويقفزون ويركضون. وكافة المشاركين من جميع أنحاء أرض أوز بذلوا قصارى جهدهم للفوز بالمسابقات المختلفة. أخيرًا عرض ذيب لمصارعة أحد الموشكيين الذى بدا أنه بطل من تلك البلاد، من المظهر الخارجي، فهذا الموشكين يبلغ ضعف عمر ذيب، فهو يرتدى قبعة مدببة وله شارب عريض، وعلى الرغم من أن طوله بالكاد يصل إلى كتف ذيب، إلا أنه كان ذكيًّا وقويًّا، فاستطاع طرح الصبي أرضًا ثلاث مرات بكل سهولة.

أصاب ذيب الذهول من هزيمته أمام الموشكيين، وحينما ضحكت الأميرة الجميلة مع الضيوف عليه، عرض خوض مباراة ملاكمة معه، فوافق الموشكيين. في بداية المباراة سدد ذيب ضربة قوية أصابت أذنه، فوقع على الأرض وبكى حتى نزلت الدموع على شاربه العريض، فتلك الضربة أوجعته. ضحك ذيب على منظره، وشعر الصبي بالارتياح لأن الأميرة ضحكت على المباراة التي انتهت لصالحه.

بعدها اقترح خيال المآتة سباق بين الحصان الخشبي وحصان الجر جيم، وعلى الرغم من أن الحضور أثنوا على هذا الاقتراح ولكن الحصان الخشبي تراجع وقال: "مثل هذا السباق لن يكون عادلا!"

فرد جيم بنبرة سخرية: "بالطبع لن يكون عادل، هذه السيقان الخشبية هي نصف طول ساقي"

قال الحصان الخشبي بتواضع: "الأمر ليس كذلك، أنا لا أتعب أبدا ولكنك تشعر بالتعب والإرهاق"

نظـر جيـم بترفـعٍ إليـه وصـاح: "أهـا، هـل تتخيـل للحظـة أن مجـرد تقليـد ردئ لحصـان مثلـك ممكـن يتغلـب عـلي في السـباق؟" رد الحصـان الخشـبي بثقـة: "أنـا لا أتخيـل! أنـا واثـق مـن هـذا!"

قـال خيـال المآتـة: "وهـذا مـا نحـاول أن نعرفـه بالسـباق بينكـم! فهـدف السـباق هـو معرفـة مَـن فيكـم سـيفوز! أو عـلى الأقـل مـا يظنـه عقـلي الألمعـي؟"

قـال جيـم: "عندمـا كنـت شـابًا، كنـت حصـان سـبق، وهزمـت كل مـن جـرؤ عـلى أن يتحـداني. لقـد ولـدت في كنتـاكي، فأنـت بالتأكيـد تعـرف، أنهـا أفضـل مـكان لتنشـئة وتدريـب الخيـول" أشـار ذيـب إلى ملحوظـة هامـة وقـال: "لكنـك عجـوز الآن يـا جيـمّ"

رد جيـم: " عجـوز! لسـت عجـوزًا! فأنـا أشـعر بحيويـة مُهـر صغـير اليـوم، فـكل مـا أتمنـاه أن يكـون هنـاك حصـان حقيقـي هنـا لـكي أتغلـب عليـه في السـباق، بالتأكيـد سـأحصد إعجـاب الجمهـور، أنـا واثـقٌ ممـا أقـول"

فسـأل خيـال المآتـة: "إذا لمـاذا لا تدخـل في سـباق مـع الحصـان الخشـبي؟" قـال جيـم: "هـو خائـف"

أجـاب الحصـان الخشـبي: "أوه، لا، كل مـا قلتـه أنـه لـن يكـون سـباق منصـف، ولكـن لـو صديقـي الحصـان الحقيقـي وافـق عـلى خـوض السـباق معـي، فأنـا مسـتعد"

ففـك جيـم عـن عربـة الحنطـور ونـزع الـسرج مـع عـلى الحصـان الخشـبي، ووقـف الحيوانـان الغـير متكافئـان بجانـب بعـض عـلى خـط البدايـة في السـباق. ووقـف ذيـب عـلى مقربـة وصـاح: "عندمـا أقـول (انطلـق) فيجـب أن تنطلقـا في سـباق حـتى تصلـوا إلى تلـك الثـلاث شـجرات الذيـن تروهـم هنـاك، وتلتفـوا حولهـم وتعـودا مـرة ثانيـة. الأول فيكـم الـذى يعـبر المـكان الـذى تجلـس فيـه الأمـيرة سـيكون الفائـز، هـل أنتـم مسـتعدون؟"

دمدم جيم: "أعتقد أنى سأترك بداية السبق لهذه اللعبة الخشبية"

قال الحصان الخشبي: "لا تشغل بالك بي، سأقوم بأفضل ما عندي"

هتف ذيب: (انطلق) وعلى الفور قفز الحصانان للأمام، وبدأ السباق. مكنت حوافر جيم الكبيرة من اجتياز مساحات واسعة بتسارع عالي، فقد بدا رشيقًا للغاية بطريقة تعيد له أمجاد نسبة العريق لمقاطعه كنتاكي. ولكن الحصان الخشبي كان أسرع من الرياح، فتحركت أرجله الخشبية بسرعة هائلة لدرجة أنك لا تلمح وميضها. وبالرغم أنه أصغر حجمًا من الحصان الحقيقي، لكنه قطع مسافات أكبر منه. وقبل وصولهم إلى الأشجار، كان الحصان الخشبي متقدمًا وعاد الحيوان الخشبي إلى خط البداية، حيث هتف وهلل له مواطني أوز وعبر المظلة التي تجلس فيها الأميرة، بينما وصل جيم يلهث من التعب بعده بفترة.

أنا آسف أنى أكتب حقيقة واقعة مؤسفة فعلها جيم، التى لم تكن الخجلان من الهزيمة، ولكنه للحظة فقد أعصابه. فعندما رأى الوجه الهزلي المنحوت للحصان الخشبي، ظن أنه يضحك عليه ويسخر منه. ففي لحظة من الغضب الغير مسؤول رفع قدميه الخلفيتين ورفسه بضربة عنيفة، فألقت به يتخبط رأسًا على عقب على الأرض. ونتج عن تلك الضربة كسر فى أحد ساقيه وفقدان أذنه اليسرى.

في اللحظة التالية، هجم النمر وقفز بجسده الهائل في الهواء بخفة كأنه طلقة مدفع. وانقض على جيم مباشرة على كتفه وأرسل الحيوان المذهول يتدحرج في عفرة الأرض. عندما أفاق جيم من صدمة الهجوم، وجلس على ردفيه، وجد الأسد الخواف يرابط على جانب والنمر الجعان يرابط على جانبه الآخر، وعيونهم تطق نار كالجمر.

قال جيم بخنوع: "أنا آسف، أرجوكم أقبلوا أسفي، لقد أخطأت بركل الحصان الخشبي، فقد كانت لحظة غضب. لقد كسب السباق وكسبه بالإنصاف. ولكن ماذا يستطيع حصان مصنوع من اللحم أن يفعل أمام وحش لا يتعب مصنوع من الخشب"



حينما سمعوا هذا الاعتذار، توقف الأسد والنمر من تحريك ذيولهم وتراجعوا بخطوات كريمة بجانب الأميرة، وزمجر النمر قائلا: "لا أحد يمس أصدقائنا بضرر في وجودنا" بينما أسرع ذيب إلى جيم وهمس في أذنه أنه لو لم يتحكم في أعصابه بعد ذلك، فعلى الأغلب سيقطعونه إربًا.

قطع الحطاب الصفيح جزع شجرة مستقيم وقوي بفأسه اللامعة وصنع رجلا وأذن جديدة للحصان الخشبي، وعندما تم تثبيتهم بأمان في الحصان الخشبي، تناولت الأميرة أوزما أكليل ووضعته على رأس الفائز في السباق وقالت: "يا صديقي، أكافئك على سرعتك وأرقيك إلى أن تكون أمير الخيول، سواء كانت من الخشب أو اللحم، وعلى كل الخيول- في أرض أوز على الأقل- أن تُعتبر تقليد لك، فأنت البطل الحقيقي في هذا السباق"

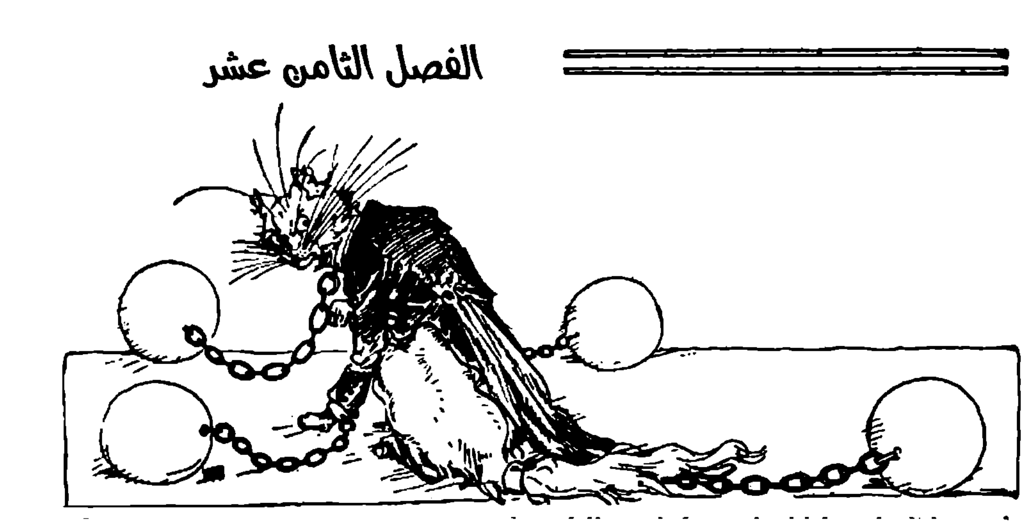
صفق مواطني أوز كلهم على تكريم الأميرة للحصان الخشبي، ووضعت الأميرة بنفسها سرج مرصع بالجواهر عليه وركبته وعادت إلى المدينة على رأس موكب كبير.

غمغم جيم وهو يجر عربة الحنطور إلى القصر: "بدون شك نحن نعيش في أرض خيالية! فكونك حصان عادي في أرضٍ خيالية ليس له أي وزن على الإطلاق، ليس هذا مكان مناسب لنا يا ذيب" قال الصبي: "نحن محظوظين للوصول لنا، بالرغم من كل شيء"

وتذكر جيم الأهوال التي لاقوها في الكهف الأسود ووافق ذيب على أنهم محظوظني حقا.



الفصل الثامن عشر



محاكمة إريكا

مـرَّت أيـام مـن الاحتفـالات أدخلـت البهجـة عـلى قلـوب الأصدقـاء القدامى، فهـم لا يلتقـون كثـيرًا، وهنـاك الكثـير مـن الأحاديـث والذكريـات ليتكلمـوا فيهـا، كمـا يسـتمتعون بكثـير مـن الملاهـى فى هـذا البلـد المبهـج. كانـت أوزمـا سـعيدة بوجـود دورثى بجانبهـا، فلـم تكـن هنـاك فتيـات كثيرات فى سـن الأمـيرة لتصاحبهـم ، وللأسـف كانـت الأمـيرة الشـابة تشـعر بالوحـدة.

فى الصبـاح الثالـث مـن وصـول دورثى إلى أرض أوز، كانـت أوزمـا تجلـس بجانـب أصدقائهـا فى قاعـة الاسـتقبال، يتسـامرون حـول مغامراتهـم السـابقة، فاسـتدعت وصيفتهـا وقالـت لهـا: "يـا جوليـا، اذهـبى إلى غرفـة نومـى، وأحـضرى لى الخنزيـر الصغـير الأبيـض مـن فـوق الكوميدينـو. فأنـا أريـد أن ألعـب بـه".

غـادرت جوليـا لتنفيـذ أمـر الأمـيرة، وغابـت طويـلاً لدرجـة أنهـم نسـوا مهمتهـا، حـتى عـادت الوصيفـة الخـضراء بوجـه متجهِّـم وقالـت: "الخنزيـر الصغـير ليـس هنـاك يـا سـمو الأمـيرة!"

اندهشت أوزما وقالت: "ليس هناك! هل أنتِ متأكدة؟"

ردَّت الوصيفة: "لقد بحثت عنه جيدًا في كل أنحاء الغرفة".

سألت الأميرة: "ألم يكن باب الغرفة مغلقًا؟"

أجابت الوصيفة: "بلى يا سمو الأميرة، أنا متأكدة من أنه كان مغلقًا، لأني عندما فتحت الباب، خرجت قطة دورثي الصغيرة وجرت على السلالم".

بسماع هذا الحوار، تبادل الساحر ودورثي نظرات قلقة، وتذكرا حديث إريكا عن مدى رغبتها في أكل واحد من الخنازير الصغيرة. فانتفضت دورثي وقالت بقلق: "تعالي يا أوزما، تعالي نبحث بنفسينا عن هذا الخنزير الصغير!" فذهبت كلتاهما إلى غرفة نوم الأميرة، وبحثتا بحرص وعناية في كل ركن منها، وفي المزهريات والسلال وبين التحف وتحت السرير نفسه، لكن لا أثر له على الإطلاق.

دورثي كادت تبكي، وكانت أوزما غاضبة وساخطة، وعندما رجعت للأصدقاء في قاعة الاستقبال، قالت: "هناك قليل من الشك في أن تلك القطة المرعبة أكلت خنزيري الصغير، وإن ثبتت عليها هذه التهمة، يجب أن تُعاقب". فصاحت دورثي: "أنا لا أصدق أن إريكا قد تفعل هذه الفعلة الرهيبة!" وأضافت بلوعة: "اذهبي يا جوليا إذا سمحتِ وأحضري قطتي الصغيرة، لنسمع ماذا تقول لتدافع عن نفسها".

أسرعت الوصيفة الخضراء، ولكنها عادت من دون القطة وقالت: "إريكا ترفض الحضور، وهددتني بخمش عيني إن اقتربت منها!" سألتها دورثي: "أين هي؟" فردت: "تحت السرير في غرفتك"، فذهبت إلى غرفتها ووجدت إريكا تحت السرير.

قالت دورثي لقطتها: "تعالي هنا يا إريكا".

أجابت بكل عناد: "لا!"

قالت دورثي: "لماذا تسيئين التصرف يا إريكا؟"

لـم تـرد القطـة الصغـيرة، فقالـت دورثى مهـددة: "إن لـم تـأتى إلى هنـا حـالاً سأستخدم حزامـى السـحرى، وأتمنـى أن تذهـبى إلى أرض الجرغولـس".

انزعجت أريكا من هذا التهديد وسألت: "ماذا تريدين؟"

قالـت دورثى: "يجـب أن تذهـبى إلى الأمـيرة أوزمـا، إنهـا تريـد الحديـث معـك".

زحفـت إريـكا خارجـة وقالـت: "حـاضر، أنـا لا أخـاف مـن أوزمـا أو أى شـخص!"

حملـت دورثى قطتهـا بـين ذراعيهـا وعـادت إلى مجلـس الأصدقـاء فى قاعـة الاستقبال.

سـألتها الأمـيرة بـكل لطـف: "أخبريـنى يـا إريـكا، هـل أكلـتِ خنزيـرى الصغـير؟"

أصـدرت إريـكا مـواءً خفيفًـا وقالـت: "لـن أجيـب عـلى هـذا السـؤال السـخيف!"

قالــت دورثى: "أوه، عليـك إجابـة هــذا السـؤال، فالخنزيـر الصغــير اختفـى، وأنـتِ خرجـتِ مـن البـاب عندمـا فتحتـه جوليا. إذا كنـتِ بريئـة يـا إريـكا فعليـك أن تخـبرى الأمـيرة لمـاذا كنـتِ فى غرفـة نومهـا، ومـاذا حـدث لخنزيرهـا الصغـير؟"

قالت إريكا بتحدٍّ: "مَن يتهمنى؟"

أجابـت الأمـيرة: "لا أحـد يتهمـك، أفعالـك فقـط هـى الـتى تتهمـك. لقـد تركـت حيـوانى الأليـف الصغـير فى غرفـة نومـى، وأنـت تسـللت إلى هنـاك دون إذنى، وعندمـا فُتـح البـاب جريـتِ خارجـة، واختبـأتِ منـا. وخنزيـرى الصغـير اختفى!"

زمجرت إريكا وقالت: "هذا ليس من شأنى، ليس لى دخل!"

عاتبتها دورثى قائلة: "لا تكونى وقحة يا إريكا!"

قالـت القطـة: "أنـتِ الـتى تتـصرف بوقاحـة، فكيـف تتهميـنـى بجريمـة لا تسـتطيعين إثباتهـا إلا بالتخمـين؟"

الآن صـارت أوزمـا شـديدة السـخط عـلى سـلوك إريـكا، وعـلى الفـور استدعت الجـنرال العـام، وعندمـا حـضر، قالـت لـه: "خـذ هـذه القطـة إلى السـجن، واحبسـها حـتى نحاكمها بتهمـة جريمـة القتـل بموجـب القانـون!" فأخـذ الجـنرال العـام القطـة مـن بـين أحضـان دورثى الـتى بكـت، وعـلى الرغـم مـن الخمـش والخـدش، حملهـا إلى السـجن.

سـأل خيـال المآتـة متنهـدًا: "والآن مـاذا نفعـل؟" فتلـك الجريمـة ألقـت بظـلال الكآبـة عـلى الصحبـة.

ردت أوزمـا: "سـأعقد محكمـة فى قاعـة العـرش السـاعة الثالثـة، أنـا نفـسى سـأكون قاضيـة، وسـأحرص عـلى إجـراء محاكمـة عادلـة لهـا".

سألت دورثى: "وماذا سيحدث إن وجدناها مذنبة؟"

أجابت الأميرة: "يجب أن تموت".

استفسر خيال المآتة: "تسع مرات!"

قالـت الأمـيرة: "بقـدر مـا هـو ضرورى، سـأطلب مـن الحطّـاب الصفيـح أن يدافـع عـن السـجينة، فهـو لديـه قلـب طيـب، وأنـا متأكـدة مـن أنـه سـيبذل أقـصى مـا فى وسـعه للدفـاع عنهـا، أمـا ووجـى بـق فسـيكون النائـب العـام، فهـو متعلـم ولا يسـتطيع أحـد خداعـه".

سأل الحطاب الصفيح: "مَن سيكون فى هيئة المحلفين؟"

قالـت أوزمـا: "يجـب أن تكـون هنـاك حيوانـات فى هيئـة التحكيـم، لأن الحيوانـات تفهـم بعضهـا أفضـل مـن فهـم البـشر لهـا، لـذا سـتتكون مـن الأسـد الخـواف، والنمـر الجوعـان، والحصـان جيـم، والدجاجـة بيلينـا، وخيـال المآتـة، والرجـل الميكانيـكى تيكتـوك، والحصـان الخشـبى، وذيـب مـن مراعـى هاجسـون، ليكونـوا تسـعة أعضـاء، وهـو ما ينـص عليـه القانون. كما ستكون المحاكمة علنية، يحضرها كل الناس".


(From the Wizard's latest photograph—
taken by the Royal Photographer of Oz.)

انصرفت الصحبة لتستعد للمحاكمة الحزينة، لأن أى نداء لتنفيذ القانون من المؤكد أن تتبعه نتيجة حزينة، حتى فى أرض خيالية مثل أرض أوز. ولكننا يجب أن نقر بحقيقة أن شعب أرض أوز مسالم ويتصرف دائمًا بشكل مؤدب، لدرجة أنه لا يوجد محامٍ بينهم. ومرت سنوات طويلة منذ أن اضطرَّ حاكم إلى عقد محاكمة لتنفيذ القانون. فجريمة القتل هى أكثر الجرائم بشاعة. وسادت حالة استنكار هائلة بين سكان مدينة الزمرد عندما ذاع خبر القبض على إريكا وعقد المحاكمة.

استغرق الساحر فى التفكير وهو يعود إلى غرفته، فليس لديه شك فى أن إريكا أكلت الخنزير الصغير، ولكنه أدرك أنه لا يمكن الاعتماد طوال الوقت على حسن تصرفها، فمن طبيعتها أن تفترس الحيوانات الصغيرة وحتى الطيور، والقطط الأليفة التى نحتفظ بها فى منازلنا، منحدرة من القطط المتوحشة فى الأدغال التى هى مخلوقات مفترسة بكل تأكيد. وأيضًا شعر الساحر بأن قطة دورثى الأليفة إن ثبتت إدانتها، وحُكم عليه بالإعدام، ستكون الفتاة الصغيرة حزينة جدًّا، ورغم أنه يشعر بالحزن على مصير الخنزير الصغير كبقية الأصحاب، قرر إنقاذ حياة إريكا.

أرسل الساحر يستدعى الحطاب الصفيح، وقال له سرًّا: "يا صديقى العزيز، أعرف أن من واجبك الدفاع عن القطة وتحاول إنقاذها، لكنى أخشى أنك ستفشل، لأن إريكا -بحسب ما أعرف- لطالما رغبت فى أكل الخنزير الصغير، ففى رأيى أنها لم تستطع مقاومة الإغراء، ورغم أنها مذنبة، فموتها لن يعيد الخنزير الصغير للحياة، ولكن موتها سيؤدى إلى حزن دورثى. لذا فأنا أنوى إثبات براءة إريكا بخدعة". وأخرج واحدًا من الخنازير الثمانية الصغيرة الباقية من جيبه وأكمل: "يجب أن تخبئ هذا المخلوق فى أكثر مكان آمن، وإن قررت هيئة المحلفين أن إريكا مذنبة، يجب أن نُظهر لهم هذا المخلوق الصغير وندَّعى أنه الخنزير الصغير المفقود، فكلهم له الشكل نفسه، ولن يجادل أحد كلامك، هذا التخطيط سينقذ حياة أريكا، وسيجعل الكل سعيدًا مرة أخرى".

رد الحطاب الصفيح: "أنا لا أحب خداع أصدقائى، ولكن قلبى الطيب يناشدنى لإنقاذ حياة إريكا، وأنا دائمًا ما أستمع إلى قلبى، فهو دائمًا يدلنى على الصواب، لذا سأفعل ما تقول يا صديقى الساحر".

وبعد قليل من التفكير، أخذ الخنزير الصغير ووضعه فى قبعته التى تشبه القمع، ووضعها ثانية على رأسه. وعاد إلى غرفته ليحضّر الخِطاب الذى سيلقيه أمام المحلفني دفاعًا عن إريكا.





الفصل التاسع عشر



الساحر يؤدى خدعة أخرى

فى تمام الساعة الثالثة، ازدحمت قاعة العرش بمواطنى مدينة الزمرد، رجالاً ونساء وأطفالاً، ملهوفين ليشهدوا وقائع المحاكمة. ارتدت الأميرة ملابس رسمية أنيقة، وجلست على العرش الزمردى الرائع، ممسكة فى قبضتها بصولجان مرصع بالجواهر، وعلى جبهتها يلمع إكليل فخم. خلف العرش وقف ثمانية وعشرون ضابطًا من جيش أوز، وبعض المسئولين المهمين فى البلاط الملكى. وإلى يمينها جلس أعضاء هيئة المحلفين مستعدين بانتباه لسماع ما سيقال. ووضِعت إريكا فى قفص حديدى كبير بالقرب من منصة العرش، وبدت القطة غير مهتمة بما يجرى حولها.

بدأت المحاكمة بإشارة من أوزما، فتقدَّم ووجى بق إلى منصَّة هيئة المحلفين، وهو يتبختر محاولاً أن يكون فخمًا، وقال:

"يا سعادة سمو الأميرة ومواطنى مدينة الزمرد، هذه القطة الصغيرة الماثلة أمامكم متهمة بجريمة قتل من الدرجة الأولى، فهى التهمت حيوان فخامة الأميرة الأليف، أو أكلته أولاً وبعد ذلك قتلته. فى كل الأحوال، هذه الجريمة التى لا تُغتفر يجب أن تُعاقب القطة عليها بأشد عقوبة".

قاطعته دورثى وسألت: "هل تعنى أن قطتى الأليفة يجب أن توضع فى قبر؟"

قال ووجى بق: "لا تقاطعينى أيتها الفتاة الصغيرة، فعندما أرتب أفكارى جيدًا، لا أحب أن يبعثرها أو يشوش عليها أى شىء".

قال خيال المآتة: "إن كانت أفكار جيدة وذات فائدة، فلن يشوش عليها أحد، فأفكارى دائمًا..."

قاطعه ووجى بق قائلاً: "هل هذه محاكمة للأفكار أم محاكمة للقطة الصغيرة؟"

ردَّ خيال المآتة: "إنها محاكمة القطة الصغيرة، ولكن سلوكك يؤثر فينا جميعًا".

صاحت أوزما من فوق عرشها: "فلندع النائب العام يكمل، وأرجوكم لا تقاطعوه".

استأنف ووجى بق: "المجرم الماثل أمامكم الذى يلعق مخالبه، له تاريخٌ طويلٌ فى الرغبة المتوحشة لالتهام الخنزير الصغير السمين، الذى لم يكن أكبر من فأرٍ صغير. وأخيرًا نفَّذت خطة شريرة لإشباع شهوتها المنحرفة فى أكل الخنزير، أستطيع أن أراها بعين عقلي[1]...

سأل خيال المآتة: "ماذا؟ ماذا تقول؟"

---

(1) ووجى بق يستخدم تعبير mind's eye وهو بجانب المعنى الحرفى (عين العقل) يعنى أيضًا (استخدام العقل لتصور المشاهد المتخيلة، أو الصورة الذهنية)

ردَّ خيال المآتة: "كنت أقول إنى أستطيع رؤيتها بعين عقلى".

قال خيال المآتة: "العقل ليس له أعين، فهو أعمى!"

توجه ووجى بق للأميرة وصاح: "يا فخامة الأميرة، هل أملك عينًا فى عقلى أم لا؟"

أجابت الأميرة: "لو كنت تملك عينًا فى عقلك، فهى غير مرئية".

قال ووجى بق: "صحيح جدًّا يا سموَّ الأميرة. كنت أقول إنى أرى المجرم بعين عقلى، يتسلل خلسة إلى غرفة نوم فخامة الأميرة أوزما، وأخفى نفسه، ولم ينتبه له أحد، حتى خرجت فخامة الأميرة وأغلقت الباب خلفها. هنا سنحت الفرصة للقاتل كى ينفرد بالضحية العاجزة، الخنزير السمين الصغير. أراها وقد انقضت على المخلوق البرىء وأكلت..."

قاطعه خيال المآتة مستفسرًا: "هل ما زلت ترى بعين عقلك؟"

قال ووجى بق: "بالطبع! بماذا سأرى إذًا؟ نحن نعلم أن تلك الحوادث حقيقية، فنحنى حتى وقائع هذه المحاكمة، لم نجد الخنزير الصغير فى أى مكان!"

قال خيال المآتة: "لو أن القطة الصغيرة اختفت، بدلاً من الخنزير الصغير، فعين عقلك يمكن أن ترى الخنزير يأكل القطة!"

أقرَّ ووجى بق بكلام خيال المآتة قائلاً: "احتمال كبير!" وأكمل: "الآن، يا زملائى المواطنين ويا هيئة المحلفين، أنا أصرُّ على أن هذه الجريمة الشنيعة تستحق الإعدام، وفى حالة هذا المخلوق المتوحِّش الماثل أمامكم، الذى يلعق مخالبه الآن، يجب أن ينفذ فيه حكم الإعدام تسع مرات".

صفَّق الجمهور تصفيقًا حادًّا حين انتهى المتحدث من خطابه، وعندما جلس قالت الأميرة بنبرة صارمة: "أيتها السجينة، ماذا لديكِ لتدافعى به عن نفسك؟ هل أنتِ مذنبة أم غير مذنبة؟"

ردَّت إريكا: "هذا ما تكتشفينه بنفسك من هذه المحاكمة. لو أثبتِّ أني مذنبة، فأنا على استعداد لتنفيذ العقوبة. لكن عين العقل ليست إثباتًا، لأن ووجى بق ليس لديه عقل ليرى به!"

وقف الحطاب الصفيح وقال: "هيئة المحلفين المحترمة والأميرة المحبوبة أوزما، أناشدكم أن تحكموا على هذا السجين الماكر بالرحمة، فلا أعتقد أن هذه القطة الصغيرة الساذجة يمكن أن تكون مذنبة، إريكا حيوان أليف لطيف لفتاة نحبها كلنا، الوداعة والبراءة من فضائلها الرئيسة. انظروا إلى عينيها (وهنا أغلقت إريكا عينيها)، انظروا إلى ملامحها المبتسمة (وهنا زمجرت وكشرت عن أسنانها)، انظروا إلى كفِّها الرقيقة الناعمة (وهنا كشفت إريكا عن مخالبها وخدشت بها قضبان القفص)، هل هذا المخلوق الوديع مذنب بالتهام مخلوق آخر؟ لا وألف لا.. أبدًا!"

قالت إريكا: "أوه، اختصر، لقد تكلمتَ كثيرًا، ادخل في الموضوع مباشرة".

احتجَّ الحطاب الصفيح قائلاً لها: "أنا أحاول الدفاع عنك!"

قالت القطة: "إذًا قل شيئًا معقولاً. قل لهم إني سأكون غبية لو التهمت الخنزير الصغير، لأني عاقلة بما يكفي لأعرف أن ذلك سيثير خلافًا، لكن لا تحاول أن تصوِّرني كالبريئة من التهام خنزير صغير بحجم فأر لمجرد أنكم لم تعثروا عليه، فأنا قد أفعل ذلك بكل سهولة، وأتصور أنه سيكون له مذاق شهي".

قال الحطاب الصفيح: "ربما، لهؤلاء الذين يأكلون. شخصيًّا، ليست لديّ خاصية تناول الطعام، ولا خبرة لي بمثل هذه الأمور، ولكني أتذكَّر بيت شعر لشاعرنا الكبير، يقول:

الأكل لذيذ
عندما يأتي الجوع
فهو يُرَغِّب في متعة
تناول لحم طيب

ضعوا هذا فى اعتباركم أيها المحلَّفون، لكى تستطيعوا تقرير مصير هذه القطة الصغيرة، ويجب أن يُطلق سراحها على الفور".

عندما انتهى الخطاب الصفيح من خطابه لم يصفق أحد من الحضور، فالحجج التى قالها لم تكن مقنعة، ولا أحد اعتقد أنها كافية لإثبات براءة إريكا. أما هيئة المحلَّفين، فقد تداول أعضاؤها الحديث الهامس لبضع دقائق، وبعدها عينوا النمر الجوعان متحدثًا باسمهم.

نهض النمر ببطء وقال: "القطة ليس لديها ضمير واعٍ، فبإمكانها أكل ما تشاء. تعتقد هيئة التحكيم أن القطة الصغيرة البيضاء المعروفة باسم إريكا مذنبة بالتهام الخنزير الصغير المملوك للأميرة أوزما، ويوصى بمعاقبتها بالموت جزاء لارتكابها هذه الجريمة".

نال حكم هيئة المحلفين تصفيقًا كبيرًا، رغم أن دورثى انهمرت فى البكاء. كادت الأميرة تأمر بقطع رأس إريكا ببلطة الحطاب الصفيح الحادة، عندما نهض وتوجَّه إليها وقال: "يا فخامة الأميرة، انظرى كيف من السهل على المحلفين أن يخطئوا. القطة الصغيرة لم تأكل خنزيرك الصغير، لأنه هنا معى". وخلع قبعته وأخرج منها خنزيرًا أبيض صغيرًا، وقدَّمه لها وأظهره للكل. فرحت أوزما وصاحت بلهفة: "أعطنى حيوانى الأليف". صفق الناس مبتهجين لأن السجين أفلت من الموت، وثبتت براءته.

قالت الأميرة وهى تحتضن الخنزير الصغير: "أطلقوا سراح إريكا من القفص، فلم تعد سجينة. لكن يا صديقنا العزيز أين وجدت حيوانى الأليف؟" رد: "فى غرفة نومك يا سمو الأميرة!"

تنهد خيال المآتة وقال: "العدالة، العدالة أمر خطير للتدخُّل فى طريقها، فلو لم نجد الخنزير الصغير، لكانت إريكا عوقبت بالإعدام".

قالت أوزما: "لكن العدالة وجدت طريقها فى النهاية، فها هو حيوانى الأليف فى حضنى مرة ثانية، وإريكا صارت حرة".

فجـأة، صاحـت إريـكا بصـوتٍ حـادٍّ وعـالٍ: "أنـا أرفـض إطـلاق سراحـى، إلا إن أدى السـاحر خدعتـه الشـهيرة بثمانيـة خنازيـر صغـيرة. وإن أداهـا بسـبعة خنازيـر فقـط، فهـذا سـيعنى أن الخنزيـر الـذى معـك هـو واحـد آخـر".

قال لها الساحر محذرًا: "هششش إريكا!"

وقـال الحطـاب الصفيـح ناصحًـا: "لا تكـونى غبيـة، وإلا سـتندمين عـلى كلامـك!"

لكـن إريـكا أكملـت بصـوتٍ عـالٍ ليسـمعها الجميـع: "الخنزيـر الصغـير المملـوك للأمـيرة يرتـدى طوقًـا مـن الزمـرد".

قالـت أوزمـا: "هـذا صحيـح. لهـذا لا يمكـن أن يكـون هـذا هـو الخنزيـر الصغـير الـذى أعطـاه لى السـاحر!"

قالـت إريـكا: "بالطبـع ليـس هـو، السـاحر يمتلـك تسـعة منهـا، ويجـب أن أقـول إنـه كان بخيـلاً جـدًّا ومنعـنى مـن التهـام واحـد منهـا. ولكـن مـا دامـت هـذه المحاكمـة الحمقـاء انتهـت، فسـأقول لكـم مـاذا حـدث حقيقـة للخنزيـر الصغـير الأليـف".

فجـأة سـاد الهـدوء فى قاعـة العـرش، وأكملـت إريـكا بصـوت هـادئ وواثـق: "يجـب أن أعـترف أولاً أنى نويـت أكل الخنزيـر الصغـير فى الإفطـار. وتسـللت إلى الغرفـة حـين كانـت الأمـيرة تلبـس رداءهـا الصباحـى، وأخفيـت نفـسى فى ركـن، وعندمـا غـادرت أوزمـا، أغلقـت البـاب وتركـت حيوانهـا الأليـف فـوق المائـدة، وعـلى الفـور قفـزت عـلى المائـدة وأخبرتـه ألا يصـدر أى صـوت أو حركـة، لأنى سـألتهمه فى ثانيـة. ولكـن يبـدو أن لا أحـد علَّـم تلـك المخلوقـات الأدب وطاعـة الـكلام، فبـدلاً مـن أن يظـل صامتًـا، تعـثَّر وتدحـرج مـن الخـوف، وسـقط عـن المائـدة فى مزهريـة الـورد عـلى الأرضيـة. فى البدايـة انحـشر الخنزيـر الصغـير فى عنـق المزهريـة، وحاولـت أن أسـاعده ليخـرج، وبعـد محـاولات عـدة، تملَّـص وتلـوَّى أكـثر حـتى سـقط فى قـاع المزهرية، وأعتقد أنه ما زال هناك".



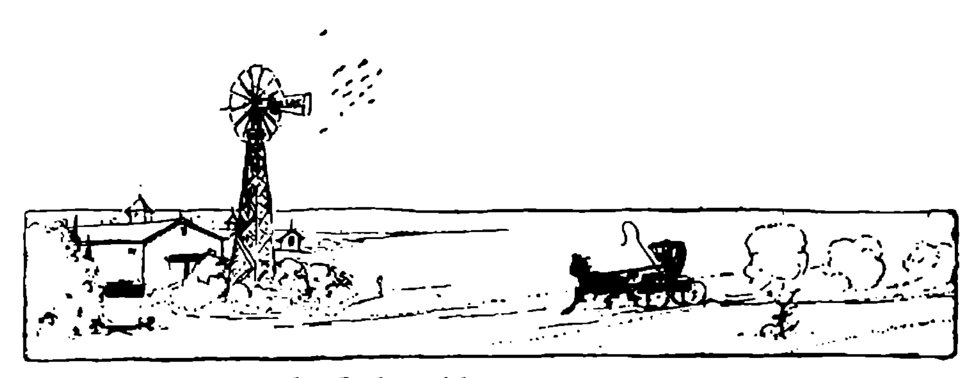
أصيـب الـكل بالذهـول مـن هـذا الاعـتراف، فأرسـلت أوزمـا أحـد ضباطهـا إلى غرفتهـا ليحـضر لهـا المزهريـة. وعندمـا عـاد بهـا، نظـرت الأمـيرة داخـل الفـازة فوجـدت الخنزيـر الصغـير المفقـود، تمامًا كما قالـت إريـكا بالضبـط. لـم تكـن هنـاك طريقـة لإخـراج هـذا المخلـوق دون كـسر المزهريـة، فهشَّـمها الحطـاب الصفيـح ببلطتـه، وأطلـق سراح السـجين الصغـير. هللـت الجماهـير بقـوة، واحتضنـت دورثي قطتهـا الأليفـة، وأخبرتهـا كـم هـى سـعيدة لمعرفـة أنهـا بريئـة، وسـألتها: "لكـن لمـاذا لـم تقـولى لنـا منـذ البدايـة؟"

تثاءبت إريكا وقالت: "وأفوِّت كل هذه المهزلة؟"

أعطـت أوزمـا السـاحر خنزيـره الصغـير، وحملـت خنزيرهـا الـذى يلبـس الطـوق الزمـردى إلى غرفتهـا. والآن بعدمـا انتهـت المحاكمـة، انـصرف جمهـور مواطـنى مدينـة الزمـرد إلى منازلهـم، راضـين بمـا حـدث.



الفصل العشرون



ذيب يعود إلى المراعى

استغربت إريكا حين وجدت أنها وصمت نفسها بالفضيحة، لرغم أنها لم تأكل الخنزير الصغير. فكل شعب مدينة الزمرد عرف أنها شرعت فى ارتكاب جريمة، وأن حادثًا عارضًا هو الذى منعها، لذلك حتى النمر الجوعان فضَّل عدم مرافقتها. وحُرِمت من التجوُّل حول القصر، وتحددت إقامتها فى غرفة دورثى. لذا توسلت إلى دورثى أن ترسلها إلى مكان آخر. وكانت دورثى نفسها متلهفة للعودة إلى البيت، فوعدت إريكا بأنها لن تمكث فى أرض أوز فترة أطول.

فى اليوم التالى، طلبت الفتاة الصغيرة من أوزما أن تسمح لها بالنظر فى اللوحة السحرية، فوافقت على الفور. فاصطحبت دورثى إلى غرفتها وقالت لها: "كل ما عليك أن تتمنى رؤية مشهد معين، ورغبتك ستُنفَّذ على الفور".

اكتشـفت دورثى، بمسـاعدة اللوحـة السـحرية، أن العـم هـنرى رجـع إلى مزرعتـه فى كانسـاس، وشـاهدته مـع العمـة إم يرتديـان ملابـس الحـداد، فهمـا يظنـان أن دورثى ماتـت فى الزلـزال. فقالـت الفتـاة بقلـقٍ: "يجـب أن أعـود بـأسرع مـا يمكـن إلى أهـلى".

أراد ذيـب أيضًـا العـودة إلى البيـت، رغـم أنـه لـم يجـد أى شـخص يقيـم الحـداد لفقـده، فمنظـر مراعـى هاجسـون فى اللوحـة السـحرية جعلـه يشـعر بالحنـين إلى المـنزل.

قـال ذيـب لـدورثى: "هـذا بلـد جميـل، ويعجبـنى النـاس الذيـن يعيشـون هنـا، لكـن فى الحقيقـة، جيـم لا يرتـاح فى العيـش فى أرض خياليـة، ويلـح علىّ للعـودة إلى المـنزل منـذ هزيمتـه فى السـباق، فـإن فعلـتِ ذلـك، سـنكون مدينـين بالفضـل لـكِ".

ردت دورثى: "أوزمـا تسـتطيع فعـل ذلـك بـكل سـهولة. صبـاح الغـد، سـأذهب إلى كانسـاس وأنـت سـتذهب إلى كاليفورنيـا".

الأمسـية الأخـيرة لهـم فى أرض أوز كانـت لا تُنـسى. كانـت الصحبـة كلهـا مجتمعـة، مـا عـدا إريـكا، فى أجمـل قاعـات القـصر. أدى السـاحر خدعًـا جديـدة، وحـكى خيـال المآتـة قصصًـا جديـدة، وغـنى الحطـاب الصفيـح أغنيـة رومانسـية بصوتـه المعـدنى، وضحكـوا جميعًـا وأمضـوا وقتًـا سـعيدًا. وأعـادت الدجاجـة بيلينـا حـكى مغامراتهـا مـع ملـك النـووم فى أرض إيـف.

وأخـيرًا قدمـت الأمـيرة مرطبـات منعشـة لـكل مَـن يشـعر بالعطـش. وعندمـا جـاء ميعـاد النـوم، تركـت دورثى الصحبـة بعدمـا تبادلـت معهـم المشـاعر الوديـة. فى صبـاح اليـوم التـالى، تجمعـت الصحبـة ثانيـة للقـاء الأخـير. حملـت دورثى إريـكا بـين ذراعيهـا وودعـت أصدقاءهـا، وقـال لهـا السـاحر: "يجـب أن تزورينـا مـرة ثانيـة". ووعدتـه بأنهـا سـتفعل إذا أمكـن، وأضافـت: "ولكـن العـم هـنرى والعمـة إم يحتاجـان إلىّ لأسـاعدهما، ولا أسـتطيع الابتعـاد عـن مزرعتنـا فى كانسـاس لفـترة طويلـة".

ارتـدت أوزمـا الحـزام السـحرى، وقبَّلتهـا قبلـة الـوداع، وتمنـت أمنيـة، وعـلى الفـور اختفـت دورثى مـع إريـكا.

سأل ذيب مرتبكًا من سرعة ما حدث: "أين هى؟"

ابتسمت أوزما وقالت: "الآن هى فى كانساس، أهلها يرحبون بها".

ربـط ذيـب الحصـان فى الحنطـور، وصعـد وجلـس عـلى المقعـد الخلفـى، وقـال: "أنـا ممنـونٌ جـدًّا لحسـن اسـتقبالكم، وشـاكر لكـم أنكـم أنقذتـم حيـاتى. أعتقـد أن هـذه ألطـف بلـدة فى العالـم، ولكـن لأنهـا فى أرضٍ خياليـة، يجـب أن أعـود أنـا وجيـم إلى المراعـى فى الأرض الحقيقيـة، وداعًـا".

فى الثانيـة التاليـة، فـرك ذيـب عينيـه، ووجـد أن جيـم يتبخـتر عـلى طريق يعرفـه جيـدًا، ويهـز ذيلـه، وأمامهـم مبـاشرة بوابـات مراعـى هاجسـون. وقـف العـم هاجسـون فى اسـتقباله قائـلاً بدهشـة: "يـا إلهـى! إنـه ذيـب والحصـان جيـم أيضًـا، أيـن كنـت أيهـا الفـتى؟"

رد الصبي بتنهيدة ضاحكة: "فى الدنيا الواسعة يا عمى".



الخاتمة

يقال إن هذه الرواية أكثر سوداوية من روايات السلسلة كلها، فالفتاة الصغيرة تفقد وعيها عندما تقع في أعماق الأرض في نهاية الفصل الأول، رغم أنها لم تفقده عندما تلقّفتها أمواج البحر الهادرة في الرواية السابقة (بل نامت بهدوءٍ وسلام). ربما لأن باوم اعتمد على أحداث زلزال حقيقي حدث في سان فرانسيسكو عام 1906[1]. وضرب شمال كاليفورنيا يوم الأربعاء الساعة الخامسة[2] فجرًا في 18 إبريل، بمقياس عزم زلزالي[3] 7.9 بلغ أقصى كثافة له في منطقة تسمى إريكا[4] على اسم القطة في الرواية، والتي تُحاكَم في النهاية لاتهامها بالتهام واحد من

(1) قبل كتابة الرواية بعام.

(2) وهو ميعاد وصول قطار دورثي ووقوعها في صدع الزلزال.

(3) مقياس درجة العزم أو مقياس العزم الزلزالي (بالإنجليزية: MMS أو MW) (بالإنجليزية: moment magnitude scale) هو مقياس يستخدم في علم الزلازل لقياس شدة الزلزال من حيث الطاقة التي صدرت عنه. وضع هذا المقياس في سبعينات القرن العشرين، والذي تلى مقياس ريختر الذي ظهر في الثلاثينات. مقياس MMS هو المقياس المستخدم حاليًا لتقدير القيم لجميع الزلازل الكبيرة الحديثة من قبل هيئة المسح الجيولوجي في الولايات المتحدة. قام عالم الزلازل الياباني هيرو كانامورى بتصميم مقياس العزم الزلزالي الرقمي عام 1977م. وهذا المقياس تحسين لمقياس ريختر الذي اخترعه عالم الزلازل الأمريكي تشارلز ريختر عام 1935م. وفي كلا المقياسين يزيد القياس كلما كان الزلزال قويًا. ويكون مقياس ريختر ومقياس العزم الزلزالي متماثلين في معظم الزلازل التي تبلغ قوتها أقل من سبع درجات، ولكن يقيس مقياس العزم الزلزالي الزلازل القوية بدقة أعلى.

(4) Eureka, California مدينة ساحلية تقع على المحيط الهادئ، وهي أيضًا كلمة يونانية قديمة كما في الرواية.

الخنازير الصغيرة التسعة. وهو ما يفسر -لى على الأقل- سلوك القطة الذى يعتذر عنه باوم فى مقدمة الرواية.

يعد ذلك الحدث واحدًا من أسوأ وأخطر الزلازل فى تاريخ الولايات المتحدة. لا تزال حصيلة القتلى أكبر خسارة فى الأرواح نتيجة كارثة طبيعية فى تاريخ كاليفورنيا، والأعلى فى قوائم الكوارث الأمريكية. فأكثر من 80% من مدينة سان فرانسيسكو دُمِّر تمامًا.

حينما أتذكر وعد باوم من مقدمة أولى روايات السلسلة: "وحان الوقت لكتابة سلسلة جديدة من حكايات العجائب {...} وتبتعد عن الرعب وحوادث سفك الدماء التى ابتكرها المؤلفون ليشيروا إلى عبرة مخيفة ما فى كل حكاية"، رأيت أنه لم يلتزم بهذا تمامًا فى روايته هذه، قد نلتمس له العذر لمعاصرته أحداث الزلزال الرهيب، أو رغبته فى الفكاك من قصص عالم أوز، والرغبة فى حكى قصص أخرى كما تمنى فى مقدمة هذه الرواية، فالمغامرات فى جوف الأرض هى حكايات فرعية لا تدخل فى صلب حبكة الرواية، وهو شىء لم نعهده من باوم فى الروايات السابقة، ولكننا سنراه فى الروايات المقبلة.

الحقيقة، هناك أمرٌ ثانٍ يجعلنى أعتبر هذه الرواية مختلفة قليلاً، وهو أن دورثى البطلة التى أُعجِبْت بها لوقوفها مثلاً فى وجه -أو وجوه- الأميرة لانجويدير (فى رواية أوزما أميرة أوز) تبدو فى هذه الرواية قليلة الحيلة وتتبع الآخرين، فهى مثلاً لا تقطف الأميرة النباتية من الشجرة إلا بناءً على اقتراح من الساحر، ولم يكن لها دور فى محاكمة قطتها الأليفة. فلمسة النسوية Feminism التى ظهرت فى الروايات السابقة، والتى جعلت الأنثى -دورثى أو أوزما وحتى الجنيرال جينجر- هى المتحكمة والمحركة للأحداث، اختفت. على جانب آخر، نتعرف فى هذه الرواية على الشخصية الحقيقية لساحر أوز، فهى رواية الساحر وليست رواية دورثى، والبعض يقول إنها رواية ذيب، لأنها انتهت به، والبعض يقول إنها رواية جيم وإريكا. المهم أن دورثى ليست بطلة هذه الرواية للأسف.

هناك بعض الملاحظات حول تاريخ كتابة روايات أوز يُفضَّل أن نعرفها. لم تُوضع فكرة صنع سلسلة كاملة لعالم أوز موضع التنفيذ إلا منذ هذه الرواية، بعد النجاح الساحق للرواية السابقة "أوزما أميرة أوز"، خاطبته دار النشر لكتابة المزيد عن عالم أوز استجابة لطلبات القراء. فأربع سنوات مرت بين الروايتين الأولى والثانية، وثلاث سنوات بين الروايتين الثانية والثالثة، ولكن في عام 1907 (سنة صدور الرواية الثالثة) صار واضحًا جدًّا أن روايات عالم أوز تنتشر وتبيع ولها شهرة أكثر من أعمال باوم الأخرى، وعلى الفور استغلّت دار النشر الفرصة وتعاقدت مع باوم على إصدار رواية أخرى لتصدر بين عامي 1907 و1911، ولكنه أصدرها بعد عام واحد من الرواية الثالثة، وبعد شهور قليلة من الاتفاق مع دار النشر، ربما تأثرًا بالحوادث التي ذكرناها، وهو ما أثّر في جودة الرواية.

على الرغم من أن سلسلة الروايات مكتوبة قبل نشوء فكرة الإنترنت أصلاً، تحتفظ الإنترنت بمناقشات وآراء ونظريات لمحبي عالم أوز، تستعرض تواريخ الشخصيات وتحللها على نحو مدهش، الكثير منها كما يدين سوداوية الرواية، يدين أيضًا ثغرات في الحبكة، منها أن اتفاق دورثي وأوزما في نهاية الرواية السابقة مختلف عن اتفاقهما في هذه الرواية، وبعضهم يقدم حلولاً منطقية لطيفة للالتفاف حول هذه الثغرة، ولكني لن أقولها لكم لكيلا أفسد عليكم متعة الرواية، وأترك لكم تخمين ما قد يحدث بديلاً.

أضف إلى ذلك -وهي ملحوظة ناقشها طويلاً محبو عالم أوز- أن الساحر أوز يستمع إلى قصة أوزما كأنه لم يكن السبب في خطفها ووضعها في عهدة العجوز مومبي. باوم يريد أن ينظف تاريخ الساحر من الأشياء المشينة التي ارتكبها، رغم أنه يشق المشعوذ جيوك إلى نصفين، ويتعمد حرق المستشارين المنجابوس. وفي محاولته لسرد تاريخ الساحر في أرض أوز يقع في ثغرات عدة. والطريف أن أحد كُتاب

أوز عـام 1991 كتـب روايـة كاملـة يمـلأ بهـا ثغـرات هـذه الحكايـة، ويحكيهـا بالتفاصيـل[1].

سـتة فصـول فقـط تقـع في أرض أوز فـوق الأرض، أمـا البقيـة ففـي جـوف الأرض، ورغـم أن الروايـة السـابقة تقـع بالكامـل خـارج أرض أوز، إلا فصـل النهايـة، فـإن الفـارق المهـم أن شـخصيات عالـم أوز كلهـم تخـوض مغامـرة روايـة أوزمـا أمـيرة أوز. أمـا في هـذه الروايـة فـلا يسـعون أصـلاً للوصـول إلى أرض أوز إلا في وقـت متأخـر.

كمـا يُذكـر أن هـذه الروايـة صـدرت طبعتهـا الأولى برسـومٍ ملوَّنـة، وهـي واحـدة مـن روايتـين فقـط مـن السلسـلة الـتي حصلـت عـلى هـذه الميـزة، والروايـة الثانيـة هـي مدينـة أوز الزمرديـة The Emerald City of Oz (1910).

رغـم كل مـا هـذا، فهـي روايـة قويـة ومشـوقة، ومليئـة بالإثـارة والأخطـار، وقـد يعتبرهـا البعـض التأسـيس الحقيقـي الأول لعالـم أوز.

(1) How the Wizard Came to Oz is a 1991 prequel Oz book by Donald Abbott..

سلسلة أوز

1. ساحر أوز العجيب
2. أرض أوز المدهشة
3. أوزما أميرة أوز
4. دورثى والساحر في أوز
5. الطريق الى مدينة أوز
6. مدينة أوز الزمرديه
7. فتاة قصاقيص القماش في اوز
8. تيك توك في أوز
9. خيال المآته في أوز
10. رينكيتينك في أوز
11. أميرة أوز المفقودة
12. الحطاب الصفيح في أوز
13. سحر أرض أوز
14. جليندا ساحرة أوز

L.Frank Baum

Dorothy & the Wizard in OZ

4

الرواية الرابعة فى عالم أوز السحرى. الكثيرون من عشاق عالم أوز، يعدون هذه الرواية هى التأسيس الحقيقى الأول لعالَم أوز. وهو عالم من إبداع الكاتب الأمريكى فرانك باوم (مايو ١٨٦٥-مايو١٩١٩) الذى كتب أربع عشرة رواية فى هذا العالم، واستكمل تلاميذه وأحفاده السلسلة، التى لم يتوقف العالم عن الإعجاب بها منذ عام ١٩٠٠، فترجمت إلى لغات عدة، ونشرَت فى طبعات لا نهائيةَ، كما تحولت إلى أعمالَ مسرحية وسينمائية.

يحكى باوم فى هذه الرواية، مغامرة للفتاة دورثى جيل، فى عالم ما تحت الأرض، مع أصدقائها ذيب هاجسون، والقطة الصغيرة إريكا، وجيم حصان الجر، الذين خاضوا معها العديد من المخاطر والصعوبات، وتعاونوا للوصول بسلام إلى أرض أوز العجيبة.

في هذا الكتاب، ستلتقون الساحر أوز مرة أخرى، حيث سيعود مع الصحبة إلى مدينة الزمرد، التي ما زال شعبها يقدره ويحترمه ويحبه.

فهيا نستكشف الطريق الشاق الذى واجهته دورثى، لكى تعود إلى البيت، لتجد نفسها مع الساحر أوز.


ISBN 978-977-313-792-2







